يوليو (تموز) ١٩٩٠- الحجة ١٤١٠

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest July '90 N° 140

أوسع المجلات انتشارًا في العالم
٣٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا



فندق الشام



أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، إنه مدينة قائمة بذاتها ... صمم على أحدث طراز في ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عملك ... فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشار بالاضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية ... ولاتنس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها .

للحجز : فندق الشام - ص.ب ٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠ (١٠٠ خط
تلكس الرياض : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط

فندق الشام
عراقة في التقاليد



المختار من ريدرز دايجست

مجـــلة شهـريّـــة

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.

مديرة التحرير: راغدة حداد، أمينة التحرير: نهلا رزق، محررة مساعدة: لورا نفاع، الاشتراكات: فريال علاف

مدير القسم الفني: جورج غالي، الخطوط: عبد القادر اسماعيل.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة "ابيراك" للمنشورات الدولية – بيروت.

رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.

التحرير والادارة: بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.

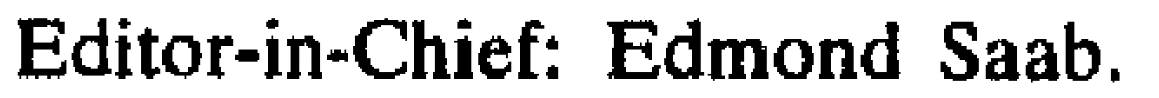
التلكس (الموقت): ANAHAR 22322 LE

COLIDI 21058 LE

التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.



AL MUKHTAR min Reader's Digest

© 1990 BY AN NAHAR P.I.S.A. LICENSEE OF THE READER'S DIGEST ASSN. INC.

Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Beirut, Makdesi St., Shartouni Bldg., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.

Telex ANAHAR 22322 LE / COLIDI 21058 LE

Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

July '90 N° 140 (New Series) Vol. 12

ريـــدرز دايجســـت

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.


الطبعاتُ الدوليّة

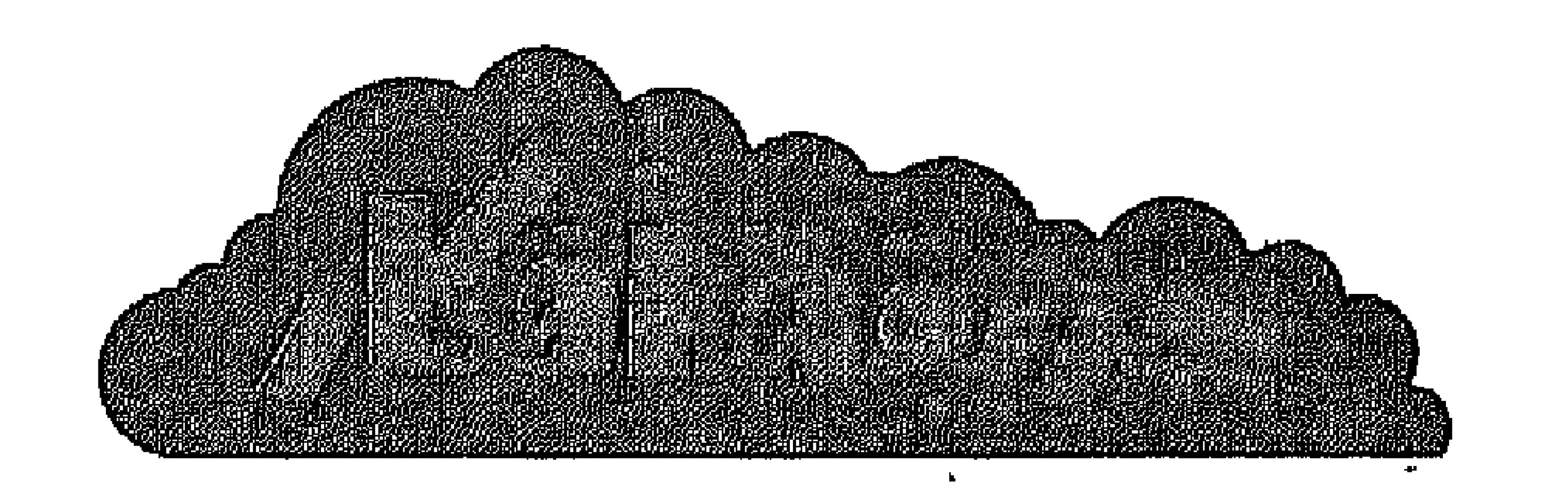
رئيس التحرير: كنيث غيلمور، مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل، المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر «ريدرز دايجست» في اللغة الانكليزية (الطبعات الاميركية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبيـة، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الاميركية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.

حقوق النشر محفوظة لـ«المختار من ريدرز دايجست» بموجب اتفاق خاص مع شركة «ريدرز دايجست» في نيويورك، الولايات المتحدة. يحظر النقل من «المختار» او الترجمة او الاقتباس منها في اي شكل كان جزئياً او كلياً، في العربية او في اي لغة اخرى. وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة الى كل الدول العربية والافريقية. وقد اتخذت كل اجراءات التسجيل والحماية في العالم العربي والخارج بموجب الاتفاقات الدولية المعقودة لحماية الحقوق الفنية والادبية.

٥٠٠ل – سورية ٢٠ل – الاردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف –
...دية ١٠ر – مصر ١،٥ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – اليمن ٨ر – عدن ١٥د – مسقط ٨٠٠ب – العراق ٨٠٠ف – قبرص ٧٥ب
...س ٧٠٠م – المغرب ٧د – الجزائر ٧د – فرنسا ١٠ف – انكلترا ١ج – اليونان ١٣٫د – كندا واميركا الشمالية ٢،٥د


أسلوب للحياة ...
EA 3023-57P
EA 7733-50P
7473-55P
AF 3183-58P
الق نظرة الى المستقبل
مجموعة فاروس
تصميمات ديناميكية
أنيقة تعمل بالكوارتز ...
رقيقة للغاية ..
ومقاومة للماء .
مجموعة فاروس - من سيتيزن
أناقة ورونق المستقبل ...
باتت متاحة لك اليوم
فاروس
أسلوب للحياة من سيتيزن
أسلوب للحياة
ص.ب : ١٦٧٧٢ جبل علي - دبي (أ.ع.م)
هاتف : ٥٥١٧١ - ٨٤ فاكس : ٥٥١٦٤/٥٥٢٨٣.
تلكس : CTZEN EM ٤٩٢٧٨
PHAROS
سيتيزن
CITIZEN



- ثق بحدسك، فهو يرتكز عادة على حقائق محفوظة مباشرة تحت مستوى الفكر الواعي.

جويس براذرز، كاتبة وعالمة نفسانية

- الطريقة الوحيدة للحفاظ على صحتك هي أن تأكل ما لا تريده وتشرب ما لا تحبه وتفعل ما لا تود أن تفعله.

مارك توين

- نادرون هم الاشخاص الذين يزنون أخطاء الآخرين من دون ضغط ابهامهم على الميزان.

بايرون لانغنفيلد

- كن دائم الفضول، فالمعرفة لن تكتسبك، بل عليك أنت أن تكتسبها.

س.ب.

- افضّل الفشل في ما يمتعني على النجاح في ما أكره.

جورج بيرنز، كوميدي امريكي

- الحصول على كل ما نبتغيه لا يعني بالضرورة أن نحصل عليه دفعة واحدة.

س.ل.

- اذا عرفت أنك ستلتيفت لاحقاً الى أمر مضى وتضحك منه، فحري بك أن تضحك منه الآن.

ماري اوزمند، مغنية شعبية

- الأحداث الكبيرة معلّقة على فرص صغيرة.

ديموستينس، سياسي وخطيب اغريقي.

شجرة الحياة



مضت ثُلاث سنوات مذ غادرت وزوجتي فيكي المستشفى حاملين بعض الصور وسوار الاسم الذي كان ملفوفا حول رسغ قدم ولدنا وكتيّبين عن قهر الاحزان. وعادت حياتنا الى نمطها الطبيعي لولا بعض التغيّرات غير المرتقبة، ومنها شعوري بالارتباك لدى سؤالي كم من الأولاد لديّ. وأنا أعرف أن الجواب الصحيح واقعياً هو ولد واحد، لكن القلب البشري يتخطى محدوديات الواقع.

فأجيب: "ولدان!" وأرجو أن ينتهي الأمر عند هذا الحدّ. ولكن إذا استمرّ الحديث في الموضوع وطرح عليّ مزيد من الأسئلة، فاني أقول إن أحد الولدين قد مات، وهي لحظة يغلب عليّ الارتباك اذ تخلّف فيَّ شعوراً بأنني أستجدي العطف والشفقة. لكن تجنب ذكر ولدي كما لو أنه لم يعش مطلقاً يتخطى قدراتي.

ان الفرح بالمولود الجديد هو الامل الواعد بحياة مديدة تمرّ بمراحل النمو والتغير وتتخللها آلام الأذنين وهدايا الاعياد والقراءة بصوت مرتفع. قبل فاجعتنا كنت أعتقد أن مستقبل الولد ينتهي بموته. لكن هذا غير صحيح. فطيف ابننا لا يزال يملأ المكان، ونحن نشعر بوجوده مثلما يشعر من بترت ساقه بأنها ما زالت في مكانها.

وقد تعقبت في ذهني الفترة الزمنية التي انقضت منذ ولادة ابننا، ورسمت له صورة ذهنية لما كان سيبدو في مراحل نموّه.

دفنّا رفاته في طرف الحديقة، وزرعنا فوقه شجرة تفاح نعتني بها بحرارة وحب، فننظفها من المن الذي يغزو الاشجار الصغيرة، ونسقيها في فترات الجفاف، ونقتلع الاعشاب البرية حول جذعها. وفي نهاية الشتاء نقلّم أغصانها بحنان كأنها أظفار مولود جديد.

ولا بد لهذا العطف من أن يثمر في النهاية. وستثمر شجرة ابننا قريباً ويكتمل ريعانها في أوائل سني المراهقة. وربما عاشت مئة عام.

جون فارا ■

© 1988 BY JON VARA. CONDENSED FROM YANKEE (DECEMBER '88), DUBLIN, N.H. ILLUSTRATION: PETE HARRITOS

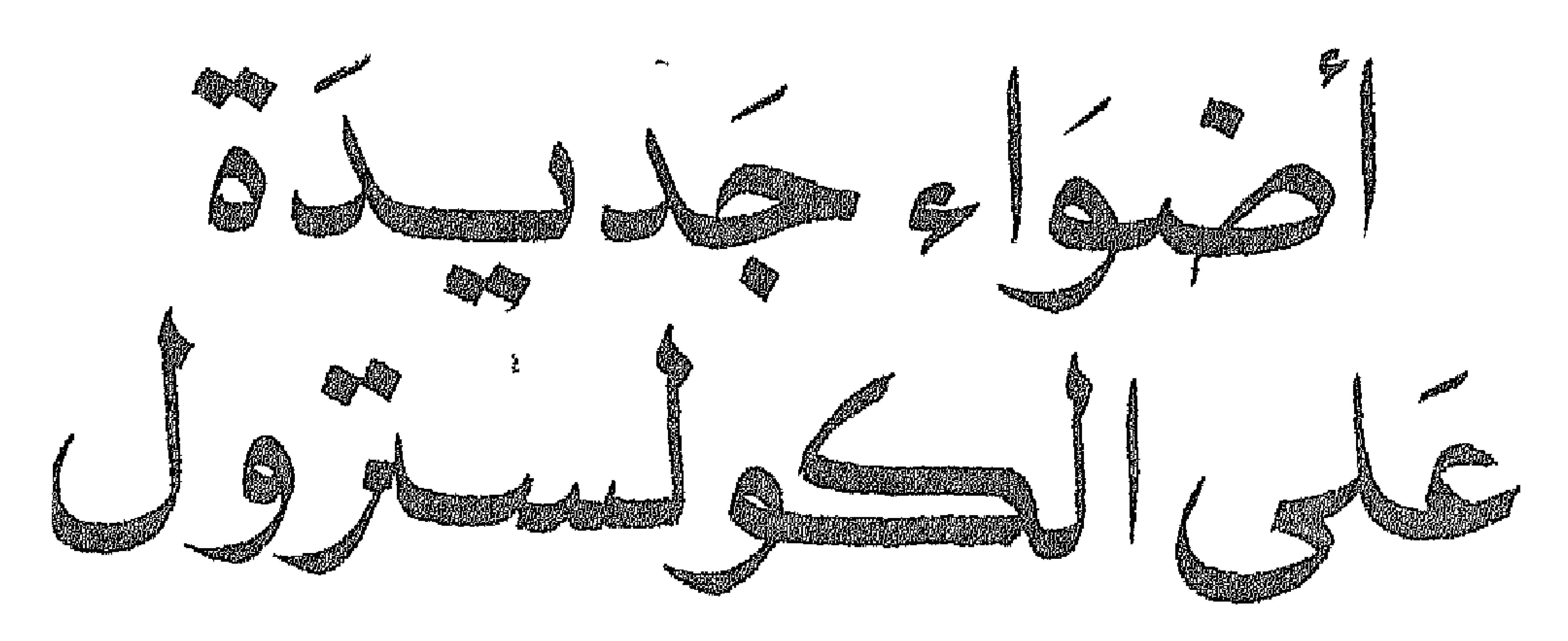
Reader's Digest

المختار

يوليو (تموز) ١٩٩٠
ذو الحجة ١٤١٠

السنة الثانية عشرة
سلسلة جديدة

مجلة بحجم كتاب ومقال لكل يوم بأسلوب ممتع



أضواء جديدة على الكولسترول

هل بالغ الباحثون في ابراز أخطار هذه المادة التي تسبب انسداد الشرايين؟

هل تعرف مستوى الكولسترول في دمك؟ هل أبدلت نظام حميتك لكي تخفض هذه المادة التي تسبب انسداد الشرايين؟ ضمن حملة ضخمة ضد الكولسترول هي من أعظم الحملات الصحية في التاريخ، نُصح الذين يشكون من ارتفاع في ضغط الدم باتباع نظام حمية صارم خاضع لاشراف طبي. فاذا لم تُجدِ هذه الطريقة، اعتمدت الأدوية لخفض الكولسترول كخيار بديل. وحتى الآن لا تزال الاكتشافات والتوصيات السابقة بشأن الكولسترول تواجه حملات مشككة.

في واجهة هذا التحدي كتابان رائدان هما "قصور القلب" للصحافي توماس ج. مور و"التغذية المتوازنة: أبعد من ذعر الكولسترول" الذي اشترك في وضعه الدكتور فريدريك ستار أحد مؤسسي دائرة التغذية في كلية هارفرد للصحة العامة، والدكتور روبرت أولسون أستاذ الطب في جامعة ولاية نيويورك في ستوني بروك، واليزابيث ويلان رئيسة "المجلس الامريكي للعلوم والصحة." وقد لقي كثير من آرائهم التأييد في مقالة للدكتور ألان س. بريت من كلية الطب في جامعة هارفرد، نشرت في ٧ سبتمبر (أيلول)

«HEART FAILURE,» COPYRIGHT © 1989 BY THOMAS J. MOORE, IS PUBLISHED BY RANDOM HOUSE, INC., NEW YORK, N.Y.
«BALANCED NUTRITION: BEYOND THE CHOLESTEROL SCARE,» COPYRIGHT © 1989 BY FREDRICK STARE, ROBERT OLSON AND ELIZABETH WHELAN, IS PUBLISHED IN PAPERBACK BY BOB ADAMS, INC., HOLBROOK, MASS.

١٩٨٩ في "نيو انغلاند جورنال أوف ميدسين." وقد شملت تأكيداتهم النقاط الأساسية الآتية:

□ ان أخطار الكولسترول مبالغ فيها. ففي غياب التدخين وارتفاع ضغط الدم، يبدو أن ارتفاع معدل الكولسترول لا يشكل وحده عامل خطورة أساسياً في امراض القلب كما حُملنا على الاعتقاد.

□ قد تنتج من انخفاض معدل الكولسترول عواقب عكسية غير مرتقبة، تشمل ازدياد الاصابة بالسكتة الدماغية (الفالج) والسرطان. هذا ما أظهرته أبحاث أوردها مور في كتابه.

□ ان خفض معدّل الكولسترول من طريق الحمية، استناداً الى مور، قد يكون صعباً ومحدود النتائج في بعض الاحيان.

□ إن فوائد أدوية خفض الكولسترول مبالغ فيها. وهناك تقليل من خطورة أعراضها الجانبية أو تجاهل لها.

لكي نفهم هذا المنحى الجديد في التفكير، لا بد لنا من معرفة كيف أصبح الكولسترول مرادفاً لمرض القلب في عقول العامة.

طوال عقود ازدادت الخشية من أن استهلاك كميات كبيرة من الاطعمة الدهنية أو الغنية بالكولسترول قد يزيد حمولة الكولسترول في الدم مما يؤدي الى تراكمات داخل أحد الشرايين.

ان شريان القلب التاجي معرض خصوصاً للإنسداد، وهكذا هي حال الشرايين السباتية التي تغذي الدماغ بالدم. فعندما تزيد التراكمات وتضيّق أحد الشرايين الى حد خطير، تؤدي جلطة دموية تسدّ الشريان كلياً الى حدوث نوبة قلبية أو سكتة دماغية.

برزت في الستينات دلائل مقنعة تربط بين الكولسترول ومرض القلب من خلال "دراسة فرامنغهام للقلب" وهي مشروع تدعمه الحكومة الامريكية بدأ في العام ١٩٤٨. وتراقب الدراسة حالياً ألوف البالغين في فرامنغهام بولاية مساشوستس لكشف أنماط أمراض القلب.

وبازدياد الدلائل على الدور الذي يؤديه الكولسترول في الاصابة بمرض القلب، ازدادت مخاوف أوساط الصحة العامة. وشرع الاطباء يحذّرون المرضى، فيما نقلت وسائل الاعلام الى الجمهور سيلا متواصلا من التقارير الجديدة. وفي أواسط الثمانينات غدا الكولسترول على السنة الجميع في الولايات المتحدة. واعتبر ملايين الامريكيين مستويات الكولسترول التي تربو على ٢٤٠ مليغراماً في كل دسيليتر (عُشر الليتر) من الدم عامل خطورة قد يسبب مرضا في القلب. ولكن بمرور الوقت، باتت الاكتشافات السابقة موضع نقاش نجمت عنه تحقيقات اضافية وتساؤلات جديدة.

؟ ما هو دور الكولسترول في مرض القلب

هذا هو السؤال الجوهري الذي يدور حوله معظم الجدل. وكما يذكر مور، فان معلومات فرامنغهام تبين أن في أوساط الشباب والكهول ترابطا لا يرقى اليه

الشك بين ارتفاع كولسترول الدم ومرض القلب. فلو أن دراسة فرامنغهام انحصرت في هذه المجموعة لاظهرت أن أولئك الذين يشكون من ارتفاع مستوى الكولسترول معرضون للاصابة بنوبة قلبية أو آلام في الصدر أكثر بثلاث مرات أو أربع من ذوي المستوى المنخفض من الكولسترول. بيد أن عدداً كبيراً من الاصابات بمرض القلب ظهر بين الرجال ذوي المستويات المتوسطة التي تراوح بين ٢٠٠ و٢٣٩. وحتى ذوو المستويات المنخفضة من الكولسترول التي هي دون الـ ٢٠٠، بدت عليهم دلائل مرض القلب. وبالتالي، يؤكد مور أن ارتفاع معدل الكولسترول هو "أبعد من أن يُشكل تفسيراً بسيطاً وشاملاً" لأمراض القلب الناتجة من انسداد الشريان التاجي.

ماذا عن النساء والرجال المسنين

تظهر دراسة فرامنغهام أن خطر الاصابة بأمراض القلب الناتجة من انسداد الشريان التاجي هو أقل كثيراً لدى النساء اللواتي يعانين مستوى مرتفعا من الكولسترول منه لدى الرجال. ويقول مور أن النساء قبل انقطاع الطمث "محصنات عمليا" ضد المرض. وكتب: "بدءاً بالسن الخمسين، تضعف العلاقة بين ارتفاع معدل الكولسترول وتنامي خطر الاصابة بأمراض القلب الناتجة من انسداد الشريان التاجي، لدى النساء والرجال على السواء."

هناك حاجة واضحة الى اجراء مزيد من التحقيقات، وكثير منها يجرى حاليا. وبما أن معظم الدراسات عن الكولسترول تركز على الشباب والمتوسطي العمر من الرجال، فقد بدأ "المعهد الوطني للقلب والرئة والدم" دراسة رئيسية لتجديد أخطار ارتفاع معدل الكولسترول لدى النساء والمسنين.

هل أدى خفض الكولسترول الى نقص في عدد الوفيات الناتجة من النوبات القلبية

هناك لغز آخر يتعلق بحدوث نقص في عدد الوفيات الناتجة من النوبات القلبية في الولايات المتحدة ما بين العام ١٩٦٣ (السنة الذروة) والعام ١٩٨٦. فقد انخفض عدد هذه الوفيات بنسبة ٤٢ في المئة. لكن مستوى الكولسترول لدى الامريكيين نقص ثلاثة في المئة فقط ما بين ١٩٦٠ و١٩٨٠.

لذلك يستنتج مور أن ليس في الامكان اعتبار خفض الكولسترول عاملاً حاسماً أنقذ حياة هذه الألوف من الناس.

الى أي حد يجب أن تهبط مستويات الكولسترول

مع تركيز عامة الناس انتباههم على المستويات المرتفعة من الكولسترول، أُوليت الأخطار الكامنة في المستويات المنخفضة اهتماماً ضئيلاً.

ان أحد الاهتمامات هو العلاقة بين الكولسترول المنخفض وبعض أنواع السكتة الدماغية. فقد نشرت "نيو انغلاند جورنال أوف ميدسين" في ٦

ابريل (نيسان) ١٩٨٩، دراسة شملت اكثر من ٣٥٠ الف رجل أمريكي تراوح اعمارهم بين ٣٥ و٥٧ عاما. فتبين أن امكان اصابة الرجال الذين يقل مستوى الكولسترول لديهم عن ١٦٠، بسكتة نازفة ناتجة من انفجار احد الأوعية الدموية في الدماغ، هو اكثر ثلاث مرات منه لدى الرجال ذوي مستويات الكولسترول الأكثر ارتفاعا.

كتب مور أنه في حين تقلّ اصابة الرجال ذوي الكولسترول المنخفض بأمراض القلب الناتجة من انسداد الشريان التاجي، لم تثبت الدراسات أن الكولسترول المنخفض يطيل العمر. وفي دراسة تحليلية وضعها "المعهد الوطني للسرطان" وجد مور هذا التفسير المحتمل: "إن احتمال اظهار التشخيص اصابة بمرض السرطان بلغ لدى الرجال ذوي مستويات الكولسترول الادنى ضعفي ما هو لدى ذوي المستويات الاعلى."

ولكي نفهم ذلك علينا معرفة أن الكولسترول ليس ضاراً في ذاته. فنحو ثلثي محتوى الجسم من الكولسترول يتكوّن داخل الجسم، ومعظمه بواسطة الكبد. والغشاء الخارجي لكل خلية في الجسم مكوّن بمعظمه من مركبات الكولسترول أو الدهون التي تساعد في تنظيم ما يدخل الخلية ويخرج منها.

أما باحث القلب البريطاني مايكل أوليفر من "معهد وين للبحث الأيضي" في لندن فلديه نظرية تقول بأن تجريد الخلايا نسبة كبيرة من الكولسترول يضعف مقاومتها المناعية. لهذا السبب يرجّح البروفسور أوليفر أن يكون الرجال المسنون ذوو المستويات المنخفضة من الكولسترول أكثر عرضة للاصابة بالسرطان.

ويدور معظم الاسئلة والنظريات حاليا حول موضوع الكولسترول المنخفض. ولعل أهمها ما نشرته "نيو انغلاند جورنال أوف ميدسين" في أبريل (نيسان) ١٩٨٩، عن أن الرجال الذين تراوح مستوياتهم بين ١٦٠ و٢٢٠، حصلت بينهم وفيات بفعل مسببات مختلفة، عددها أقل كثيراً من عدد وفيات الرجال ذوي مستويات الكولسترول التي تقع دون هذا او فوق ذاك

؟ هل الحمية التي تهدف الى خفض مستوى الكولسترول ذات فاعلية

ليس بالضرورة. يشير مور الى أن باحثي فرامنغهام قابلوا بين مستويات الكولسترول لدى ٩١٢ من الرجال والنساء المتوسطي العمر وما يستهلكونه في نظام حميتهم من الكولسترول. ووسط دهشة الباحثين، كتب مور: "لم تظهر هناك أي علاقة." وفيما تحتم تفسير الاختلاف بين الافراد، فقد استنتج الباحثون أن السبب لم يكن الحمية.

وفي الحملة التي شنها مور وستار ونقّاد آخرون للتقليل من أهمية أنظمة الحمية الهادفة الى خفض الكولسترول استعان هؤلاء بدراسة تحليلية عن متوسط العمر المتوقّع نشرت في العام

١٩٨٧ في "أنالز أوف انتيرنال ميدسين." فبحسب تقديرات فريق باحث من جامعة هارفرد، أي شخص يخفض استهلاكه من الكولسترول طوال حياته، – وليس معرضاً لأخطار مرضية أخرى – يزيد متوسط عمره المتوقع بين ثلاثة أيام وثلاثة أشهر فقط.

يستشهد مور في كتابه بدراسة أخرى بعنوان "السيد سليم"[1] وهي مشروع بحث رعاه "المعهد الوطني للقلب والرئة والدم" في الولايات المتحدة. وبموجب هذا المشروع، عمد ٢٢ مركزاً سريرياً الى دراسة نحو ١٣ ألف رجل من المتوسطي الاعمار بعد تقسيمهم مجموعتين متساويتين تقريباً. ولمدة سبع سنوات (خلال السبعينات وأوائل الثمانينات) اعتمدت احدى المجموعتين برنامج حمية صارماً لم تعتمده المجموعة الاخرى. فماذا كانت النتيجة؟ في مجموعة الحمية، انخفض مستوى الكولسترول بنسبة سبعة في المئة فقط، ولم يظهر فارق مهم في معدل الوفيات بين المجموعتين، بل ان عدد الوفيات كان أعلى قليلا بين أفراد مجموعة الحمية.

من البديهي ألا ينصح الخبراء الناس بأكل كل ما تشتهيه نفوسهم من شرائح اللحم المدهن والجيلاتي (أيس كريم). فهناك دليل قاطع على أن الغذاء الغني بالدهن هو غير صحي، واستهلاك الدهن مرتبط بسرطان الثدي والقولون – وهما نوعان قاتلان من السرطان. والاطعمة ذات النسب المرتفعة من الدهن هي أيضاً مثقلة بالوحدات الحرارية، مما يرجّح ازدياداً في الوزن يترافق وازدياد الأكل، علماً أن البدانة عامل خطورة أكيد لدى المصابين بالسكري وبارتفاع ضغط الدم.

هل أدوية خفض الكولسترول فاعلة ؟

مثل برامج الحمية التي تهدف الى خفض الكولسترول، هي ليست بالضرورة فاعلة.

يقول الدكتور بريت من جامعة هارفرد ان بعض نتائج تجارب الأدوية لم يبعث على التفاؤل بالمقدار الذي روج له. فعلى سبيل المثال، انخفضت اصابات القلب لدى الرجال الذين خضعوا لهذه الاختبارات فيما لم يتدنّ معدل وفياتهم عموماً.

وفي مقالة موسعة للدكتور بريت نشرت في "نيو انغلاند جورنال أوف ميدسين" في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٩، استشهد بريت بدراسة هلسنكي للقلب، وهي جهد خمس سنوات جرى فيه تتبع ٤٠٨١ رجلا متوسطي الاعمار في فنلندا. ومن المجموعة التي تناول أفرادها العقار "جيمفيبروزيل" المخفّض للكولسترول، أصيب ٢،٧ في المئة بمرض القلب الناتج من انسداد الشريان التاجي. ومن بين أولئك الذين لم يتناولوا الدواء أصيب ٤،١ في المئة فقط بهذا المرض. وفارق ١،٤ في المئة بين المجموعتين له مدلول احصائي مهم، ولكن عوض الافادة عن الفارق الصغير "المطلق" أفيد عن خفض

(١) «Mr. Fit»

"نسبي" كبير في اصابات مرض القلب الناتج من انسداد الشريان التاجي، مقداره ٣٤ في المئة. وكتب بريت انه على رغم صحة النتيجة تقنيا فان مثل هذا الاستنتاج قد يكون مضللا.

يشير بريت أيضا الى بعض النتائج التي أسفرت عنها دراستان عن الادوية المخفضة للكولسترول. فهناك مثلا بعض المرضى الذين عولجوا بالادوية وظهر أنهم تعرضوا لنسبة بالغة من حوادث الوفاة العنيفة والعرضية، وتحديدا حوادث الانتحار والقتل واصطدام السيارات. ومع ذلك فان الباحثين يصرفون النظر لاعتقادهم أنها أحداث عارضة.

ولكن، من ناحية أخرى، فان مؤيدي استخدام أدوية خفض الكولسترول يشيرون الى بعض عوامل النجاح، اذ ان بعض الأدوية تخفض مستويات الكولسترول والنوبات القلبية بنسبة مهمة. وفي دراسة أجرتها احدى جامعات جنوب كاليفورنيا على الرجال الذين أجريت لهم في السابق جراحة "تحويل جانبي" في الشريان التاجي، تبين أن أدوية خفض الكولسترول قد تخفض معدل الصفائح داخل الشرايين وترفع مستوى البروتينين الدهني المرتفع الكثافة[٣] أي الكولسترول "الجيد."

وعلى كل مرشح لتناول دواء مخفض للكولسترول استشارة طبيب يفحصه بدقة أخذا في الاعتبار عمره ونمط معيشته وتاريخه العائلي والصحي ومستوى الكولسترول لديه.

أثار بريت ومور وستار ومؤلفون غيرهم أسئلة تشكل تحديا بخصوص الكولسترول. وتذكرنا هذه الاسئلة بأن الجسم آلة مركبة معقدة تتمتع بغريزة خارقة لتحدي الاجوبة السهلة. لذلك فان سؤالا أساسيا واحدا يُطرح في النهاية: ماذا نعرف نحن الآن عن الكولسترول؟

هنا خلاصة الابحاث:

١

• **الرجال.** ثمة دليل قاطع على أن الرجال بين الخامسة والعشرين والخامسة والخمسين من العمر معرضون لخطر الاصابة بمرض القلب الناتج من انسداد الشريان التاجي اذا كان مستوى الكولسترول لديهم ٢٤٠ أو أكثر. أما احتمال الاصابة بهذا المرض فيزداد لدى ذوي الكولسترول المنخفض اذا اقترن بعامل خطورة كالتدخين أو ارتفاع ضغط الدم. واذا كان هناك عاملا خطورة اضافيان، ازداد كثيرا امكان الاصابة بمرض القلب الناتج من انسداد الشريان التاجي.

ينحصر البحث في الرجال البالغين الستين من العمر وما فوق. ومعروف أن مستويات الكولسترول ترتفع كلما شاخ الجسم، ولكن هناك أدلة متناقضة حول ما اذا كانت مستويات الكولسترول المرتفعة تزيد خطر تعرض المسنين لمرض القلب الناتج من انسداد الشريان التاجي.

على رغم ان الاخطار الناجمة عن المستويات المنخفضة من الكولسترول

(٢) Coronary-bypass surgery
(٣) High density lipoprotein

ليست مؤكدة وثائقيا مثل أخطار المستويات المرتفعة، فان الادلة تشير الى أن الشبان والرجال المتوسطي العمر الذين لديهم مستويات من الكولسترول تقلّ عن ١٦٠ يتضاءل خطر اصابتهم بمرض القلب الناتج من الانسداد التاجي، لكنهم قد يتعرضون لازدياد حدوث السكتات الدماغية والسرطان. ويشير بعض الادلة الى أن مستويات الكولسترول ما بين ١٦٠ و٢٠٠ هي، في غياب عوامل خطورة أخرى، أكثر ملاءمة صحيا. لكن هذا ليس في أي حال دليلا حاسما.

٢ • **النساء**. يركّز معظم دراسات الكولسترول على الشبان والرجال المتوسطي العمر. ولكن أجري عدد كاف من الابحاث التي تظهر أن النساء نادراً ما يعانين أمراض القلب قبل انقطاع الطمث، حتى اللواتي تتجاوز مستويات الكولسترول لديهن الـ٢٤٠ - ما لم تكن لديهن عوامل خطورة أخرى.

أما بعد انقطاع الطمث فان نسبة النساء ذوات المستويات المرتفعة من الكولسترول اللواتي يصبن بمرض القلب الناتج من الانسداد التاجي تكاد تساوي نسبة الذين يصابون بهذا المرض من الرجال المتوسطي العمر ذوي المستويات المرتفعة من الكولسترول.

ولكن يبدو أن تفاوت خطر الاصابة بمرض القلب بين النساء والرجال المتساوين في العمر، يقلّ بعد انقطاع الطمث لدى النساء ومع تقدمهن في العمر.

٣ • **حمية الكولسترول المنخفض**. ان الصلة بين مستويات الكولسترول في الدم واستهلاك أغذية دهنية غنية بالكولسترول (كاللحم المدهن وصفار البيض والزبدة) تبدو أقل وضوحا ودقة مما اعتُقد سابقاً. ولكن لا تزال هناك أدلّة قوية تثبت أن الغذاء المثقل بالدهن والغني بالكولسترول ليس صحيا.

٤ • **أدوية خفض الكولسترول**. ان تأثير معظم الادوية التي تخفض الكولسترول في المدى البعيد لم يحدد بعد. وفيما ينجح كثير من هذه الأدوية في خفض الكولسترول بنسبة مهمة في بعض الحالات، فليس هناك دليل جازم على أن هذه الادوية تطيل العمر.

ونظراً الى الاعراض الجانبية الممكنة، ينبغي الاحتراس في تعاطي هذه الادوية، وذلك بعد اخفاق جميع الوسائل الأخرى. وأي قرار بتناولها يجب أن يقترن باستشارة طبيب وبدراسة دقيقة للفوائد والاخطار التي قد تنجم عنها.

جون بيكانن ■

من غرائب البورصة أن كلما اشترى أحدهم أسهماً يكون آخر قد باع هذه الأسهم، ويتباهى الاثنان بدهائهما.

و.ف.


اكب فريق من المهندسين
على ابتكار أول مرآة كاملة لكشف أسرار الكون
المرآة الفضائية

عصر يوم خريفي وقف أربعة وعشرون رجلاً في مصنع بولاية كونيتيكت الأمريكية ببذلات العمل الفضفاضة الزرقاء والكمامات الجراحية تعلو وجوههم، يراقبون باهتمام عملية تفريغ الهواء من صندوق فولاذي لا يصدأ يبلغ ارتفاعه ستة أمتار، لجعله مماثلا للفضاء الخارجي. وبدا في الداخل قرص زجاجي قطره متران ونصف متر وقيمته ١٥ مليون دولار، كان جاك كردوك وفريقه على وشك طلائه بالالومنيوم.

هذا القرص الزجاجي هو من أكمل ما صنعه الانسان. انه المرآة الأساسية لـ"تلسكوب هابل الفضائي"[1] الذي اطلقه في ربيع هذه السنة "المكوك الفضائي."

وقد أمضى رونالد رغبي خمس سنوات يعمل بجهد مضنٍ على شحذ المرآة الضخمة وصقلها. واليوم يضع كردوك اللمسات الأخيرة. وهو لم يشعر في حياته بمثل هذا التوتر العصبي. ذلك بان اخفاقه سيرتب على شركته ملايين الدولارات ثمنا لأعمال الترميم. أما النجاح فسيتيح لعلماء الفلك استطلاع أرجاء الكون وماضيه.

وتزعم احدى النظريات أن الكون تفجّر وجوداً قبل ما يزيد على ١٠ مليارات سنة، وهو ما زال في حال من التمدد. فإن رأينا تفاصيل هذا الانفجار الهائل – يقول علماء الفلك – فلسوف نتمكن من تصور مساره.

وفي وسع أي كان رؤية بعض المسار القديم للكون بالعين المجردة. ففي الليالي تتراءى في السماء مجرة "المرآة المتسلسلة" (أندروميدا). انها دوامة غائمة من مليارات النجوم هي أبعد ما تراه عين بشرية. ولأن ضوءها استغرق مليوني سنة لبلوغ كوكبنا، فإننا نشاهد هذه المجرة كما كانت قبل مليوني سنة.

وليست مليونا سنة ضوئية بمسافة بعيدة، إذ تمكنت التلسكوبات الكبيرة من تصوير مجرات على أبعاد تفوق ذلك ألوف المرات. لكن "الانفجار الهائل" وقع على مسافة أبعد كثيراً، مما يحول دون رؤيته بأي من التلسكوبات الارضية. والسبب أن الاضطرابات الجوية تُظهر النجوم متراقصة ومنتفخة كقطع نقد معدنية في قاع بركة. أما النجوم الباهتة فتكاد لا ترى.

وفي العام ١٩٦٢ بدأ ليمان سلتزر من جامعة برنستون يحضّ وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) على وضع تلسكوب كبير في مدار في الفضاء. ومن شأن هذا التلسكوب الذي أُطلق عليه اسم الفلكي الرائد إدوين هابل، أن يقرِّب الرؤية من "الانفجار الهائل" مع إظهار تفاصيل أدق بعشر مرات. وقد يميط اللثام عن أسرار الكوازار، وهي أجرام سماوية غامضة تُطلق في الثانية الواحدة طاقة تعادل ما تطلقه شمسنا خلال عشرة آلاف سنة. يقول سلتزر: "تلك هي الأشياء التي نعرف أننا نراها. لكن ما لا نتصور وجوده اليوم قد يكون أكثر إثارة." ويضيف أن هذه الاكتشافات قد تعادل أهمية ما اكتشفه غاليليو.

(١) التلسكوب هو المقراب.

© 1989 BY TERRY DUNKLE, CONDENSED FROM DISCOVER (JULY '89), NEW YORK, N.Y.
PHOTO: COURTESY OF HUGHES AIRCRAFT CO. ILLUSTRATION: DON DIXON AND RICK STERNBACH

وافقت "ناسا" على المشروع، لكنها حجَّمته قبل إبرام العقود في العام ١٩٧٦. وكان مخطط الوكالة يقضي بجعل المرآة في شكل كعكة دائرية مجوّفة في الوسط، بقطر يبلغ ٣٠٥ سنتيمترات، بحيث يقع الضوء على سطحها المقعّر الصقيل و"يقفز" الى مرآة أمامية أصغر، ليرتدّ من خلال الثقب المركزي الى آلات تصوير تلفزيونية.

لكن ضغط الموازنة وكثرة القيود التقنية قلّصت قطر المرآة الأساسية الى ٢٣٩ سنتيمتراً، مما خفض طاقتها بنسبة ٣٦ في المئة.

يمكن، نظريا، تعويض جزء من هذه الخسارة باعتماد مرآة أنعم. لكن المخططات حددت التفاوت السطحي[٢] المسموح به بـ٥،١٢ نانومتراً.[٣] ويعني ذلك أن المرآة لو نُفخت ليعادل قطرها قطر خليج المكسيك، لما ارتفعت تموجاتها الا بمعدل ستة مليمترات. وبالمقارنة، يبلغ ارتفاع التموجات على سطح عدسة نظارة ١٥ متراً في حال مماثلة. ان أحداً لم ينجح الى الآن في صنع زجاجة كهذه.

وكان عقد بناء التلسكوب من نصيب شركة "بركن – ألمر" في نورووك بولاية كونيتيكت، باعتبارها شركة متخصصة بالآلات العلمية وقد تقدمت بالعرض الأدنى: ٧٠ مليون دولار.

زوبعة في فنجان. اختارت "بركن – ألمر" رونالد رغبي لقيادة فريقها المتخصص بالبصريات. وكانت له خبرة ٢٥ سنة في هذا الحقل. وهو رجل متورد الوجه أبيض الشعر أشتهر في الشركة بقميصه ذي الجيبين المنتفختين بأقلام الرصاص والمساطر والأقراص المضادة للحموضة، فضلا عن علبة نظارتيه وحاسبة الكترونية. وزاده شهرة اندفاعه المجنون، وقد وصفه أحد رؤسائه: "إنه غير انطوائي كبعض العاملين بالبصريات الذين لو كلفتهم القيام بمثل هذا العمل لانهاروا عقلا وجسداً."

وقال أحد زملائه: "انه مجنون أصلا، لذا لم تؤثر فيه المهمة."

في المرحلة الأولى، فيما الفريق يشحذ الزجاج الى التقعُّر المحدد، اكتشف أمراً خطيراً إذ وجد تحت سطح الزجاج، قريبا من الطرف، شقاً يتشعَّب عروقا بالغة الصغر في شكل فنجان شاي يرتفع ستة مليمترات.

ساد الرعب الفريق، ذلك بان شقاً أو ثلما في زجاج بمثل هذا الحجم (نحو طن) يعني كارثة، لأن الضغوط داخل الزجاج تتركز دائما في الطرف الأكثر حدَّة. وقد تحطمت مرايا أصغر حجماً من جراء صوت مرتفع أو لمسة اصبع. لذا من الضروري إزالة الشكل الفنجاني وتسوية الجرح، وإلا اتسع نطاقه.

فكر رغبي في اختراق "خاصرة" المرآة بواسطة مثقاب أسنان، وتفريغ الشكل الفنجاني من تحت. ونصح محلل إجهاد بنزعه من فوق بواسطة آلة تجويف. وارتأى آخر أن التشعب محكم السداد ولا حاجة الى معالجته.

---

(٢) Surface tolerance

(٣) النانومتر جزء من مليار من المتر.

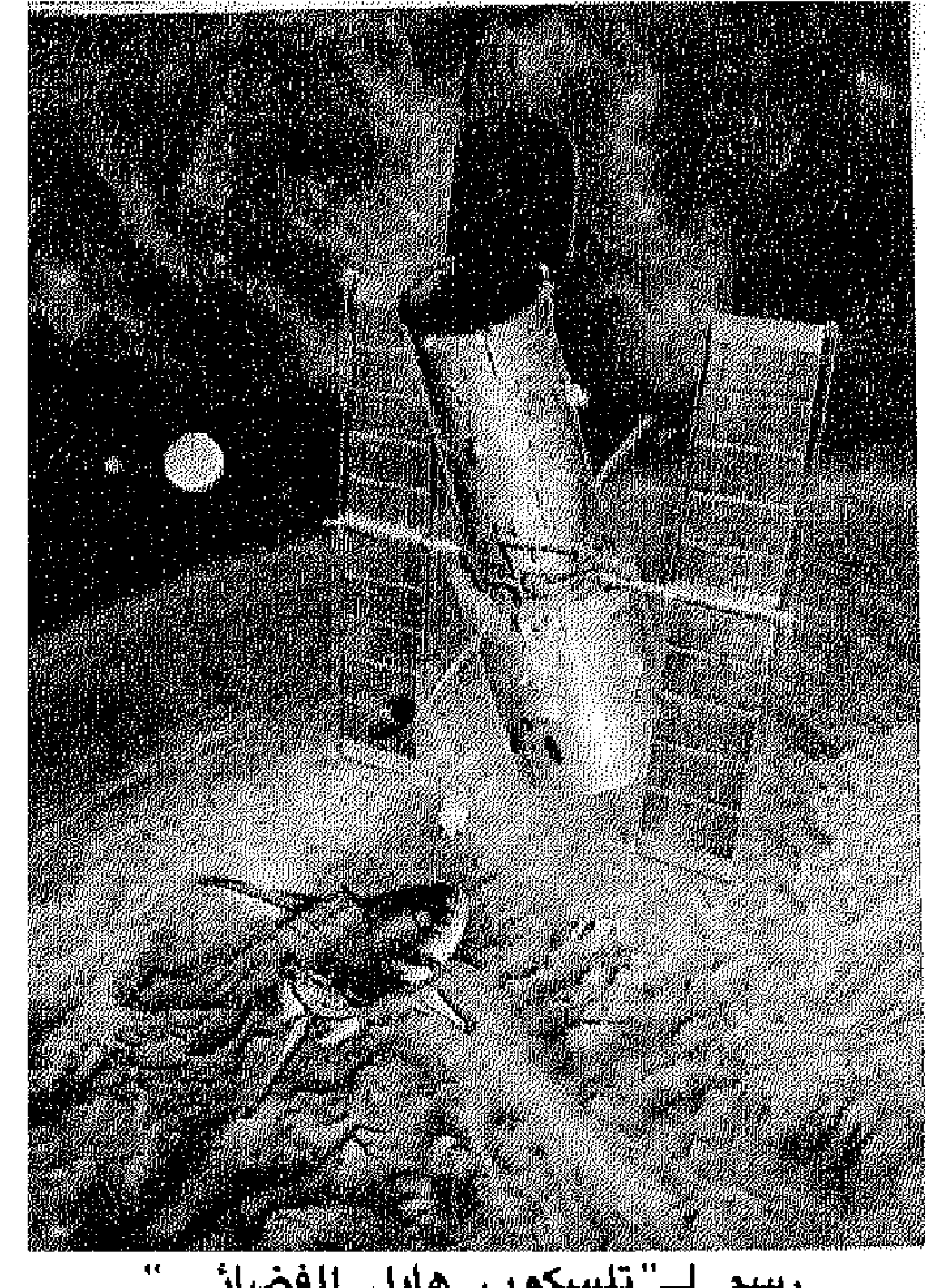
فردّ رغبي سائلا: "كيف لك أو لي أن نتأكد من ذلك؟" فمعلوم أن التشعب لا يصبح محكم السداد الا في حال تكونه قبل تبريد الزجاج إثر صبه.

بدا رغبي مالكاً زمام الأمور، حتى تنبَّه أحدهم الى أن استعمال المثقاب سيلوِّث داخل المرآة الأجوف بغبار الزجاج. وفي الفضاء قد يسبح الغبار في الفراغ ويعوق الرؤية. لذا، بعد أسابيع من التردد، وجد رغبي نفسه يقوم بالعمل الأوحد الذي يعرف أنه قد يتسبب في حدوث الكارثة. فحبس أنفاسه فيما راحت آلة التجويف تقضم الزجاج. إلا أن الانفجار الصامّ للآذان لم يحدث.

نُقل الشكل الفنجاني "المصبَّر" داخل قرص في حجم سدادة قارورة، الى مقر "ناسا" لإجراء التحاليل. فجاءت النتيجة بعد أشهر أن الشقّ محكم السداد، وأن استبقاءه لن يشكل خطراً على الأرجح.

تضايق البعض من الندبة الظاهرة في المرآة، الا أن رغبي قال: "انسوا الفنجان. فحين نستكمل الصقل ستظهر الندبة كشامة حسن على كتف امرأة جميلة."

سباق مع الوقت. قبل الشروع في عملية الصقل احتاج رغبي الى معدات لقياس استواء السطح. فابتكر المهندس لو مونتانينو آلة بلغت كلفتها خمسة ملايين دولار تطلق اشعاعات ليزر ترتدّ عن الزجاج فترسم خريطة تظهر "تلالا" و"أودية" على سطح المرآة لا يتعدى



رسم لـ"تلسكوب هابل الفضائي."

عمقها أو ارتفاعها ربع نانومتر. وكانت هذه الآلة من الدقة بحيث أن "اهتزاز" المبنى من جراء حركة المرور على بعد ١٥٠٠ متر كان يحول دون إجراء القياسات إلا في ساعات الصباح الباكرة.

إذذاك صار لزاماً على رغبي أن يبتكر وسيلة صقل جديدة. وكانت الوسيلة المتبعة مذ بنى اسحق نيوتن أول تلسكوب عاكس عام ١٦٦٨، تقضي باستعمال قرص في حجم المرآة مطلي بأحْمَر الصقل الذي يستعمله الصاغة. ويحك هذا القرص جيئة وذهوبا صاقلا المرآة بسرعة أكبر في بعض أنحائها تبعا لحركة دفعه. لذلك كان على التقني الكفي أن يعدل حركته لنزع الزجاج من الأماكن المرتفعة خصوصاً. ومع ذلك فلا مفر من ترك بعض النتوءات والتجاويف، وإن أدار القرص عبقري مثل رغبي. ولاستدراك هذا الخلل لجأ فريق رغبي الى آلة يديرها

كومبيوتر تستطيع توجيه قرص بحجم قطعة نقد كبيرة عبر الزجاج، بحيث يعالج النتوءات حصراً.

بوشرت عملية الصقل في أغسطس (آب) ١٩٨٠. وجاءت النتائج رائعة أول الأمر. وأشار التخطيط الى اقتراب سطح المرآة من الكمال المطلوب بعد كل جولة صقل تدوم أسبوعا. لكن هذه الجولات بدأت تطول مع اقتراب المرآة من الرقة المحددة. فقال رغبي: "علينا الآن العمل بقول النجار: قِسْ مرتين وقُصّ مرة."

ومع اطلالة نوفمبر (تشرين الثاني) بدأت شركة "بركن – ألمر" تتعرض لضغوط من "ناسا" بسبب الاسراف في الانفاق على التلسكوب، اذ زيدت تكاليفه نحو ٦٠ مليون دولار قبل انجاز أي من أجزائه الرئيسية.

لكن تعجيل اختصاصي بالبصريات أمر غير ممكن. فهو يحتاج الى وقت لشحذ حدسه وحسه الباطني، كما هي حال رغبي. ومع تقدم فصل الشتاء غدا تقدم رغبي بطيئا الى حد مؤلم، اذ كان أحيانا يمضي أسبوعا في إزالة نتوء بارتفاع ٢٥ نانومتراً.

وفي فبراير (شباط) ١٩٨١ بدت المرآة كاملة. لكن عيوبا صغيرة تخللتها، وأراد رغبي تسويتها بآلة كبيرة.

وهو يذكر باستياء: "مضينا في عملية التنعيم، فماذا كانت النتيجة؟ شوّهنا المرآة بدل تسويتها؟" وكان تصحيح العيوب يتطلب عدة أسابيع ويكلف نحو مليون دولار إضافية.

فكّر رؤساؤه في أخذ المرآة منه. فلربما قبلت "ناسا" بدقة أقل من المطلوب. لكن رغبي اعترض: "لن أقبل بمخالفة العقد!" فالعقد الذي وقعته "بركن – ألمر" مع "ناسا" يقضي بتحقيق دقة معيَّنة. كما نص على منح "بركن – ألمر" مكافأة تشجيعية قيِّمة اذا أدى التلسكوب عمله على النحو المنشود.

احتفظ رغبي بالمرآة حتى ١٤ أبريل (نيسان) معتمداً الخداع والتسويف. وهذا ما لا يفعله عامل بصريات "عاقل." وهو يقول في ذلك: "عندما ينتهي العمل نكون أغضبنا الجميع فلا يعود أحد يقبل بالتحدث الينا. لكننا نكون صنعنا مرآة في منتهى الكمال."

والواقع أن نعومة الزجاج فاقت المطلوب بنسبة ٢٠ في المئة. لكنه لم يصبح مرآة بعد. وما تبقى من المهمة يقع على عاتق رجل من نوع آخر هو جاك كردوك.

لمعان فريد. لم يولِ كردوك المرآة اهتماماً جديا بمقدار ما فعل رغبي، وقال في سبتمبر (أيلول) ١٩٨١: "لي اهتمامات أخرى."

جلس كردوك (٣٦ عاما) ذو الوجه العريض على صندوق المرآة المقفل حيث كُتب: "معدّات ثقيلة خطرة." انه رئيس دائرة الطلاء في شركة "بركن – ألمر"، وقد أمضى كثيراً من وقته في انجاز مرايا من قياس ٥٠ سنتيمتراً لطابعات "ميكرالين" الالكترونية. وكان اهتمامه بتلسكوب "هابل" ينحصر في مبلغ المليون ونصف المليون دولار المخصصة

لبناء أكبر حجرة طلاء في العالم. قال وهو يدق الصندوق بأنامله: "حالما أنهي هذه المهمة سأملأ هذا الصندوق بثماني طابعات "ميكرالين."

كانت المواصفات المحددة لطلاء تلسكوب "هابل" أصعب ما واجهه كردوك، إذ تقضي بأن تكون سماكة الطلاء ١٠٠ نانومتر حتى اذا قشرت ونثرت في الهواء طارت معلقة مثل دخان. ويجب أن يكون لمعانها فريداً، خصوصاً تحت الاشعة فوق البنفسجية. يقول كردوك: "يجب أن تعكس ٧٠ في المئة في هذه الأشعة، الأمر الذي لم يحققه أحد بمرآة في هذا الحجم."

بعد عزل المرآة في حجرة الطلاء تبدأ المضخات تفريغ الهواء. ثم تطلق أربع قاذفات سيلا من الالكترونات على كتل من الألومنيوم موضوعة في بواتق[٤] موزعة على مسافات متساوية حول الحجرة. اذذاك يتبخر المعدن ليطلي الزجاج بقشرة لمّاعة. وأخيراً تتولى أربع قاذفات أخرى إطلاق طبقة من فلوريد المغنيسيوم لعزل الطلاء.

ولكن حتى أفراغ الفراغات يتضمن ملايين المليارات من ذرات الأوكسيجين، لذا يبدأ الالومنيوم التآكل إن لم يُعزل بسرعة، وتظهر المرآة سوداء كالقار تحت الأشعة فوق البنفسجية.

النقطة الصفر. بزغ النهار المقرر لعملية الطلاء بارداً عاصفاً. وألفى كردوك مكتبه مكتظاً بالزائرين، إذ أرسلت "ناسا" ستة خبراء كما وفد ستة مسؤولين من شركة "بركن – ألمر" ومعهم رغبي.

في الساعة المحددة للطلاء أخذ الفنيون مواقعهم، فيما اقترب الحضور ضاغطين على طاولة الكومبيوتر حيث يجلس التقني كارل جورج.

فصاح كردوك: "جميعكم الى الوراء! خلف الطاولة!"

شغّل الفريق أربع مضخات لسحب معظم الهواء. وجلس كردوك شاحباً يحملق في لوحة التحكّم.

وأخيراً حان وقت الطلاء.

هدرت أربع قاذفات الكترونية في الحجرة، فيما قفزت مؤشرات الفلطية الكهربائية الى الرقم ٩٠٠٠ واستقرت. فلاحت أمارات الارتياح على وجه كردوك الذي أمر الفريق: "افتحوا المصاريع!"

عَمُق الهدير، وتحرك خط على شاشة الكومبيوتر محدداً ببطء السماكة المطلوبة. غمر الغرفة ضوء ذهبي، وتوهج الألومنيوم باللون الأحمر الوردي حيث مزقته الالكترونات. وبدأت المرآة تتحول رمادية كأنها تُرشّ بالدهان من بعد. ثم راحت تتوهج تدريجا بلمعان رائع.

فجأة تغيرت طبقة الهدير اذ انغلقت المصاريع.

وأمر كردوك مصفقاً بيديه: "حسناً، لنبدأ عملية العزل."

تسارعت أنامل جورج فوق لوحة مفاتيح الكومبيوتر، وراح كردوك يراقب مقياس الفلطية.

فجأة ارتسم الرعب على وجه كردوك

(٤) البوتقة وعاء يذيب فيه الصائغ المعدن.

اذ رأى مؤشر قاذفة الفلوريد الرقم واحد متوقفاً عند النقطة الصفر. وكانت الساعة تتكّ: ٢٠ ثانية، ٢٥ ثانية. دقيقتان وينتهي الوقت المحدد لعملية العزل بقاذفات الفلوريد الأربع، قبل أن يبدأ التأكسد.

نظر جورج الى كردوك وعيناه تتوسلان كي يفتح المصاريع. كان التقيد بالمواصفات ممكناً باستعمال ثلاث قاذفات، لكن ذلك غير متيسر خلال الفترة المحددة بدقيقتين.

أمر كردوك الفريق وهو يحملق في مقياس الفلطية: "هيا، شغّلوا القاذفة الأولى."

لكن المؤشر لم يتحرك.

فقال جورج: "اعملوا من دونه!"

فرفع كردوك يده ليسكته، ودقت الساعة مشيرة الى انقضاء ٨٠ ثانية. كان الجميع يحدقون الى كردوك.

"هيا!" صاح كردوك من غير تفكير مكشراً من الألم والاشمئزاز.

فجأة حدثت أعجوبة، إذ لحظة أُقفلت المصاريع أفاقت القاذفة الرقم واحد، وتحرك مؤشرها الى ٩٠٠٠ فولط وبدأ يتذبذب بانسجام تام مع المؤشرات الأخرى.

أطلق كردوك زفرة ارتياح أضحكت الحضور.

في الساعة ١،٥٣ بعد الظهر اكتمل قلب تلسكوب "هابل." وحين سمع رغبي انغلاق المصاريع رفع يده بعلامة النصر، ثم تقدم الى كردوك وصافحه بحرارة قائلاً: "كان ذلك عرضاً ممتازاً!"

ولدى اختبار درجة الانعكاس في اليوم التالي، سجلت المرآة نسبة بلغت ٧٨ في المئة تحت الأشعة فوق البنفسجية. وهذه النسبة تفوق ما حددته المواصفات بثماني نقاط، الأمر الذي أبهج وكالة "ناسا" وانتزع لشركة "بركن — ألمر" تصفيق الحضور وقوفاً في العرض الفصلي لنشاطات الوكالة ذلك الاسبوع.

وصف الخبير في وكالة "ناسا" وليم فاستي المرآة بأنها "أروع ما صُنع." وكانت صقيلة وناعمة الى حد أن "تموجاتها" قياساً الى خليج المكسيك بقيت دون خمسة مليمترات، وأن لمعان طلائها بلغ درجة من الكمال تفصلها أربع نقاط فقط عن الكمال المطلق. وهذا ما دفع فاستي الى الاستنتاج: "سوف نرى أجراماً تبعد مئات ملايين السنين الضوئية."

وبعد استكمال العمل في المرآة العملاقة، رقي كردوك إلى منصب "مدير عمليات البصريات"، كما رقي رغبي الى منصب "مستشار أعلى للبصريات الكبيرة." لكن رغبي تقاعد باكراً إثر بيع حصته في "شركة هيو للطائرات." وكلما فكر في العمل الذي أنجزه في المرآة العملاقة، هز رأسه متحسراً وقال: "لن أرى في حياتي مثل هذه المرآة."

أما كردوك فيضحك ويقول: "آمل الا أرى مثلها أبداً."

تيري دنكل ■

إن للذين حولنا الحق في أن يروا البسمة على أفواهنا. ج.ل.م.

عقاب المحبّين

ستة أمور يتحرق المراهقون الى البوح بها لوالديهم

أنا ضابط محقق في الشرطة. وقد تسنى لي خلال سنوات خدمتي أن أتحدث الى مئات الآباء والامهات الذين يشعرون بالأسى لأن أبناءهم وقعوا في مشاكل مع القانون، وهم يتساءلون: "أين أخطأنا؟"

مرات كثيرة يأتي الجواب من الاولاد انفسهم: "ابي وأمي لم يصغيا إلي."

وأشاهد هؤلاء الاولاد في الطريق الى اصلاحيات الاحداث. وبعد أن أصغي اليهم أطرح عليهم هذا السؤال: "لو كان والداك جالسين معنا الآن، فماذا كان بودّك أن تقول لهما؟"

والتطابق مثير بين اجاباتهم وتلك التي أدلى بها الاحداث الجانحون في مركز "غلف" الاصلاحي في أونتاريو في كندا ردا على أسئلة تشارلز غاليا الذي اعتمدتُ كتابه "دستور للأهل" في كتابة هذه المقالة.

اليكم ما يود أولادكم ان يبوحوا به اليكم:

"حافظوا على برودة أعصابكم." القاعدة الأولى هي أن تتجنبوا الغضب والانفعال في المواقف الحرجة. فالطمأنينة التي توحيها ردود الفعل

PHOTO: © BILL BINZEN / THE STOCK MARKET

المنضبطة هي ما يحتاج اليه الاولاد.

أذكر فتى أدمنت أمه الكحول. وكانت ردود فعلها لأعماله غاضبة وعنيفة. وعندما التقيته للمرة الاولى كان محتجزاً لارتكابه أعمال تخريب في الممتلكات. وبعد سنتين قتل جاراً.

لو تميزت ردود فعل والدي الفتى بالمحبة والتفهم بدل الغضب والعنف، لسلك الفتى طريقاً أخرى.

إذا ضبطتم أولادكم يكذبون أو يغشون أو يسرقون أو يشتمون أو يدخنون، أدبوهم وعاقبوهم، ولكن دعوهم يشعرون بمحبتكم لهم حتى عندما يخذلونكم.

"لنرَ من هو صاحب القرار." يفضل معظم الاحداث أهلاً صارمين. انهم لا يحبون القسوة، لكنهم يحتاجون الى أهل يبدون ثباتا في فرض العقاب كي يدركوا هم عواقب أعمالهم التي يتخطون فيها الحدود.

معظم جرائم الاحداث التي حققت فيها تنطوي على نوع من تخطي الحدود. والمشهد عموماً هو كالآتي:

يُضبط سامي وهو يسرق لوح شوكولاتة. وبدل أن يعلم صاحب المحل الشرطة، يتصل بأهل الفتى الذين ينزلون به عقابهم الخاص: "لا تلفاز لمدة أسبوع." وفي اليوم الخامس يتسلل سامي الى غرفة الجلوس ويشاهد التلفاز لمدة ساعتين. يراه أبواه ويغضان النظر. هكذا تنهار الحدود الاولى.

ثم يرسم الوالدان حدوداً ثانية: لا مكالمات هاتفية مع أصحابه. لكن سامي "يلتفّ" على هذا الحكم أيضاً. وهكذا ينشأ لديه اعتقاد أن في امكانه أن يفعل ما يشاء بما أن والديه لم يفرضا قراراتهما.

وتغص السجون بأمثال سامي الذين تخطوا الحدود المرسومة. انني أسمعهم يصرخون: "كان بودّي أن يريني والداي من هو فعلا صاحب القرار النافذ."

"تذكروا من أنتم." إن كنتم في السن الاربعين فلا تتصرفوا كأنكم في السادسة عشرة. فأولادكم يحتاجون الى شخص بالغ يحترمونه ويتمثلون به.

أذكر زوجين بذلا جهداً كبيراً للظهور والتصرف على نمط ابنهما البالغ السادسة عشرة من عمره، فيقلدانه بالكلام والملبس. وفي إحدى زياراتي للعائلة نظر الي الاب وأشار بيده الى ابنه وقال بلهجة متصابية: "هاي، يا رجل، افعل شيئاً لابني. أتعرف ما أعني؟"

نظرت الى الاب وقلت في نفسي: نعم أعرف، وأحد الاسباب منظرك السخيف هذا.

وهذا ما يخجل أولادكم من مصارحتكم به. لكن الرسالة واضحة: "كونوا لابنائكم آباء وأمهات، لا انداداً."

"أذكروا الله." يفتقر كثير من الاولاد الجانحين الى بُعد روحاني حقيقي في حياتهم. يقولون: "اننا نحتاج الى الايمان بما هو أكبر منا وأقوى."

تذكروا أن هؤلاء ليسوا ملائكة صغاراً، بل فتيان متحجرون قساة

© 1983 BY MYRLE CARNER. CONDENSED FROM A SPEECH DELIVERED ON FEBRUARY 19, 1983, BASED IN PART ON MATERIAL ADAPTED FROM «CODE FOR PARENTS,» DEVELOPED BY THE REV. CHARLES GALEA AND USED WITH HIS PERMISSION

يتحدّون المجتمع ولا يحترمونه. ومع ذلك يريدون أن يعرفوا عن الله. أخبروهم دائماً أن عين الله لا تنام.

"تحدّوا تهديداتنا." هل تعلمون أن الاولاد لا يعنون كل ما يتفوهون به؟ إنهم يحتاجون الى أهل لا ترعبهم تهديداتهم. أعرف والدين رضخا لكل طلبات ابنهما حين هددهما بترك المدرسة ثم بترك البيت.

أتصدقون أنه مستعد فعلا للتخلي عن فراش دافىء وثلاجة ملأى بالطعام وبيت يمنحه الأمان؟ لا تتراجعوا أمام تهديدات أولادكم.

"كونوا صادقين معنا." يحتاج الاولاد الى من يقول لهم الحقيقة. انهم يعرفونكم أفضل مما تعرفون أنفسكم. وهم يتقبلون النقد أكثر إذا صدر عن والد صادق ومستقيم.

لا يتعيَّن على جميع الوالدين تحمّل أولاد منحرفين. لكن معظمهم يواجه في فترة ما مراهقين متمردين.

تذكروا أن الاحداث لا يريدون رفيقاً أو شخصاً يسهل قياده أو خداعه. انهم يريدون أباً وأماً، لا بل يحتاجون الى أب وأم. والطريقة الفضلى للتعامل وأولادكم هي أن توازنوا بين الحب والتأديب.

ميرل كارنر ■



أستاذ ديموقراطي

كنا أنهينا جزءاً كبيراً من مقرر مادة البيولوجيا الاحصائية عندما أعلن الاستاذ المحاضر بنوع من التلذذ السادي عن قرب موعد الامتحان. وأضاف: "لكي أظهر لكم مدى ديموقراطيتي، سوف أخيّركم بين امتحان لمدة ثلاث ساعات وامتحانين يدوم كل منهما ساعة ونصف ساعة ويفصل بينهما أسبوع. فماذا تختارون؟"

فنظرنا اليه بوجوه متجهمة غير قادرين على تحديد أهون الشرّين، الى أن حسم أحدنا الامر قائلا: "أرجوك يا أستاذ، أنا أفضل أن أرسب في امتحان واحد لا في امتحانين!"

ج.ا.

خيال طفل

عندما كان أبناؤنا الثلاثة صغاراً واجه أحدهم صعوبة في العد. وحاولت مساعدته، فوزعت عليهم قصاصات ورق قائلة: "احسبوا انها أكواز أيس كريم." ثم جمعت الاوراق منهم وأنا أعدّ: "واحد... اثنان... أين كوزك يا سمير؟" فأجاب: "لقد أكلته."

ف.ب.

نختار أصدقاءنا بالغريزة، لكننا نبقيهم بالعقل والقرار.

ا.ك.

صرخة في الليل استدعت غريبا لإنقاذ عائلة من حريق مروّع


عاد جاي سايبرس من عمله في الثامنة بعيد منتصف ليل ١٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٨، وألقى نظرة على زوجته تومي وابنتيهما الصغيرتين الغارقات في نوم عميق. والتفت الى كلبه هاسيا: "هلمّ الى النوم".

واذ خطا خارجا نحو وجار الكلب، أجفلته صرخة رعب تقشعر لها الأبدان خرقت سكون الليل الجليدي في بلدة سانت ماريز الريفية بولاية ايداهو.

ظن جاي لوهلة ان الصرخة رجع أنين يجوس جبال كليرووتر البادية كطيف في الأفق. ثم رأى ألسنة نار تضيء السماء على بعد نحو ستمئة متر فأدرك كنه تلك وجاره وركض لإيقاظ زوجته قائلا "اتصلي بسرية الاطفاء! ارسليهم الى طريق ميل تاون".

وبعد ثوانٍ انطلق جاي في سيارته

ILLUSTRATION: DAVID BECK


مأساة واقعية
"النجدة!
عائلتي تحترق!"



(من اليمين) ليونارد ورايان ثوت وجاي سايتز وانجيلا وسندي ثوت.

مسرعاً في الدرب الترابي المؤدي الى الطريق الرئيسية. وكانت النار تستعر فوق تلة صغيرة تربض عليها مجموعة من المنازل النقالة. أوقف جاي سيارته وعدا بأقصى سرعته مرتقياً ممراً شديد الانحدار نحو النار المتقدة.

وحين بلغ أعلى التلة رأى عربة مقطورة تلتهمها النار وتلفها ألسنة من لهب تتطاول مفرقعة تسعة أمتار في الهواء. وكانت امرأة شابة في ثياب النوم تركض جيئة وذهوباً باهتياج وتقفز محاولة كسر النوافذ المرتفعة نحو مترين بيديها العاريتين، وتصرخ: "يا إلهي! عائلتي تحترق!"

شعر جاي بالذعر للحظة. وبدا أنه لم يكن في المكان أحد سواه للمساعدة. لم يرَ في حياته مثل هذا الحريق! كانت ألسنة اللهب تخرج من النوافذ المحطمة في مؤخر المقطورة وتلتف حول السطح. وعنفت الأصوات الهادرة المطقطقة. فأمسك جاي المرأة من كتفيها وصرخ: "أين هم؟"

رددت سندي ثوت كلمات لاهثة غير مفهومة وقد تلبد شعرها الاشقر الاجعد بالعرق والتوى وجهها الذي خططته الدموع بفعل الألم المبرح. قالت انها تريد أن تموت مع أفراد عائلتها إن لم يُنقذوا. لكن جاي هزها بعنف لأن اللحظات الحاسمة كانت تمر سريعة، وأمرها: "تحدثي إليّ!"

فقالت له جاهدة أنها خرجت عبر احدى نوافذ غرفة النوم الرئيسية، فيما اندفع زوجها لانقاذ طفليهما، وكان مفترضا أن يناولها اياهما من غرفة النوم. ولكن بعد ثوان هبت النار من نوافذ المطبخ وغرفة النوم. وهنا عادت سندي الى البكاء الهستيري.

"أين هم؟" صاح جاي. فأشارت سندي الى الطرف الملتهب من المقطورة، حيث خرج دخان كثيف أسود من النوافذ.

"أنقذ الطفلين!" تعلّم جاي مذ بدأ يمارس الرياضة صغيراً أن يصارع الشدائد. وذات مرة في مباراة مدرسية

PHOTO: © AL VOGEL

لكرة القدم، أصيبت ركبته إصابة جسيمة فمنعه الأطباء من اللعب ذاك العام.

وبعد جراحة رئيسية طُعِّمت خلالها العضلات بانسجة حية، خضع جاي للمعالجة الفيزيائية بجد وتصميم منقطعي النظير. وبعد أشهر، خلال مباراة حاسمة في كرة السلة، نزل الى الملعب وركض فيه وساقه ملفوفة برباط. وحين رآه النظارة نهضوا وحيوه هاتفين والدموع تترقرق في مآقي كثيرين منهم. وكان أن انتصر فريق مدرسته بفعل تلك البادرة التي رفعت معنوياته.

وكان جاي يتذكر على الدوام كلمات والده مورل، وهو خشّاب جبلي ومدرِّب بايسبول متطوع، قال: "لم تنفع عبارة "لا أستطيع" أحداً يوماً. أنت من يستطيع. لا تتوقف عن المحاولة يا بني!"

بدت كلمات والد جاي محفورة في ذهنه عندما انطلق كالسهم نحو نافذة غرفة النوم، ووثب الى أرض الغرفة مقوساً جسمه عبر قطع الزجاج المكسورة. وكان جاي طويل القامة (١٨٣ سنتيمترا) ناحلا قوي العضلات.

أحس حريقا في عينيه وسط السواد المدلهم، وشعر لدى تنفسه بانحباس الهواء في حنجرته وكأن مجرى تنفسه قد سُدَّ. ثم عاد يتنفس بجهد محدثا صوتا كالصفير. وتعثر برجل طويل القامة ضخم البنية ملقى في وسط الغرفة وهو يئن قائلا: "الطفلان! يا إلهي! أنقذ الطفلين!"

بدا صراخ الطفلين، وإن مكتوما، كأنه على بعد سنتيمترات قليلة. فناداهما جاي: "أين أنتما؟" ثم شعر بحركة في الظلام، فانحنى وأحس بيدي طفل تعانقانه.

احتضن جاي الصغير وسلمه الى أمه التي قالت باكية إنه رايان (٢٢ شهرا)، وأضافت أن طفلتها أنجيلا (٦ أسابيع) وزوجها ليونارد ما زالا في الداخل.

بدأ كل شهيق يسبب لجاي تشنجات خانقة. فخلع قميصه ولفه حول وجهه، وراح يتحسس أرض الغرفة لانعدام الرؤية، حتى لمس كتفي الرجل الغائب عن الوعي. حاول رفعه، لكن ثقل الجسد المتلاشي حال دون ذلك. حاول مرة تلو أخرى حتى سقط القميص عن وجهه وعاد يتنفس الدخان السام الذي حزّ في رئتيه، وكاد يعجز عن التنفس.

مشاهد من الجحيم. سار جاي مترنحا نحو النافذة المحطمة وقفز منها مدركا أن بقاءه ثانية واحدة في الداخل كفيل بافقاده الوعي.

في تلك الاثناء، وصل مغيثون آخرون. ودخل أحد الجيران المقطورة العابقة بالدخان ليخرج بعد ثوان وهو يتنفس بصعوبة. وكان الطرف الاخير من المقطورة يستعر كداخونة مصنع عملاقة تنفث دخانا كثيفا وسط اللهب. انه كمشهد من الجحيم.

فجأة ساد الجمع شعور عجيب بالهدوء وسط قرقعة النار الهادرة، اذ توقفت الطفلة عن البكاء. أصغى جاي عله يسمع البكاء الخافت مجددا، فلم يتبادر الى سمعه سوى توسلات الأم المعذبة. فأخذ نفسا عميقا.

دبّ على يديه وركبتيه متحسساً الأسرَّة والثياب والفرش وجسم والد الطفلة الغائب عن الوعي. وغدا كل جهد يسبب له آلاماً مبرحة، وأحس أن رئتيه على وشك الإنفجار. فانكفأ مترنحاً نحو النافذة وتمطّى محاولا أخذ قسط من الهواء النقي.

حزمة متمعِّجة. حبس جاي أنفاسه وعاد يبحث في الغرفة دابا على يديه وركبتيه وهو يتساءل: أين أنتِ يا أنجيلا، أين أنت؟ واذ باتت الحرارة داخل المقطورة غير محتملة، تحقق جاي أن الوقت المتبقي غدا قصيراً جداً.

ركز اهتمامه على الأب المغمى عليه. ووجد أن رجلي ليونارد عالقتان في كرسي. فراح يهز الكرسي غاضباً لتحريره. فجأة وجد نفسه يسقط. وبعد لحظة بات ممدداً على الارض ذاهلا. لقد أفلتت قطعة من الكرسي أصابت رأسه.

مرَّت الثواني الحاسمة، وبانزياح الكرسي صار بمقدور جاي أن يجر ليونارد نحو النافذة. وتذكر كلام والده: "لا تتوقف عن المحاولة أبداً. أبداً!"

واذ توقف جاي عند النافذة ناولته سندي مشعلا كهربائيا. اخترق شعاع الضوء الدخان الكثيف، وفجأة تسارعت نبضات قلب جاي اذ لمح حزمة صغيرة ملقاة قرب المكان الذي سقط فيه ليونارد. ألقى جاي نظرة أقرب فرأى أنجيلا مدثرة بملاءة كثيفة وهي تتلوى. فصاح: "إنها حية!"

التقطها بسرعة وناولها الى شرطي وصل قبل لحظات. ثم أخذ نفساً عميقا واقترب من الاب مفكراً: يجب انقاذه الآن وإلا فات الأوان.

عناق أم. قبض جاي على كتفي ليونارد. وبفعل هيجانه رفع أعلى الجسم الى طاولة تحت عتبة النافذة. ثم أمسك بالرجلين معاً وراح يدفع الضحية خارجا بكل ما أوتي من قوة.

صاح الشرطي: "لقد أمسكناه!" وراح يسحب جسم ليونارد يساعده متطوعون، ثم تلقفوه بأذرعهم وحملوه بصعوبة نحو الأمان.

تسلق جاي النافذة وقفز الى الأرض مبللا بالعرق وهو يتقيأ. وكان صفير غريب يخرج من رئتيه العابقتين بالدخان. وبعد لحظة زحف مبتعداً ومحاولا التركيز بعينيه المتورمتين المحمرَّتين.

ثم وقف مترنحاً ومشى بغير ثبات صوب النار، حيث مضى يدفع ثلاث سيارات ملأى بالوقود بعيداً عن نطاق الحريق.

وضع ليونارد في سيارة شرطة لنقله الى المستشفى. وتقدمت سندي من جاي، وكان وجهه ينزف وإحدى عينيه مغمضة. حاول أن يبتسم وهي تعانقه والدموع تنهمر على وجنتيها. قالت له باكية: "ليباركك الله. ليباركك الله!"

مشى جاي نحو سيارته خدِراً من الارهاق، وكانت الساعة ١٢،٥٥ بعد منتصف الليل. فوجد الأضواء الأمامية غير مطفأة والبطارية فارغة. أدار السيارة دفعاً وانطلق نحو المستشفى ليعالَج من

استنشاق الدخان ومن الجروح والرضوض. وعاد الى منزله في الثالثة صباحاً.

وكانت سندي وطفلاها نقلوا الى مستشفى بنوا من أجل علاجات مماثلة، فيما نُقل ليونارد وهو فاقد الوعي في طوافة الى مستشفى سايكرد هارت في سبوكن التي تبعد مسافة ١٠٠ كيلومتر.

ذاع خبر العمل البطولي الذي قام به جاي، ووصفته الصحيفة المحلية بـ"البطل المطلق." وفي المنشرة حيث يعمل استقبله زملاؤه بترحيب الحار، فيما بثت محطة تلفزيونية الخبر: "مأساة أكيدة انتهت نهاية سعيدة بفضل بسالة جاي ونكرانه للذات." لكن جاي الخجل من الدعاية قال: "حسبي أنني كنت هناك."

وهبّ سكان البلدة لمساعدة عائلة ثوت، فقدموا اليها الطعام والألبسة وفتحوا لها بيتاً من دون ايجار. وتبرع زملاء ليونارد بمبلغ ٢٢٠٠ دولار كانوا جمعوه للاحتفال بعيد الميلاد.

وبعد أسبوعين عاد ليونارد الى منزله وهو شبه عاجز عن الكلام والرؤية، فضلا عن تضرر رئتيه على نحو خطير. والآن وقد جاء دوره لمقارعة الشدائد، كتب الى سندي على قصاصة ورق: "سأشفى لأصافح جاي."

ويوم ١٤ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٩ استقبل جاي عائلة ثوت في باحة منزله المشمسة. وكان أذيع أنه سينال في شهر ديسمبر (كانون الأول) وساماً رفيعاً للبطولة، وقد جاء ليونارد وسندي لتهنئته.

لقد استعاد ليونارد صوته ونظره، وبقي عليه أن يتعوَّد العيش برئتين تقلصت سعتهما. شكر لجاي انقاذه حياة عائلته. فرد جاي بعد لحظة صمت: "أود أن يفعل شخص ما الشيء نفسه لعائلتي اذا وقع لها مثل هذا الحادث."

وحين انصرف ليونارد لم يتمالك جاي عن التفكير في أن الشكر حق أيضاً لرجل آخر: أبيه الذي علَّمه ألا يتوقف عن المحاولة. أبداً!

شلدون كيلي ■



الصداقة والانانية

لا يحق للمرء أن يتوقع صداقة من أصدقائه اذا لم يكن لهم يوماً صديقاً مخلصاً. يتذمر كثيرون من تخلي أصدقائهم عنهم، لكنهم لا يتوقفون ليفكروا في ما اذا كانوا هم البادئين بالتصرف الأناني. الصداقة فعل متبادل، والاناني ينتهي به الأمر محاطاً بالانانيين، تماما مثلما يحاط الكريم بالكرماء في نهاية المطاف. فالانسان يحصد ما يزرع.

ج.ل.د.

يستطيع معظم الناس النجاح في أعمال صغيرة لولا قلقهم على الطموحات الكبيرة.

هـ.و.ل

كلنا رسامون!

تؤكد معلمة رسم أن المهارة يمكن تعلمها كركوب الدراجة أو لعب كرة المضرب

لم يكن تعلّم الرسم هدفي وأنا أبحث عن بيتي ادواردز في كمبردج بولاية مساشوستس في يونيو (حزيران) ١٩٨٩. انما كنت مكباً على البحث في كتاب عن قوى العقل الكامنة، وكانت ادواردز كتبت مطولا عن تقنيّات طورتها في سبيل مساعدة الناس – حتى ذوي المواهب الفنية المتواضعة – على تحسين مهاراتهم الى حد بعيد.

قالت: "اسمع، يسرني أن أكلمك، لكني سأكون منهمكة في اعطاء مقرر تعليمي للرسم مدته خمسة أيام بدءاً من نهار غد. فلماذا لا تلتحق به؟"

قلت لها: "لا قدرة لي على الرسم اطلاقا."

فقالت ضاحكة: "هذا تماما هو المطلوب. فانت التلميذ الذي أسر بتعليمه. سوف تفاجأ بالتحسن الذي ستحرزه. أتمنى لك النجاح."

بيتي ادواردز أستاذة فنون في جامعة ولاية كاليفورنيا في لونغ بيتش، ومؤلفة أحد أكثر الكتب رواجاً عن الرسم. ومنذ نشر كتابها "الرسم في الجانب الأيمن من الدماغ"* قبل احدى عشرة سنة، بيع منه مليون ونصف مليون نسخة وترجم الى ١٣ لغة. أما المقرر التعليمي الذي تدرسه لغير المتخصصين بالفن، فهو على الأرجح أكثر المقررات التعليمية رواجاً لدى طلّاب جامعة ولاية كاليفورنيا.

وليس مستغرباً أن يثير نجاح ادواردز الغيرة والانتقاد. فأطباء الأمراض العصبية يجادلون في أن تفسيرها لانطباق ابحاث الدماغ على الرسم غير موثوق به علمياً، فيما يدّعي بعض معلمي الفنون أن تقنياتها التعليمية هي تركيبية وتخطيطية الى حد تختنق معه قدرة التعبير والابداع. وفي المقابل، يعتقد المعجبون بها أن الاعتراض على عملها قد يكون سببه اعتقاد ان ما هو غير

(*) Drawing on the Right Side of the Brain

CONDENSED FROM NEW YORK (DECEMBER 11, '89), © 1989 BY
NEWS AMERICA PUBLISHING, INC., NEW YORK, N.Y.

مخصص للفنانين ويصلح لعامة الناس لا يمكن أن يكون فناً عميقاً.

أما أنا، فكلّ ما كنت أعرفه هو أن ادواردز وعدت بأن تعلمني الرسم، وان ليس لدي ما أخسره.

الوعي والذاكرة. صباح اليوم التالي وجدت نفسي جالساً في قاعة محاضرات مع أربعين طالباً، كثيرون منهم في الستينات، وطالبة واحدة في سن المراهقة، والباقون من أعمار مختلفة. وكان بينهم شاعر وطبيب ومدير شركة تأمين وصاحب مطعم. وتجلى للحال دفء أخلاق ادواردز، اذ بدت شابة على رغم سنيها الثلاث والستين، رشيقة القوام تعلو وجهها ابتسامة عابثة، ونهجها في المحاضرة تحادثيّ يدعو الى الاسترخاء.

قالت إن المفهوم العام للمهارات الفنية أنها سحرية أو هبة من الله هو اعتقاد خرافي. وهذا النوع من التفكير نشأ لان قلّة من الناس تعرف كيف ترسم واقعياً. وحتى أولئك الذين يعرفون، نادراً ما يمكنهم شرح الطريقة التي يتبعونها في الرسم. والى ذلك فان كثيرين من الرسامين والمعلميّن يحرصون على سرية هذا الفن، مما يؤدي الى تجنب من يجهل الرسم دخول صفوف تعليم الرسم. وتشبّه ادواردز ذلك بامتناع من يجهل الفرنسية عن تعلّمها.

قالت لنا ادواردز ان الرسم واقعياً هو مهارة "عالمية" تشبه ركوب الدراجات أو لعب كرة المضرب..وهي تعتقد أن كل من يستطيع توقيع اسمه يمكن تعليمه فن الرسم. فالتحدي ليس في المهارة ولا في التنسيق بين اليد والعين، بل في تعلّم رؤية الشيء على حقيقته.

معظمنا لا يرسم ما يراه أمامه، بل ما يعرفه من قبل. فنحن نختزن في ذاكرتنا منذ الطفولة مئات من الرموز هي تمثيل بدائي للأشياء من فم وأنف وشجرة وهرة وكرسي. وحين يطلب منا أن نرسم، نستخرج من ذاكرتنا تلقائياً نسخاً مبسّطة عن رموز طفولتنا.

بتحرير أنفسنا مما "نعرفه" بوعينا، ننطلق لكي ننظر الى العالم نظرة أكثر دقة وكمالا، ثم ننقل ما رأيناه. بتعبير آخر، نحن نمتلك المهارات الضرورية للرسم، لكن سرّ النجاح يكمن في نبذ "المعرفة" التي تقف عائقاً في طريقنا.

طلبت منا ادواردز أن نرسم ثلاث صور: الاولى لشخص جالس في الغرفة، والثانية لشخص نستحضر صورته من الذاكرة، والثالثة لاحدى يدينا.

وتقول ان السبب الذي من أجله تطلب هذه الرسوم هو أن معظم الطلاب، بعد انجاز المقرر التعليمي، يكادون لا يصدقون انهم كانوا في وقت مضى غير ملمين بالرسم.

حين رأت ادواردز رسومي تبسمت وقالت: "حسناً يا طوني، يبدو أنك توقفت عن الرسم في السادسة من عمرك. لا شك في أننا سنستمتع بتعليمك.

قالت لنا ادواردز ان معظم الراشدين لا يحاولون تحسين مهاراتهم في الرسم لبلوغ مستوى أفضل من الذين بلغوه في السن التاسعة أو العاشرة. ولا يعتبر

الرسم مهارة ينبغي تعلّمها، في حين أن التعليم في معظمه شفهي وخطي وعددي، ويكافأ التلاميذ الاكثر نجاحا على تنميتهم تلك المهارات. أما المهارات الفنية المرئية والابداعية فغالباً ما يكون الاهتمام بها هامشياً أو يتم تجاهلها كلياً. وليست هناك مقررات تعليمية مكرّسة لمهارات الادراك الحسي والابتكار والابداع أو مخصصة لشرح الطريقة التي تتم بها عملية التعلّم. لذلك تعتقد ادواردز أن ناحية رئيسية من طاقة الدماغ لا تستخدم الا جزئيا.

بحثت ادواردز عن تفسيرات علمية لاعتقادها هذا في أبحاث "الدماغ المنشطر" التي أجراها في الستينات عالم البيولوجيا النفسية روجر سبيري في معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا. وقد نال سبيري جائزة نوبل لاثباته أن للدماغ طريقتين منفصلتين في معالجة المعلومات وادراك الحقيقة، احداهما لفظية تحليلية والاخرى بصرية تعتمد الادراك الحسّي. وتنبثق اللغة لدى معظم الناس من الجانب الأيسر للدماغ، الذي يعالج المعلومات بطريقة منطقية ومنظّمة وواعية للوقت، وهي الطريقة الفضلى في ضبط دفتر شيكات، مثلا، أو تخطيط برنامج. وفي المقابل، فان الجانب الأيمن من الدماغ هو اوسع رؤية، وحيّزاً وخيالا.

وتعتقد ادواردز أن الجانب الايمن من الدماغ هو اكثر ملاءمة للرسم من الجانب الايسر. لكن الجانب الايسر يتحكّم بمهمات ذهنية كثيرة، كالتسمية والتصنيف والايجاز والتبسيط، أي انه يعيق رؤية واقع الأشياء بكل تعقيداتها.

الفراغ السلبي. أتيحت لنا فرصة اختبار تقنيات ادواردز عندما سلمتنا نسخا عن لوحة "ايغور سترافنسكي" لبيكاسو وطلبت منا نسخها مقلوبة. ونصحتنا بأن نتجاهل كل ما نستطيع تمييزه، كالفم والأنف والزر والرجل، ونرسم فقط الخطوط والاشكال.

ان قلب الصورة يلغي الرموز المألوفة ويجبرك على معالجة ما تراه أمامك من تعقيدات. وما لبثتُ أن رأيتني منغمساً في العمل. وحين قلبتُ مجموعة الخطوط التي رسمتها، دهشت لما بين الصورة التي انجزتها والصورة الأصلية من شبه.

ثم أدخلَتْ ادواردز استخدام "الفراغ السلبي،" وهي تعني بذلك الفراغات بين الخطوط والأشكال. تخيّل الثقب في كعكة مستديرة محلاة فتفهم جوهر الفراغ السلبي.

كان التحدي الذي واجهنا هو استخدام الفراغ السلبي في رسم كرسي. والمشكلة في رسم الكراسي أننا نعرف الكثير عن شكلها الحقيقي، بما في ذلك الزاوية القائمة عند ملتقى المقعد والظهر، وتساوي قوائمها طولا.

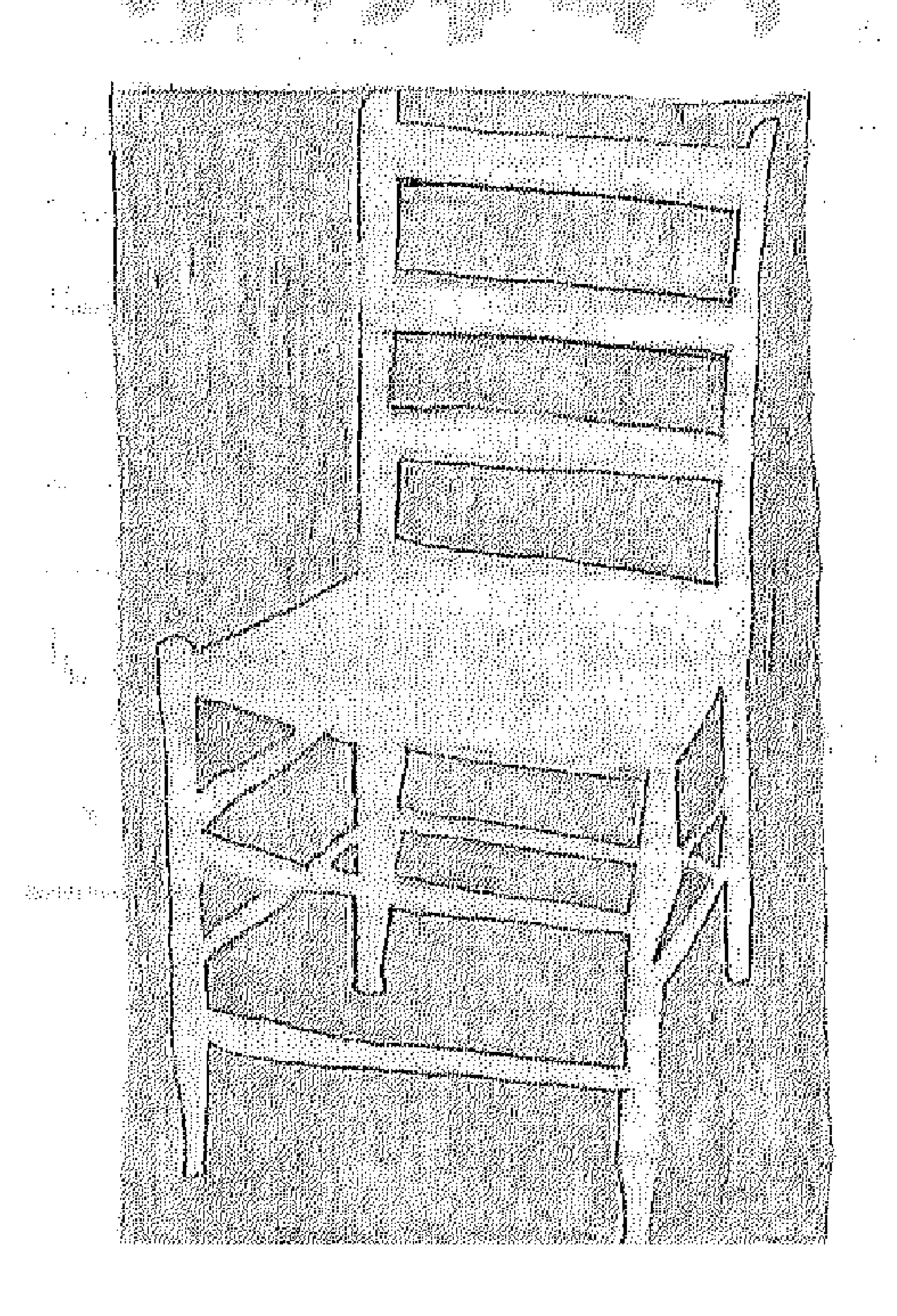
ليس في الامكان رسم صورة شبيهة بالكرسي الا برسم أشكال لا تمت اليها بشبه. فالإلمام بالشكل الحقيقي للكرسي يسد عليك طريق تصويرها على الورق.

إن رسم الفراغ السلبي — الثقب في الكعكة المحلاة — يوفر لنا طريقة لتجاوز تصوراتنا السابقة. وينحصر خيارنا البديل في رسم تلك الفراغات كما نراها. وتقول ادواردز ان اتباع هذا الاسلوب

بدقة يمكننا من رؤية "الصورة الموجبة" للكرسي التي تبرز بما يشبه السحر من بين الفراغات السلبية المحيطة بها.

في البداية، واجهت صعوبة في رؤية الفراغات السلبية. ولكن بعد انعام النظر فيها برزت الفراغات بوضوح وأصبح رسمها سهلا جداً.

فاق التقدم الذي أحرزته في الايام الثلاثة الاولى توقعاتي. وبعد التعرف الى مفهومَيْ الاطراف (الخطوط) والفراغات السلبية، انتقلنا الى مفهوم الابعاد الذي تعتبره ادواردز أصعب المهارات على الاطلاق. واتقان هذه المهارة يعني السيطرة على الفراغ، أي القدرة على رسم أشياء ثلاثية الابعاد بتناسب صحيح، على قطعة من الورق ثنائية الأبعاد.



وفي سياق تلقيننا تقنية الابعاد، علمتنا ادواردز كيف نقيس الأحجام والزوايا بنسبة بعضها الى بعض. والى ذلك أعطتنا لوحا من الكرتون في وسطه شق مربع لاستخدامه "منظارا" يوفر إطاراً ويتيح رؤية العلاقات بسهولة أكبر. ولدى استخدامه دهشتُ حين اكتشفت أن في إمكاني رسم زوايا غرفة بالبعد والتناسب الصحيحين.

وفي اليوم الرابع طلب منا رسم صورة جانبية لأحد زملائنا الطلاب. فانتقيت معلمة فنون شابة جذابة. وجاءت الصورة التي رسمتها مثقلة بالتفاصيل، يعوزها التناسب ولا تشبه المعلمة الا قليلا. فأدركت أنني لم أحقق التقدم المنشود.

رغبة دفينة. في اليوم الاخير أطلعتنا ادواردز على مفهوم الضوء والظل أو "التظليل". وقالت لنا ان التحدي يكمن في ادراك تفاوت درجات الضوء على أحد الاشياء. وكما أن معظم الناس لا يرى الفراغ السلبي أول الامر فهو كذلك لا يلاحظ "القيم" الدقيقة للضوء والظل. فالحل يكون في انعام النظر الى أن يبرز بوضوح ظل أو رقعة من الضوء في شكل معيّن، فتبادر الى رسم ذلك الشكل من دون محاولة تسميته.

باستخدام تقنية التظليل، يجعل المرء الأشياء تبدو ثلاثية الأبعاد. أما بالنسبة الى الوجوه، فتشرح ادواردز أن الخطوط لا تستخدم في الحقيقة لرسم الملامح الفردية المميزة، بل ان الملامح تبرز من طريق الرسم الدقيق للضوء والظل.

وكان التمرين الأخير أن يرسم كل واحد منا صورة ثلاثية الجوانب لوجهه وهو ينظر في مرآة. ولكي تساعدنا ادواردز في دمج الضوء والظل طلبت منا رسم اطار ثم تظليل داخله كلياً بقلم رصاص. وبهذا حصلنا على "الدرجة الوسطى" للظل. فكان علينا رسم درجات الظل الاكثر سواداً، في حين عمدنا الى محو أجزاء من الظل الأساسي لاظهار الظلال الأخف سواداً.

وكالمعتاد، فاتني تصور الطريقة التي سيتم بها هذا العمل. ومع ذلك ركزت جهدي على رؤية أشكال الظلال، معينا احجام الزوايا وناظراً الى الفراغات السلبية. ومرّت ساعتان قبل ان أتطلع الى الصورة ككل. ويا لدهشتي! فقد كنت أتطلع الى وجهي. لا شك في ذلك. حتى انني تبينت المزاج الذي عبرت عنه الصورة.

ثم ما لبث الابتهاج أن حلّ مكان الدهشة، وأدركت للمرة الاولى كم كانت رغبتي شديدة دائماً في تعلم فن الرسم. وعندما رأت ادواردز الرسم بدت مسرورة مثلي بانجازي.

خلال الأشهر العشرة بعد دروس بيتي ادواردز، كنت أرسم باستمرار. وها ان ولديَّ الصغيرين، وعمرهما أربعة أعوام وثمانية، قد اصيبا بحمّى الرسم.

بدأتُ بخلفية رمادية، ورسمت الظلال القاتمة، ومحوتُ بقعاً لإحداث الظلال الفاتحة



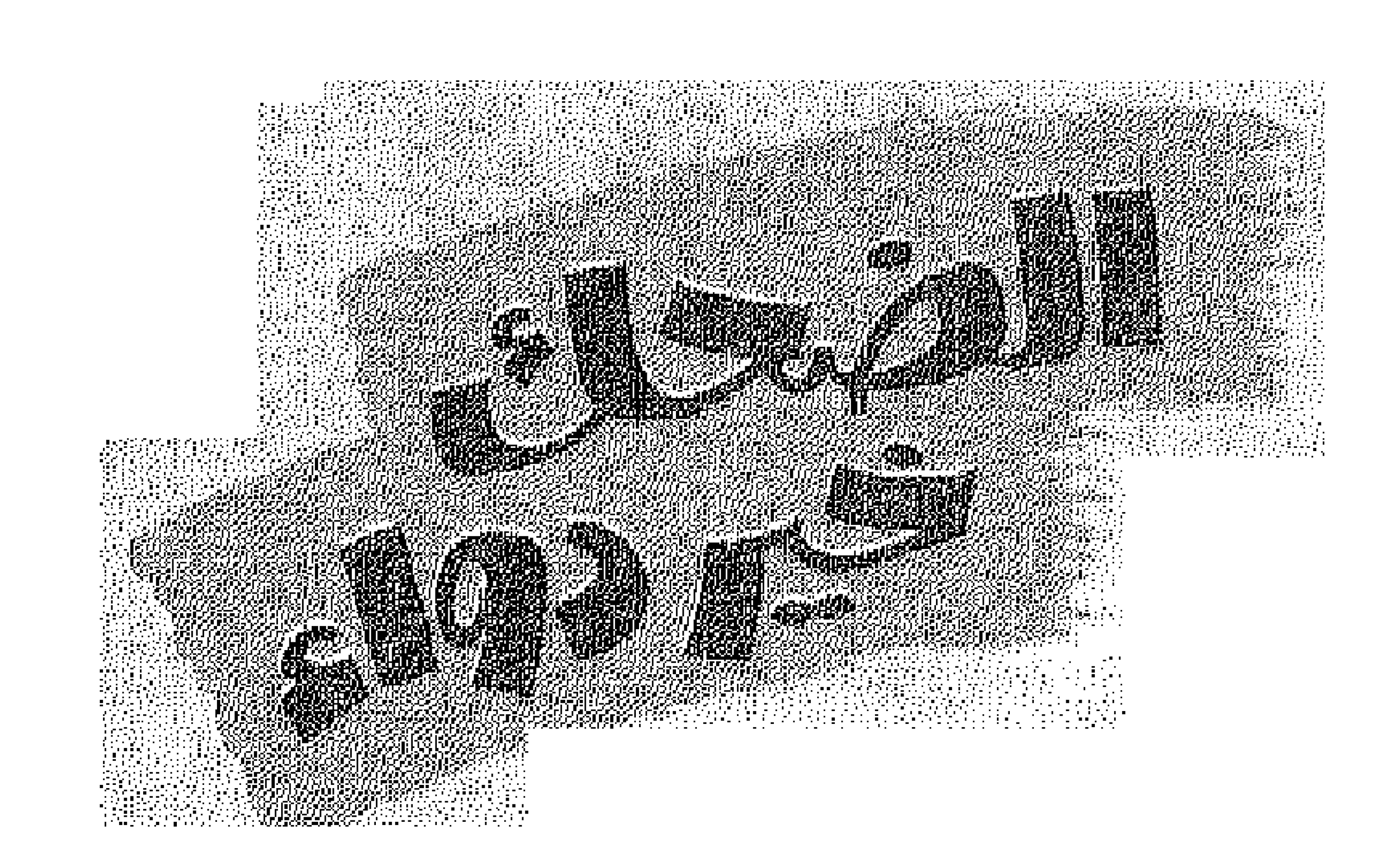
وكبراهما، ترسم كراسي مستخدمة الفراغ السلبي، وغرفاً بالبعد المنظوري الدقيق.

أما ادواردز، فتعد لاصدار كتابين جديدين، واحد عن اللون وآخر عن طريقة النظر الى الرسوم. وهي تقول: "أعتقد أن الناس يستجيبون لطبيعة رسالتي غير الموجهة الى النخبة. فكلنا يعرف أن لا حاجة بالمرء الى أن يكون روائياً لكي يستمتع بالكلمات. كذلك، لا حاجة بك الى أن تصبح رساماً لكي تستمتع بالرسم."

طوني شفارتز ■

التزم احد العمال ورشة بناء. وهو قال معلّقاً: "اعجبني ان اكون رئيس نفسي، ولكن لم يعجبني ان أكون موظفاً عندي."

"وول ستريت جورنال"



جدة خلف المقود

■ أوصلت احفادي مرة في سيارتي الى المدرسة. وكانت الطريق ضيقة كثيرة المنعطفات. وبعد اجتيازي نصف المسافة أبديت ملاحظة عن خلوّ الطريق من السيارات. فأتاني رد من المقعد الخلفي: "انها كلها خلفك يا جدتي."

ر.ش.

ابن ساعته

■ طلب شاب وظيفة في احدى الشركات. فنبهه رئيس قسم التوظيف: "نحن هنا نعمل ثماني ساعات كاملة."
فقال الشاب: "عظيم، في كم يوماً؟"

ب.ش.

واجبات الضيافة

■ أمضيت بضعة أيام في ضيافة صديقة لي. فلمحت على منضدتها مرة لائحة بخط يدها تذكرها بأعمال عليها انجازها. وجاء في اللائحة:

- تلميع الأثاث.
- تنظيف الحمامات.
- تبديل شراشف السرير في غرفة الضيوف.
- شراء قالب حلوى يشبه الحلوى المصنوعة في المنزل.
- تعليق الساعة التي أهدتنا اياها فريال.
- اتلاف هذه اللائحة قبل وصول فريال.

ف.ر.

كسالى مجتهدون

■ أعلن الرقيب بصوت عال لعشرين مجنَّداً اصطفّوا أمامه: "لدي مهمة سهلة لأكسل رجل بينكم. هل لأكسلكم أن يرفع يده؟" فارتفعت أيدي تسعة عشر شاباً. فسأل الرقيب المجنَّد الباقي: "لماذا لم ترفع يدك؟"
فأجابه: "لا جلَدَ لي على ذلك."

ا.ك.

لا تقلقي يا أمي

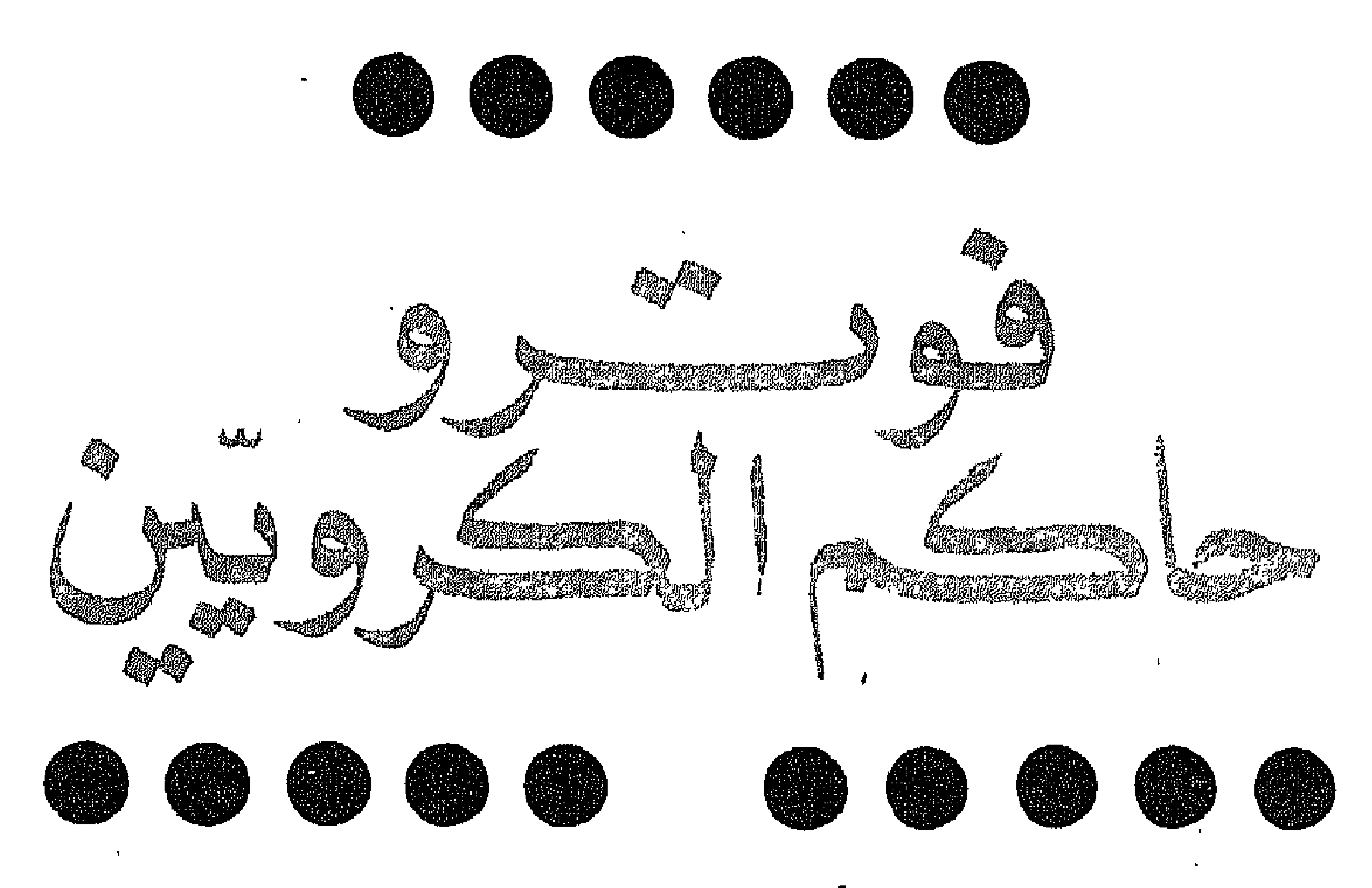
■ قبل مغادرتي البيت للتسوق نبهت ابني الى ضرورة اقفال الباب اذا هو انصرف أيضاً. فطمأنني قائلاً: "لا تقلقي يا أمي."
وذهبت مرتاحة البال. وعندما عدت وجدت ورقة على الباب، فيها: "ماما، المفتاح تحت ممسحة الأرجل."

س.ب.

الاستاذ والضرائب

■ كنا نتناقش في موضوع الضرائب ضمن درس المحاسبة في الجامعة. وسألنا الاستاذ عن الفرق بين تفادي الضرائب والتهرّب منها. وبعدما أعطى بعض الطلاب أجوبة خاطئة، بادرنا الاستاذ بالجواب الصحيح فقال: "الفرق هو خمس سنوات في السجن."

ك.ر.ب.



أفضل حَكَم لكرة القدم في العالم يتصدى لأصعب مهمة واجهها في حياته

يوم الاربعاء ١١ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٩ وصل ميشال فوترو جواً الى بوغوتا عاصمة كولومبيا ليكون حكماً في ما سماه الاتحاد الدولي لكرة القدم "مباراة خطرة جداً." وكان منتخب كولومبيا سيخوض على أرضه مباراة تأهيل لكأس العالم ١٩٩٠. ولأن مصالح كثيرة كانت على المحك، فالاحتمال كبير أن تشوب المباراة اضطرابات في الملعب ومنصات الجمهور.

ويسيطر "كارتل ميديين للمخدرات" في كولومبيا على المراهنات غير المشروعة في كرة القدم. والضغط على الحكّام أمر عادي جداً. فقبل أسابيع قليلة قتل أربعة مسلحين في ميديين حكماً كولومبياً شاباً يدعى ألفارو أورتيغا.

وأعلن أسياد المخدرات مسؤوليتهم عن الحادث متهمين أورتيغا بالتسبب في خسارة فريق ميديين.

غير أن هذا الحادث لم يثن من عزيمة فوترو الذي صرح للصحافيين فور وصوله: "أعلم أن حرب مخدرات تدور في هذا البلد. وأعلم كذلك أن أسياد المخدرات يحاولون السيطرة على لعبة كرة القدم. لكني لست خائفاً."

على مدى ٩٠ دقيقة يوم الأحد التالي راقب فوترو اللعب عن كثب وهو يجري في محاذاة اللاعبين الاثنين والعشرين متنبها الى المخالفات من غير أن تفوته شاردة ولا واردة. وإزاء الاعتراضات المتوقعة كان يبرر قراراته للفريقين بما لا يترك مجالا للشك. وجاءت النتيجة

(٠ – ١) لمصلحة منتخب كولومبيا، ولم يحدث شغب في ملعب بارانكيلا.

كان قرار الاتحاد الدولي لكرة القدم ارسال فوترو (٤٤ عاماً) متعمداً. إذ ان هذا الرياضي، البالغ طوله ١٨٦ سنتيمتراً ووزنه ٨٧ كيلوغراماً، هو صاحب لقب "أفضل حكم في العالم" للعامين ١٩٨٨ و١٩٨٩. وهو صاحب شخصية قوية جداً، وذو استقامة وشجاعة ذائعتي الصيت، وأحكامه لا تشوبها شائبة. ونتيجة ذلك اختير حكماً في مباريات كأس العالم في إيطاليا.

وفوترو الذي يعتاش من عمله كمنسق لبرامج التدريب المهني في مدارس بزانسون، يقدم خدماته التحكيمية مجاناً. وعليه أن يؤدي عمله في الملعب باحتراف متشدد، إذ فضلاً عن ضرورة تأكده من حسن سير المباراة، عليه، بمعونة حكمين مساعدين، أن يأخذ قرارات فورية من غير أن يرفع نظره عن الكرة واللاعبين في أرجاء الملعب الفسيح. وهو، كجميع الرياضيين، يتبع برنامجاً قاسياً للياقة البدنية. لكن المباراة تتركه منهكاً كاللاعبين الذين يحكم بينهم.

●

لا يخاف. تجبه الحكم مشكلات لا يمكن التكهن بها. وإن شتت فكره أو تردد تحولت المباراة شجاراً وعراكاً. وهو لا يمتلك ازاء المعارضة العنيفة سلاحاً سوى صفارة يوقف بها المباراة، وبطاقة صفراء تُطلق إنذاراً رسمياً الى لاعب مخالف، وبطاقة حمراء يلّوح بها طارداً من أساء التصرف خارج الملعب. ولما كان انتصار فريق أو خسارته يعنيان ربح ملايين الدولارات أو خسارتها، فلا يسع الحكم ارتكاب أي خطأ. يقول فوترو: "عندما يعجز لاعب عن التقاط كرة سهلة يقال عنه انه أخرق. أما حين يرتكب الحكم خطأ فيفسر ذلك على أنه ضرب من سوء الامانة."

في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٩ حكم فوترو في باريس لفريق باريس – سان جرمان بضربة جزاء في مباراته ضد فريق بوردو (تؤدي ضربة الجزاء غالباً الى تسجيل هدف). وعلى الفور أحاط به حارس مرمى بوردو وفريقه وراحوا يكيلون له السباب محاولين إجباره على التراجع عن قرار اعتبر معظم الناس، بمن فيهم أنصار الفريق، أنه غير عادل. لكن فوترو أبى أن يتراجع وأصر على قراره، وانتظر بصبر هدوء عاصفة الاحتجاج. وفي اليوم التالي أثبت عرض المباراة على التلفاز أن الحكم كان على حق.

يقول فوترو: "يتعرض الحكم للتهويل في الملعب وخارجه، اذ يتحلق اللاعبون حوله كعصابة ويوجهون اليه الاهانات، والتهديدات أحياناً."

بعدما خسر المنتخب اليوناني مباراة لكأس أوروبا جرت في أثينا، شن مموّل الفريق، وهو من أقطاب الشحن البحري، هجوماً عاصفاً على غرفة فوترو وفي حزامه مسدس، وراح يصرخ مهدداً أنه لن يساعد الحكم في التملص من أنصار الفريق الهائجين في الخارج. لكن فوترو نجح في الوصول الى فندقه حيث أمضى

ليلة متوترة يحرسه جنود تمركزوا خارج بابه. يقول: "لم يخامرني مرة شعور بالخوف، ربما باستثناء ذلك اليوم في مارسيليا حين أزّت كرة رصاص أطلقت من مقلاع وأخطأت وجهي بمليمترات."

●

الرياضة ممنوعة! يدين فوترو بكثير من مهارته في السيطرة على المواقف الصعبة لطفولته الشاقة. فهو ولد في بلدة أنفير في جبال جورا. وفي الثانية من عمره انفصل والداه. وبعد خمس سنوات اكتشف الاطباء خريرا في قلبه تفاقم مع اصابته بحمى الروماتزم مما أقعده أشهراً. يقول: "كانت أدنى عدوى تسبب لي مشاكل كبيرة. وقد تمددت على فراش في منزل جدي مدة ستة أشهر تلتها فترة أخرى من ثمانية أشهر."

وفيما كان فوترو طريح الفراش دأب على قراءة الصحف والمجلات والكتب. وهام إعجابا بأبطال الرياضة. ولمّا قوي على الذهاب للعيش مع والدته في بزانسون، راح يحضر مباريات فريق البلدة في كرة القدم.

وعندما بلغ الثالثة عشرة طُلب منه أن يكتب مقالا عن تاريخ نادي "روبيه – توركوان" الآتي للعب في بزانسون. يقول: "كنت طبعاً أحتفظ بجميع الملفات في البيت." وفي السن الخامسة عشرة تولى تحرير مجلة "ألّيه بزانسون"* المختصة بكرة القدم.

كان لا يزال ممنوعا من ممارسة الرياضة العنيفة، وعليه متابعة العلاج حتى بلوغه الخامسة والعشرين. لكنه إلتحق بنادي "فران كونتوا" لكرة القدم وعُيِّن وهو في السادسة عشرة من عمره مندوبا في مجلس إدارته.

أتاحت له اجتماعات النادي مخالطة اللاعبين المحترفين من أبناء المنطقة. واكتشف أنهم غالبا ما يلقون اللائمة على الحكام، عن غير وجه حق، للخسائر التي تمنى بها فرقهم. وذات يوم غالب حياءه ودافع عن أحد الحكام. فقاطعه عضو قديم في النادي قائلا: "إخرس يا فتى. أنت لا تدرك ما تقول."

وجاء رد ميشال حاسما اذ قال: "ماذا تعني؟ إني الآن في مرحلة الاستعداد لامتحان التحكيم!"

والواقع أن ميشال لم يفكر من قبل في أن يصبح حكما لضعف صحته. لكنه، إثباتا لقوله، جلس الى الامتحان، فجاء تقديره عاليا الى حد أن أوكتافو دافان رئيس نادي "فران – كونتوا" عقد العزم على صنع حَكَم عظيم من فوترو الشاب، واقنع والدة ميشال باستشارة طبيب العائلة. وإذ كانت معرفة الطبيب بلعبة كرة القدم هزيلة، ظن أن مهمة الحكم هي الوقوف بهدوء وسط الملعب ومراقبة اللاعبين وهم يجرون حوله. فما كان منه إلا أن وافق قائلا: "لمَ لا؟ فذلك سيتيح له الخروج الى الهواء الطلق."

●

"مهنتي حياتي." هكذا بدأت سيرة الرجل الذي أصبح أفضل حكم لرياضة

(*) Allez Besançon

كرة القدم في العالم. وهو تسلق سلم النجاح بسرعة مذهلة، مرتقياً ست درجات في ست سنوات، مما أتاح له البروز حكماً لمباريات فريق الدرجة الاولى في بلاده عام ١٩٧٢ وهو في السابعة والعشرين من عمره. وبعد ثلاث سنوات حكم أول مباراة دولية له وهو في الثلاثين من عمره، وهذه سابقة في حرفته.

يقول فوترو: "مهنتي هي حياتي، لأني اكتشفت الحياة من خلال لعبة كرة القدم."

ولأجل وقف حياته لمهنته بقي ميشال أعزب. والى ذلك هو عضو في "لجنة برانسون لمكافحة التدخين"، ولا يقرب الكحول ولا القهوة. وفيما يذهب الحكام الآخرون في عطلة من أعمالهم المأجورة، يمضي فوترو أوقات فراغه في مراجعة سجلاته وتنظيم ملفاته والاجابة عن رسائل كثيرة يتلقاها. كما يجوب أنحاء فرنسا ملقياً محاضرات في فن التحكيم. يقول لمعجبيه الشباب: "غالبا ما أفكر في أولئك الرجال الذين يحكمون مباريات ثانوية من دون عون مساعدين أو حماية شرطة أو سياج يفصلهم عن الجمهور. إنهم حقا لشجعان."

يتسم فوترو في ملعب كرة القدم بشخصية آمرة من نوع فريد. فبنيته المهيبة وخطواته الواسعة وإيماءاته المتعالية ونفخ صفارته الذائع الصيت باعتباره "الأقوى" في البلاد، صفات تجتمع لتجعل سحره فاعلا ومستحقا الاحترام. وعندما تنتهي مباراة ما، نادراً ما ينتقده اللاعبون الذين نالوا عقوبة أو يتذمرون من أنه كان غير عادل.

مثال على ذلك مباراة "كأس أوروبا" بين فريق "ريال مدريد" وفريق "انتر ميلان" في مدريد باسبانيا في أول نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٩. في هذه المباراة حصل احتجاج على كل قرار أخذه فوترو. ورفض اللاعبون الاسبان قبول واقع أنهم على وشك خسارة كأس أوروبا، وهدر مئة ألف اسباني في المنصات معربين عن استنكارهم.

ولكن بعد نهاية المباراة تحدث لاعبو "ريال مدريد" الاكثر تعرضا للجزاء معربين عن تقديرهم لمهارة الحكم. قال أميليو بوتراغوينو: "ميشال فوترو حكم خبير يمسك بزمام الأمور حتى في أحرج المواقف." وأضاف هدّاف "ريال مدريد" المكسيكي هوغو سانشيز: "ما نحبه في فوترو هو أنه يتحدث إلينا اكثر كثيرا من زملائه الألمان والبريطانيين والاسوجيين. وفي كل مرة توجهت إليه معترضا، كان يشرح لي بصبر أسباب قراره."

●

الافضل في العالم. يعتبر فوترو أن على الحكم أن يكون صديق اللاعب لا عدوه. يقول: "إن المعاقبة اعتباطا لأمر في غاية السخف. يمكنك أن تتجادل مع صديق وتختلف معه، لكنه حين يغرق تفعل المستحيل لانقاذه." وهذا على الأرجح ما يرضي اللاعبين عندما يسمعون أن ميشال فوترو سيقود

المباراة. يقول الفرنسي باتريك باتيستون: "إنه لا يحدج اللاعبين بازدراء، بل ينظر إليهم باحترام."

ولأنه يحظى بهذا الاعجاب، دُعي الى التحكيم في مباريات حول العالم. لكن قمة افتخاره هي المباريات النهائية الخمس لكأس فرنسا في الاعوام ١٩٧٩ و١٩٨٢ و١٩٨٣ و١٩٨٤ و١٩٨٧ والتي يدعوها "أيام المجد الخمسة." ويُعتبر نهائي كأس فرنسا الذي يجري عادة في شهر يونيو (حزيران) في ملعب "بارك دي برانس" في باريس، قمة أحداث الموسم. اذ يحضره رئيس جمهورية فرنسا ووزراؤها وجميع محرري الرياضة وخمسون ألف متفرج، فضلاً عن الملايين من مشاهدي التلفاز. وفي العام ١٩٧٩، عندما تقدم رئيس جمهورية فرنسا آنذاك فاليري جيسكار ديستان ليصافح فوترو قبل بدء المباراة قال له ميشال: "ان العناء الذي أتجشمه في إدارة ٢٢ رجلا يقودني الى التصور كم هي صعبة قيادة ٥٠ مليون مواطن."

في العام ١٩٨٨ اختير فوترو "أفضل حكم في العالم" بتصويت هيئة تحكيمية من ٩١ محرراً رياضياً من ٩١ بلداً. إلا أن هذا الشرف الكبير لم يغيِّر من تواضعه. قال: "كنت الأفضل عام ١٩٨٨ هذا حسن، لكني الآن أبدأ من جديد."

ومنحته الهيئة هذا الشرف مجدداً في العام ١٩٨٩. وكان لهذا التقدير وقع عظيم في نفسه لا يعادله سوى وقع الاطراء الذي يخصّه به اللاعبون. غير أن فوترو يعلم أن الجمهور متقلب. اذ بعد تحكيمه في نهائي بطولة أوروبا للعام ١٩٨٨، حكم في مباراة فريقين من الدرجة الثانية في بلدة مونسو – لي – مين. يقول: "استقبلوني بحفاوة، وأثنى الجميع على حسن أدائي في النهائي. ثم حدث أن خسر الفريق المحلي المباراة، فأنحوا عليّ باللائمة. وبعد انتهاء المباراة أشاحوا بوجههم عني، ولما بلغت موقف السيارات وجدت سيارتي مقشورة."

أحزن هذا الحادث فوترو لكنه لم يغير موقفه من عمله. يقول: "إني هنا لحماية اللعبة واللاعبين. أحلم أحياناً بأني قائد فرقة موسيقية. ففي حضور قائد جيد يبذل العازفون أفضل ما لديهم. وهذا بالتحديد واقع الحال في لعبة كرة القدم."

جيرار اينس ■



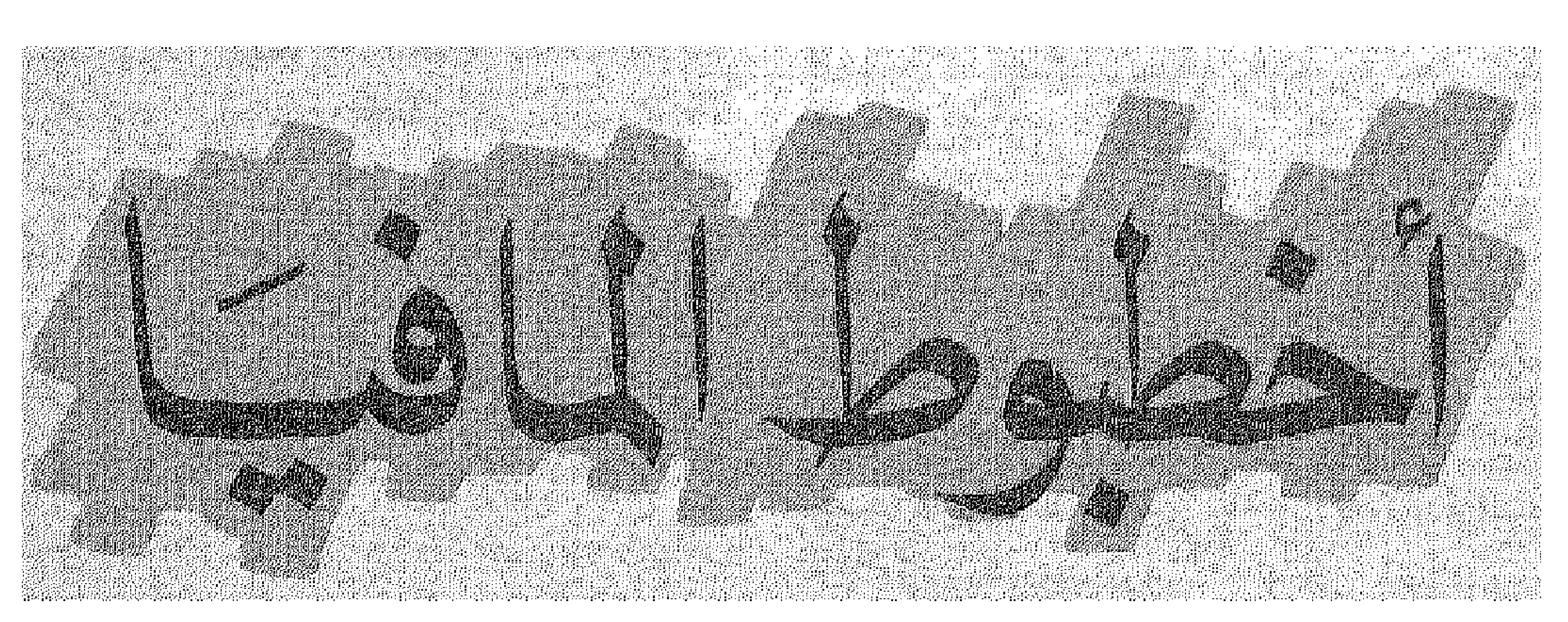
الواجب ثقيل

التلميذ الذي يعمل باندفاع داخلي يغدو مبدعاً ومتحمساً. والمحترف الذي يعمل من أعماقه قد يدفع بدل أن يُدفع له للقيام بما ينير حياته.

إن العمل بدافع الواجب يشبه جرّ قيود وسلاسل حديد مهما يكن حجم الجهد المبذول. فلنحبّ ما نعمله عندما لا نتمكن من عمل ما نحبه.

ج.ل.د.

كتاب جديد مثير يرفع النقاب عن أشنع التكتلات الاجرامية فى التاريخ



أعملَ دوغلاس لوفيان ذهنه لفك لغز المكالمة المسجلة بين عضوي العصابة. وإذ تطرقا الى محاولة الاستيلاء على احد النوادي قال أحدهما متذمراً: "يرتاده عدد كبير من الصقليين." فأقره الآخر على كلامه: "خذ الامر جدياً، قد يقطعونك إرباً."

عجب لوفيان. ترى ما الذي يخيف رجال المافيا الامريكية في الصقليين؟ ولمعرفة الجواب انتحل هذا الشرطي السري في نيويورك صفة رجل أعمال محتال من أصحاب الملايين وسعى الى التقرب من فنشنسو نابولي صاحب النادي. وما لبث أن اجتمع الاثنان على العشاء في أفخم مطاعم مانهاتن بنيويورك للتباحث في شؤون الاعمال.

ومع كر الاشهر وصف نابولي لصاحبه منظمة اجرامية تحار فيها العقول. باعه بنادق وعرض عليه استخدام قتلة مأجورين ورجال متخصصين بحرق المباني. كما قدم اليه عروضاً لشراء الماس ولوحات مسروقة نفيسة. ومبتغاه من ذلك كله أن يثبت إنه ليس ثرثاراً مهذاراً.

ولكن عندما عرض نابولي على لوفيان أن يبيعه هيروييناً، استدعى هذا سرية مكافحة المخدرات. وقبض على نابولي فور تسلمه كيلوغراماً من الهيرويين من أحد سعاته في بانكوك. واقتيد الى السجن لينفذ حكماً بالحبس مدة ١٣ عاماً.

أثناء قيام لوفيان بتحرياته عام ١٩٧٨ لم يدر في خلد أحد أن الشرطة أمسكت بأحد أذرع المؤامرة الاجرامية الهائلة، الدولية في شمولها، التي تغلغلت بصمت في غرب الكرة الأرضية وكان نشاطها الأساسي تهريب الهيرويين والكوكايين وترويجهما.

واليوم تسلط كلير ستيرلنغ الضوء على هذه القضية في كتابها "الاخطبوط: اليد الطولى للمافيا الصقلية الدولية." وستيرلنغ مراسلة صحافية أمريكية استقر بها المقام

«OCTOPUS: THE LONG REACH OF THE INTERNATIONAL SICILIAN MAFIA,» COPYRIGHT © 1990 BY CLAIRE STERLING, IS PUBLISHED BY W.W. NORTON & CO., INC., NEW YORK, N.Y.

في روما منذ العام ١٩٥٢. وأمضت أربع سنوات في مقابلة رجال الامن في ايطاليا وأمريكا، شمالها وجنوبها، مكبة على قراءة ألوف الصفحات من نسخ وثائق المحاكمات والاستجوابات وتقارير أجهزة استخبارات الشرطة. وهي أماطت اللثام عن أول اتحاد فعلي للمجرمين في نطاق يتعدى القوميات، وكشفت طريقة وصول هذه المنظمة السرية الى السلطة، والدور الحاسم للتقصيات والتحقيقات المكثفة التي أجرتها الشرطة الدولية عبر السنين.

غارة ساحقة. بدأت أفظع قصص الجرائم في القرن العشرين عام ١٩٥٧ إبان تعرض المافيا الامريكية للمصاعب. اذ سنت الحكومة الامريكية قانونا يتيح إصدار حكم بسجن المتاجرين بالمخدرات مدة أقصاها ٤٠ عاما، كما أبعد بعض زعماء العصابات الكبار خارج البلاد. فلجأ المافيوزي[1] الامريكيون الى ايطاليا طلبا للعون.

وقدّر هؤلاء أن ليست لدى الشرطة الامريكية سجلات للصقليين الذين يسعهم ان يتسللوا ويعملوا خفية في الولايات المتحدة. وطبقا لما جاء في رواية ستيرلنغ: "دعتهم المافيا الامريكية لتدرأ عن ذاتها مخاطر الاتجار بالهرويين وتكتفي بجني نسبة من الأرباح."

في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥٧ التأم في فندق "قصر الصنوبر" الانيق في باليرمو أكثر من ثلاثين رجلا من زعماء المافيا الامريكية والصقلية، وكلهم تجار مخدرات، في "مؤتمر قمة" دام أربعة أيام. هنا منحت المافيا الامريكية نظيرتها الصقلية امتياز المتاجرة بالهرويين في نطاقها الذي شمل ٩٥ في المئة من سوق المخدرات في الولايات المتحدة آنذاك. وبعد شهر واحد تنادى نحو مئة من الاشقياء الامريكيين في آبالاشين بولاية نيويورك لاقرار الاتفاق. وفيما هم مجتمعون أغارت الشرطة على المكان. وهي حصلت هنا للمرة الاولى على أدلة دامغة على وجود "نقابة" للمجرمين تعمل على نطاق البلاد واسمها "لا كوسا نوسترا."[2] ولكن لم يدر أي دخيل ما الذي حدث في ذينك الاجتماعين. وبقي السر مكتوماً قرابة ٣٠ سنة.

في الستينات انتشر ألوف المافيوزي المنتمين الى نحو ١٥٠ عصابة في جميع الأصقاع – مونتريال وكراكاس وسان باولو ومكسيكو ونيويورك وشيكاغو – وكلهم بامرة عصبة تدعى "كوبولا" مؤلفة من زعماء المافيا الكبار ومقرها باليرمو عاصمة صقلية.

ساوم الصقليون أفراد العصابات الاتراك عام ١٩٧٥ لتزويدهم المادة الأساس للمورفين من جنوب غرب آسيا. وسرعان ما غزت معامل التكرير ايطاليا بأسرها. وأنشىء معملا تكرير في باليرمو ينتج كل منهما ٥٠ كيلوغراما من الهيرويين أسبوعيا وخمسة أطنان في السنة. وسرعان ما شرع نحو اثني عشر

(١) Mafiosi اي رجال المافيا، وواحدهم مافيوزو (Mafioso).

(٢) La Cosa Nostra .

معملا في التكرير. وكان معمل واحد في سان ريمو قرب الحدود الفرنسية يسلّم ما يربو على ١١٠ ملايين حقنة سنويا الى زبائن منتشرين في ايطاليا وفرنسا وسويسرا وهولندا والمانيا الغربية.

وثمة ٢٥ الف شاحنة مدموغة بختم سلطات الجمارك طبقا لاتفاقات دولية، كانت تعبر الحدود البلغارية – التركية سنويا من دون أي عائق. وعمد رجال العصابات الأتراك والطليان، بالتنسيق مع موظفي الحكومة البلغارية، الى تزوير المستندات وتهريب الأسلحة من اوروبا الغربية شرقا الى بقاع في تركيا والشرق الأوسط في مقابل المادة الأساس للمورفين المطلوبة لمعامل التكرير السرية في أوروبا الغربية وشبكات التوزيع المنتشرة في أرجاء أوروبا وأمريكا.

في السبعينات غدت هولندا البوابة الأوروبية الرقم اثنين لعبور الهيرويين، والضحية الرقم واحد. وارتفعت أعداد الوفيات بفعل تناول الجرعات الزائدة في المانيا الغربية من ١٩٥ عام ١٩٧٤ الى ٦٢٣ عام ١٩٧٩. كما أبلغت بريطانيا عن ارتفاع مفاجىء في تعاطي الهيرويين في الفترة عينها. وازداد عدد الوفيات في برلين الغربية من جراء الجرعات الزائدة من ٦ الى ٨٤ في خمس سنوات، وحلّق العدد في فرنسا من الصفر تقريبا الى معدلات وبائية.

قلما خلص بلد لم تعمل فيه المافيا الصقلية أو تعث فيه إفسادا. وكانت لها في سويسرا والمانيا الغربية وإسبانيا واليونان وبريطانيا وكندا محطات ومراكز مصرفية. وكانت فرنسا مركزا لانتاج الهيرويين وكينيا ملقى لافراد العصابات.

وأدركت أوروبا الغربية الولايات المتحدة في نسبة مدمني المخدرات في الثمانينات. فبلغ عددهم في ايطاليا ٣٠٠ الف عام ١٩٨٨، الى ٨٠٩ وفيات من جراء تناول جرعات زائدة. وفي المانيا الغربية ٨٠ الف متعاط صنفوا رسميا مدمنين، في مقابل ٥٨٠٠ قبل خمسة عشر عاما. أما العدد في كل من فرنسا وبريطانيا فقارب ١٠٠ الف، وكان المدمنون البريطانيون يزدادون بنسبة ٢٥ في المئة سنويا. وبلغ صافي الكميات المصادرة من الهيرويين في أوروبا الغربية ٢،٩ طن عام ١٩٨٧، أي اكثر من سبعة أمثال الكمية التي عثر عليها في الولايات المتحدة. وفي تقدير موظفي مكافحة المخدرات أنه تم تهريب أكثر من عشرة أمثال هذا العدد، أي نحو ١،٣ مليار حقنة في ذلك العام.

وها هي أوروبا، وفي طليعتها الدانمرك وهولندا واسبانيا، تقفو إثر أمريكا في سوق الكوكايين ايضا، فيما شبكات المافيا الصقلية تتوسط لتسهيل عبور إمدادات الكولومبيين من هذه المادة.

ودرج المافيوزي الصقليون مدة عقدين على الانسلال، من دون رقابة الى الولايات المتحدة، عبر الغابات ومجاري المياه على الحدود الكندية. وحصل عدد منهم على بطاقات عضوية في النقابات، وعلى وظائف من خلال "النقابة الدولية للعمال" التي تهيمن عليها المافيا. وعمدوا من فورهم الى ترويج الهيرويين

في مراكز العمل. ثم شرع زعماء "لا كوسا نوسترا" في إنشاء شبكة من محلات بيع البيتزا في أرجاء البلاد، غالبية العاملين فيها من الصقليين الذين دخلوا البلاد بطريقة غير مشروعة، وذلك لنقل المخدرات والتعمية على مصدر الأرباح.

امبراطورية المليارات. استمرت الشبكة في عملها سنوات من دون افتضاح أمرها. لكن حدثاً في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٠ قلب الوضع. ففي ذلك الشهر سيق مهاجر صقلي مغمور اسمه سالفاتوري كاتالانو من مخبزه في منطقة كوينز بنيويورك الى مطعم أنيق حيث التقى "بول الكبير" كاستيلانو، زعيم كبرى عصابات المافيا في أمريكا. وكان كاستيلانو خاضعا لمراقبة السلطات الاتحادية. فما الذي دفع "بول الكبير" الى قضاء أكثر من ساعة مع كاتالانو؟ قر رأي المسؤولين في "مكتب التحقيقات الاتحادي" (FBI) على التحري.

في هذه الاثناء بدأت ادارة مكافحة المخدرات مراقبة مئات المكالمات الهاتفية الغامضة التي يجريها فنشنسو نابولي من السجن الاتحادي في دانبري بولاية كونيتيكت. كان شقيق نابولي في كراكاس (فنزويلا) يتصل بشقيقه الآخر في بروكلين بنيويورك، فيعمد هذا بدوره الى الاتصال فوراً بفنشنسو في دانبري. ثم يجري السجين عدة مكالمات. وأحد الذين كان يتصل بهم دوريا رجل يملك سلسلة من ٢٦ محلا لبيع البيتزا في فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا. (في ما بعد، اشترى عميل سري تابع لادارة مكافحة المخدرات ستة كيلوغرامات من الهيرويين من معاوني ذاك الرجل.)

وبلغ اهتمام ادارة المكافحة بالأمر أنها بعثت موظفا مختصا الى فنزويلا فكشف النقاب عن امبراطورية للمافيا تقدر بمليارات الدولارات ولا تطاولها يد العدالة. ولم تكن ايطاليا والولايات المتحدة أبرمتا معاهدة خاصة مع فنزويلا لتسليم المطلوبين الفارين، ولم تبد الحكومة الفنزويلية رغبة في التعاون في هذا الشأن. ولذا استظلت ذراع الاخطبوط تلك الحماية في فنزويلا وشكلت تحالفا مهنيا مع تجار الكوكايين الكولومبيين.

و"شبكة كراكاس"، كما وصفتها ستيرلنغ، هي من بنات أفكار ثلاثة اخوة هم باسكال وباولو وغاسباري كنتريرا الذين هاجروا من صقلية عام ١٩٦٣ الى البرازيل ثم الى مونتريال وانتهى بهم المطاف في كراكاس. وهم وزعوا أبناءهم وأبناء أعمامهم وأخوالهم وأقرباء آخرين وفق خطة محددة في لندن وجنيف ومالطا ومونتريال وميامي. وفي مستهل الثمانينات كانت شعبة فنزويلا تتقاضى عمولة عن أربعة أخماس كمية الكوكايين التي تدخل الولايات المتحدة وأوروبا. ويقدر أنهم اليوم يموّهون مصادر نحو ثلثي أموال الكوكايين في فنزويلا.

حرب شعواء. كان اكتشاف امبراطورية كراكاس حدثا فاصلا، لكن

السلطات لم تمسك بعد بخيوط المؤامرة كلها. فهي لم تكن تعرف أن رأس الاخطبوط في صقلية. وفي مارس (آذار) ١٩٨١ اندلعت "الحرب الكبرى" فجأة بين المافيات.

أدى دفق ثروات الهيروييين والكوكاايين على باليرمو طوال عقود الى فوران المافيوزي جشعاً وتحرقاً الى السلطة. وكان لوتشيانو ليجيو، الزعيم الأكثر مخافة في تاريخ المافيا، هو مخطط الحرب ومديرها.

وفي غضون شهرين اغتيل عضوان في عصابة كوبولا هما خصمان لليجيو. لكن المذابح امتدت الى الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية. وقضى ألف شخص في صقلية وحدها. وكانت الشرطة الايطالية "تقع على جثة كل يوم، وفي بعض الأيام على أربع أو خمس."

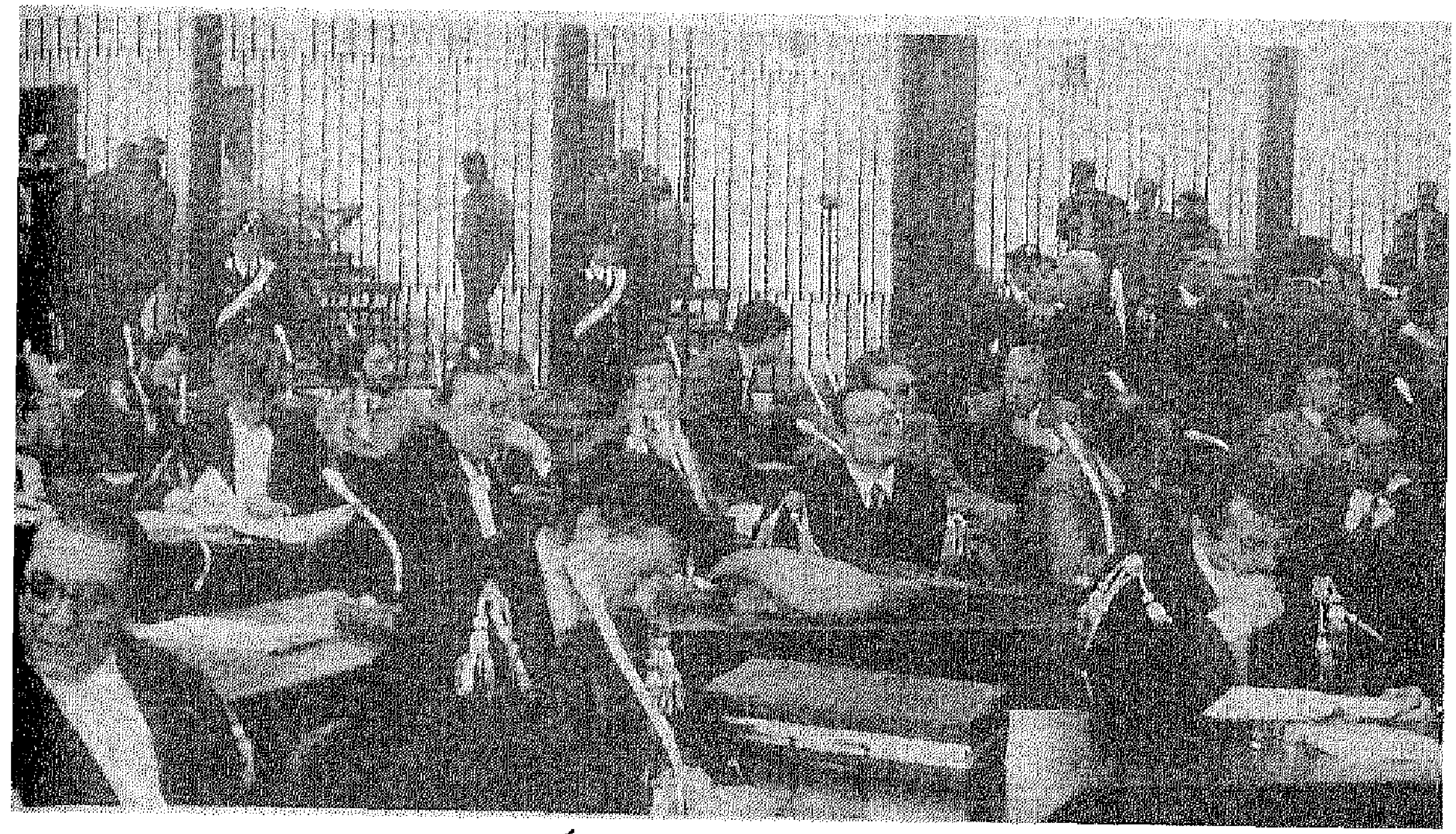
ونعم ليجيو بالنصر لدى مقتل جميع أعدائه.

لكن الاشقياء اذ يتوقفون عن قتل بعضهم بعضاً يتحولون الى قتل رجال الشرطة والمدعين العامين والقضاة. وقد عينت الحكومة الايطالية "بطلا وطنيا" هو الجنرال كارلو آلبرتو دالاتشييسا لاعادة النظام وسيادة القانون. لكن دالاتشييسا اكتشف موظفين حكوميين رفيعي المستوى يعملون مخبرين لمصلحة المافيا. وقد قُتل وزوجته على أيدي ثمانية رجال أطلقوا عليهما النار فيما هما عائدان من المكتب الى البيت في ٣ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٢، وهو اليوم الذي التمس فيه، بواسطة القنصلية الامريكية في باليرمو، التدخل الديبلوماسي للولايات المتحدة لأنه وحده يحمل الحكومة الايطالية على أخذ إجراءات رادعة.

صدم الشعب الايطالي لمقتل الجنرال. وبعد ثمانية أيام أقر البرلمان الايطالي قانونا مناهضا للابتزاز ظل حبيس الادراج عدة سنين وهو الاقسى من نوعه في العالم. وفي أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٤ اجتمع المدعي العام الامريكي ومدير مكتب التحقيقات الاتحادي (FBI) ورئيس الادارة الامريكية لمكافحة المخدرات مع وزير الداخلية الايطالي وكبار ضباط الامن الايطاليين. وعلى الاثر بدأ تعاون جاد بين سلطات البلدين. وبات المسؤولون الامريكيون يتباحثون يوميا مع المسؤولين الايطاليين، وطار ضباط ايطاليون الى نيويورك لترجمة مكالمات باللهجة الصقلية مسجلة على أجهزة التنصت.

وجاء أحد الاستقصاءات بالجواب الشافي للغز قديم. ففي ١٩٨٥ كشف التحري لوفيان الغطاء عن تابع مغمور في المافيا اسمه لويجي رونسيفال كان يمضي عقوبة في إصلاحية لقتله أحد الطهاة. وكان رونسيفال يعمل لحساب فنشنسو نابولي، وفي سنة واحدة سلم بمفرده نصف طن من الهيروييين، ليس الى نابولي فحسب بل الى سالفاتوري كاتالانو ايضا، وهو الرجل الذي رآه عميل الـ«FBI» يتناول الغداء مع "بول الكبير" كاستيلانو.

لقد انحل لغز ذلك الغداء القديم،



فكاتالانو هو أحد زعماء المافيا الكبار، واجتماعه مع كاستيلانو هو في حقيقته جلسة للمبعوث الصقلي مع زعيم المافيا في أمريكا لتحديد شروط جديدة للدفع ثمناً للامتياز الامريكي للهيروويين.

نصر ومأساة. أخيراً، بعد أكثر من مليون ساعة عملا في الرصد والتنصت والرقابة السرية، تجمعت لدى المدعين العامين في الولايات المتحدة وايطاليا أسماء ومعلومات تتيح لهم توجيه اتهامات الى مشبوهين. وتزامنت جلسات المحاكمة في مانهاتن وباليرمو.

وقد أحالت وزارة العدل الامريكية ٣٨ متهما على المحاكمة. وأركن بعض هؤلاء الى الفرار فيما اغتيل آخرون قبل المحاكمة او أثناءها. واستغرقت الجلسات ١٧ شهراً، وهي أطول محاكمة اتحادية أمام هيئة محلفين. وفي دعوى الحكومة أنَ المتهمين استوردوا خلال خمس سنوات ما قيمته ١،٦ مليار دولار من الهيروويين وهرَّبوا مداخيلها ومداخيل الكوكايين الى ايطاليا وأمريكا الجنوبية والشرق الاوسط وتركيا. ودانت هيئة المحلفين ١٨ متهماً من أصل ١٩ بقوا قيد الحياة. وساعدت شهادة رونسيفال في زج كاتالانو في السجن مدة ٤٥ عاما.

لكن السلطات قطعت بذلك ذراعا واحدة للاخطبوط، كما أوردت ستيرلنغ، لأنها "لم تعرف من كان ينقل الهيروويين الى البلاد، ولا أسلوبه في ذلك، ولا من نقل الهيروويين والكوكايين من ساحل الاطلسي الى ساحل الهادىء."

وشهدت باليرمو أضخم محاكمة انعقدت في أي مكان من العالم. وافتتحت الجلسات في فبراير (شباط) ١٩٨٦ بمثول ٤٧٤ متهما، بينهم أكثر من مئة مطلوب. وكانت قاعة المحكمة غرفة

PHOTO: © FABIO PONZIO / TIME MAGAZINE



كبرى المحاكمات في التاريخ: شملت محاكمة المافيا في باليرمو عام ١٩٨٦، ٤٧٤ متهما، واقتضت تدابير امنية محكمة.

محصنة تحوطها قوات مسلحة. وقد أدلى أكثر من ١٣٠٠ شخص بشهاداتهم.

ودانت هيئة المحلفين الصقليين ٣٤٢ متهماً بمن فيهم جميع أفراد عصابة كوبولا. وخيِّل الى العالم أن المافيا الصقلية انكسرت شوكتها. لكن العالم كان على خطأ.

توقفت حوادث الاغتيال خلال انعقاد المحاكمة طوال ٢٢ شهراً. ولكن بعد انقضاء ساعتين على إصدار الحكم عادت أعمال القتل. وفي صقلية وحدها سقط اكثر من ٢٠٠ ضحية خلال الأشهر الثمانية التالية لانتهاء جلسات المحاكمة، وبين هؤلاء رجال شرطة وقضاة ونسوة وأطفال. وأعلن أحد قضاة باليرمو يائساً: "لم يتبدل أي شيء."

وفعلا، قزَّمت محكمة الاستئناف العليا في ايطاليا الجهود البطولية التي بذلت وحوَّلتها أضحوكة. ففي العام ١٩٨٨ استخفَّت بالبينات الدامغة اذ نقضت استنتاج المحكمة البدائية أن للمافيا "تركيبا وحدويا وعموديا،" وقضت بأن المافيا مؤلفة من أسر تعمل فرادى من دون أي رابط هرمي مع عصابة كوبولا.

وأجاز البرلمان الايطالي قانونا يمنح المساجين ذوي السلوك الحسن "مأذونية" ٣٠ يوما كل سنة. وفي بداية ١٩٨٩ لم يبقَ الا ٦٠ متهما قيد الاحتجاز من أصل ٣٤٢ شخصا، إذ توارى كثيرون أثناء مأذونيتهم أو اطلاقهم للعمل، ومن بينهم مافيوزي ذوو مكانة مرموقة في المافيا، وأحدهم عضو في عصابة كوبولا.

ها قد عاد الاخطبوط حرا طليقا.

اليوم تعرف سلطات الأمن في العالم غريمها. تقول ستيرلنغ منذرة ومحذرة: "تلك المنظمة لا يمكن ان يكافحها بلد بمفرده." فالوجه الاخطر في أخطبوط المافيا هو ثروتها الضخمة التي تتيح لها أن تسيطر على أسواق البورصة وتتملك شركات مشروعة وتشتري ساسة في أنحاء العالم. ويحمل المستقبل تحديا كبيرا متى أزالت ١٢ دولة في المجموعة الأوروبية الحدود الداخلية بينها سنة ١٩٩٢، بما فيها الحواجز الجمركية وضابطات جوازات السفر.

ان الحاجة ماسة الى امتشاق سلاحين دوليين لمكافحة الجريمة المنظمة:

أولا، بنك معلومات يتعقب الصفقات

المالية الكبيرة. في العام ١٩٨٨ ضبطت السلطات الأمريكية شبكة للتعمية عن مصادر الاموال تدفع لمموِّني المافيا التركية بالمادة الاساس لصنع المورفين، ولموظفي الحكومة البلغارية المتورطين في تهريب المخدرات. ومرد ذلك الاكتشاف الى تعرُّف أحد بنوك المعلومات في مصلحة الجمارك الأمريكية الى نمط انسياب الأموال. لكن أيا من الدول الاوروبية لم توافق على اقتراح أمريكي بانشاء بنك دولي للمعلومات.

ثانيا، قوات صدم شرطية اقليمية. ان تجار المخدرات متورطون في عمليات تزوير واحتيال على نطاق دولي، ويتعاطون تجارة السلاح والسندات المالية المسروقة والذهب والحجار الكريمة. وعلى الدول أن تشكل قوات شرطة دولية ضاربة لتحري هذه الجماعات ومهاجمتها.

يقول روبرت بلاكلي الخبير البارز في شؤون الجريمة المنظمة: "قوانيننا ومحاكمنا وقاعات محاكمنا وأجهزة فرض القانون، كلها ليست مهيأة لمواكبة ذلك اللفيف الجديد من منظمات الاجرام الذي يتخطى القوميات والبلدان على النحو الموصوف في كتاب "الاخطبوط" لكلير ستيرلنغ. على حكوماتنا وهيئات محلِّفينا وسلطات أمننا أن تتحلى بالكفاية التنظيمية، أو تخسر الحرب. فالمجرمون يتمتعون بتلك الكفاية من دون ريب."

يوجين هـ. متفين ■



خياطة الرجال

قرر أبي تعلم الخياطة بعد تقاعده. ولكونه الرجل الوحيد في مدرسة الخياطة الليلية، واجهته بعض اللحظات المربكة في البداية. ولعل اغرب خبراته على الاطلاق كانت تعبئة ابرة آلة الخياطة. فقد راقبته النساء مشدوهات وهو يرفع الآلة بيسراه نحو المصباح الكهربائي، ممسكاً الخيط في اليد اليمنى، ومحدقاً بعينين نصف مغمضتين لكي يبصر خرم الابرة.

م.غ.

خير الكلام

ذات صباح اضطرت صديقتي الى مغادرة منزلها بعجلة، فتركت الاسرّة غير مرتبة والاطباق في المجلى والبيت في حال فوضى. ولدى عودتها وجدت رسالة قصيرة من أمها التي أعطتها مفتاحاً للمنزل، وفيها:

"أتيت. رأيت. غادرت."

ك.ت.

قد يكون الوقت شافياً عظيماً، لكنه بالتأكيد لن يعطِّل عمل جراحي التجميل.

ا.ك.

نصائح خبيرة إلى ربّات البيوت

هل تمقتين أعمال المنزل؟ استنجدي اذاً بهذه الصديقة



التقيت أيلواز للمرة الاولى على باب منزلها في سان أنطونيو بولاية تكساس. كانت تنتعل حذاء أصفر مفتوحاً، وقد زيّنت كلا من اصبعي قدميها الكبيرتين بزهرة قرنفل من ورق أبيض لماع. وكانت ترتدي سروال جينز وقميصا من القطن الابيض عقدته حول خصرها بدلال. كانت في السابعة والثلاثين، تعلو جبينها خصلة شعر بيضاء جميلة شدّتها الى الوراء فأبرزت وجها مستطيلا وعينين بنيتين مرحتين. اما التأثير الباهر لقرطيها الالماسيين وسوارها المصوغ بالالماس والصفير، فلقد أفسده قليلا منظر يديها المرشوشتين بزيت نباتي.

قالت لي وهي تهزّ يديها بنشاط وحيوية: "المعذرة، لقد رششت يدي بزيت بام النباتي. يمكنك شراء زيت خاص يجعل الاظافير المبللة تجفّ بسرعة. لكنني دائما أرش الزيت النباتي. إنه أرخص."

اسمها الكامل بونسي كيا مارشيل ايلواز كروز إيفانز. الجميع ينادونها "ايلواز"، باستثناء زوجها وبعض الاصدقاء الذين ينادونها بونسي. وهي اضافت اسم ايلواز في مطلع شبابها عندما ورثت زاوية "إلماعات من ايلواز"* عن أمها التي بدأت تحريرها في الخمسينات في صحيفة "أدفرتايزر" الصادرة في هونولولو.

ولا بد أن يشعر قرّاء ايلواز بانفراج إن هم علموا أن ايلواز تمقت شغل المنزل. وهي تقول: "بعض الناس يحبون شغل

(*) Hints from Heloise

CONDENSED FROM TEXAS MONTHLY (NOVEMBER '88). © 1988 BY TEXAS MONTHLY, INC., AUSTIN, TEXAS.
PHOTO: © CRAIG STAFFORD / NYT PICTURES

المنزل حقاً. وهؤلاء هم مرضى العقول."

امبراطوريتها بيتها المؤلف من أربع غرف نوم وسبعة حمامات. في هذا البيت تختبر ايلواز الالماعات التي تنشر في أكثر من ٥٠٠ صحيفة تصدر في ٢٠ بلداً. ويسكن معها زوجها السمكري المتعهد ديفيد ايفانز وابنه راسل وهو في الخامسة عشرة من عمره، وثلاثة طيور وثلاثة كلاب.

أفكار "رائعة." الأرض في بيت ايلواز مكسوّة بالسجاد ما عدا مساحة صغيرة تحت الميزان. وهي تقول: "الميازين الموضوعة فوق سجاد ليست دقيقة." وسجادة المطبخ ذات لون بني ترابي "كي لا تظهر عليها البقع." ولديها موقدان، وثلاجتها مثال في الفاعلية. تقول ايلواز: "اني أضع فضلات الطعام في الرف السفلي فأعرف أين أجدها." وهناك، خلف فضلات الطعام، اكتشفت أن وضع طلاء الاظافر في الثلاجة يحفظه من التكثف. والى جانب زجاجة طلاء الاظافير كيس بلاستيك فيه ثياب رطبة جاهزة للكي. وتقول ايلواز ضاحكة: "إذا كان الكيس هناك في الخلف، عرف ديفيد وراسل أنه ممنوع عليهما أكل ما في داخله."

وتشير ايلواز بذراعها بحركة دائرية الى قاعة كبيرة جلست فيها اربع سكرتيرات انهمكن في فرز البريد. وتقول: "إنها غرفة المكتب." ويرد على المكتب ما بين ألفين وثلاثة آلاف رسالة أسبوعيا، تتولى السكرتيرات الرد على بعضها برسائل تمهيدية تعيد ايلواز صوغها لتجعلها أكثر هذراً. وهي غالباً ما تهنىء القارئات على أفكارهن "الرائعة" لجعل الصلصة أقل تكتلا أو لإصلاح حاشية الثوب بسرعة. وإذا اشتكت قارئة من أن إحدى الالماعات لا تنجح، تتصل بها ايلواز هاتفيا مستفسرة.

إنها تعي نزعتها الهاجسية المفرطة لأنها تلاحظها في قارئاتها. وتهمل بعض الالماعات للحال لافتقارها الى شمولية التطبيق، وهي ما تسعى اليه ايلواز. وذات مرة كتبت أم لخمسة أولاد أنها، توفيراً للوقت، تكتب الرسائل وهي جالسة في المرحاض. فعلّقت ايلواز قائلة: "كل ما فكرت فيه هو أن اولادها سيكبرون معتقدين أن أمهم طبيعية."

تعلّمت ايلواز أن تعطي إرشادات واضحة. وهي كتبت مرة في زاويتها أن طريقة جيدة لتنظيف اقفاص العصافير من قشر البذور هي كنسها بمكنسة كهربائية. وما لبثت أن تلقّت رسالة من قارئة تعبّر عن حزنها: "عزيزتي ايلواز، لقد عملت بنصيحتك، لكنك لم تذكري أن علي أن أخرج العصفور من القفص، فشرقته المكنسة."

وكان لأمها أيضا نصيب من المآسي المنزلية. فقبل سنوات كثيرة كتبت ايلواز الأم في زاويتها، لمناسبة عيد الشكر، عن طريقة تحضير الديك الرومي مع مرق التوابل. وأشارت الى وضع كوب من السائل في جوف الطائر كي يبقى طرّياً. وما لبثت أن تلقت رسالة من قارئة غاضبة: "عزيزتي ايلواز، الطائر كان

جيداً، لكن الكوب ذاب داخله.» ومنذ ذلك الحين حرصت في كل وصفاتها الطهوية على ابدال كلمة "ضعي" بكلمة "اسكبي."

بنت أمها. قبل مولد بونسي يوم ١٥ أبريل (نيسان) ١٩٥١ في واكو بولاية تكساس، أسقطت والدتها خمس مرات. وحين ولدت بونسي كانت تعاني حولاً شديداً في عينيها اقتضى تصحيحه اخضاعها لست جراحات. وفي غمرة العمليات نذرت أمها أن تتبرع بعشر دخلها السنوي للمكفوفين اذا شفيت ابنتها. والى اليوم يصرف ١٥ في المئة من دخل الصناديق التي أنشأتها ايلواز لشراء آلات "بريل" كاتبة للتلاميذ المكفوفين.

في العام ١٩٦٩ دخلت بونسي جامعة تكساس الحكومية في سان ماركوس لتدرس الرياضيات. وكانت، في ايام العطل، تعمل مع والدتها في المكتب. وتميزت علاقتهما بالمنافسة المعهودة التي تنشأ عادة بين الوالد الذي أسس العمل والولد الذي يقترح أساليب لتحسين العمل. ورأت بونسي أن تنحني أمام الاتجاهات العصرية وتضمّن كتاباتها الماعات تساعد النساء على إصلاح اعطال السيارات والآباء على العناية بالاطفال.

بعد تخرّج بونسي في الجامعة قر رأيها على تدريس الرياضيات للصفوف الثانوية. لكنها عدلت في اللحظة الاخيرة وقررت أن تعمل مع والدتها. وفي العام ١٩٧٥ اتفقت الام والابنة على أن تحرر بونسي بعض الالماعات وتوقعها باسم "ايلواز الثانية."

وفي ٢٨ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٧ توفيت ايلواز الام عن ٥٨ عاماً بسبب مرض في القلب. وفي تلك الليلة أخذت بونسي قرارها النهائي: أن تحمل اسم والدتها وتكمل رسالتها.

وديفيد، البسمكري الخارق، هو الزوج المثالي لمحررة الزاوية، فهو يساعدها على إخضاع الالماعات للاختبار، وخصوصا تلك المتعلقة بالمطبخ أو بالحمام. وفي المنزل الذي صمماه، لكل منهما حمامه المستقل ومغسلته المستقلة في المطبخ. وتقول ايلواز: "إذا كانت لديكم مغسلة واحدة، فإن زوجك يزعجك لا محالة بوقوفه دوماً قرب مرفقك بحجة انه يريد شيئاً من الخزانة تحت المغسلة."

مناظرة ورق الحمّام. وقفتُ وايلواز في صالة عرض كبرى في سان لويس يحوطنا ٣٠٠ كشك فيها مغاسل ومصابيح مثبتة وجميع أدوات التنظيف التي يتصورها عقل، للاستعانة بها في الشرح. إنه معرض السمكرة، الحدث الكفيل باجتذاب أكثر من ٥٠ ألف شخص في عطلة نهاية الأسبوع.

لم يسع ايلواز أن تتحرك من دون أن يوقفها معجبون ويطلبوا توقيعها. وغالباً ما كتبت لهم: "قبلات وضمّات من ايلواز." وحمل معظم لقاءاتها غفراناً لنساء يشعرن بالذنب. اعترفت إحداهن:

إلى الأمهات المشغولات

١. ما لم تكوني من اللواتي يخربن الفراش كل ليلة، فيمكنك مثلي أن ترتبي سريرك قبل أن تنهضي منه. إجلسي وسط السرير وشدّي الشراشف والبطانيات والغطاء حولك، ثم سوّي الطيات. انزلقي عن أحد جانبي السرير ثم أكملي الترتيب بالطريقة التي تعجبك.

٢. حين تلمين الاشياء من غرفة تعمّها الفوضى، إحملي كيس نفايات أو سلة مهملات لجمع الاغراض التي تودين التخلص منها. أما الاشياء التي تنتمي الى غرفة أخرى فضعيها كلها قرب الباب ثم انقليها جميعها مرّة واحدة.

٣. لنفض الغبار، استعملي طريقة مزدوجة. بلّلي جوربين قديمين أو قفازين من القطن بسائل التنظيف وأدخلي يديك فيهما وانزعي الغبار بيديك الاثنتين.

٤. لتنظيف بلاط جدران الحمّام بسرعة، احملي كدسة من مناشف الورق وزجاجة رشاشة من سائل تنظيف زجاج النوافذ. اعملي من أعلى الى أسفل. بدّلي المناشف واحتفظي بالمبلل منها لتنظيف الأرض.

٥. طريقة سريعة لإزالة البقع من المرحاض هي أن تلقي فيه بضعة أقراص من دواء تنظيف الاسنان الاصطناعية. دعي الاقراص ترغي وتبقبق، ثم نظفي المرحاض بالفرشاة وشدّي "السيفون".

٦. لتنظيف مصارف الماء من الشعر والشحم اللذين يسدانها، اسكبي فيها كوبا من صودا الخُبْز (بيكربونات الصودا) وأتبعيه بكوب من الخل. وفيما الصودا والخل يرغيان، ادفقي فوقهما ماء ساخناً جداً.

٧. لتسهيل التنظيف بعد خَبْز المعكرونة بالجبنة أو البطاطا بالصلصة أو فطائر اللحم، غطي صينية الخَبْز بورق الالومنيوم (ان كنت تستخدمين فرنا عاديا وليس فرن الموجة الصغرى "ميكروويف". بعد العشاء انزعي ورق الألومنيوم ولن تجدي بين يديك وعاء يتطلب فركا لنزع الطعام الملتصق.

٨. وفري وقتا ومالا بتخطيط وجبات الطعام للاسبوع كله قبل التحوج. التحوج لاسبوع كامل يغنيك عن المشاوير الصغيرة الى الدكان التي تستهلك الوقت. كما أن الوجبات المخططة تثنيك عن شراء حاجات غالية بدافع نزوة طارئة، وتريحك من هم القرار اليومي في شأن العشاء.

٩. لتجنب الوقوف في طوابير طويلة، تحوّجي في الصباح الباكر من يوم سبت (أو خميس اذا كانت عطلة الاسبوع يوم جمعة) أو في أي وقت آخر تلاحظين أن المتجر غير مكتظ مثل مواعيد البرامج التلفزيونية الرائجة أو المناسبات الرياضية.

"انني أنهار أمام شغل المنزل." فعلقت ايلوان: "كلنا يحتاج الى عطلة. وحسن أن تنسي شغل المنزل أحياناً وتهتمي بنفسك."

كلمتها أمام جمهور من ٤٠٠ شخص مزيج من الالماعات والنوادر المضحكة. قالت كمن يأتمن الآخر على سر عظيم: "تلقيت رسالة من قارئة تتضمن طرقاً لتنظيف زجاجات إرضاع الاطفال. كتبت: عزيزتي ايلوان، عندما أغلي حلماتي..." وهنا اختفى صوتها وسط ضحكات الحضور. ثم تابعت: "في رسالة أخرى

«ALL-NEW HINTS FROM HELOISE: A HOUSEHOLD GUIDE FOR THE '90S,» COPYRIGHT © 1989 BY KING FEATURES SYNDICATE, INC., PUBLISHED BY PERIGEE BOOKS (THE PUTNAM PUBLISHING GROUP), NEW YORK, N.Y.

كتبت قارئة: عزيزتي ايلوان، قبل ايام، كنت في المطبخ أرش كبدي بالطحين..." وعندما نصحت بوضع النفايات المبللة في حجرة التجليد في الثلاجة داخل أكياس نايلون مقفلة لئلا تنتشر رائحتها في انحاء البيت، دوّن بعض الحاضرين ملاحظات. وهي أضافت اليها محذّرة: "اكتبوا على الاكياس كلمة "نفايات" لئلا تخطئوا وتستخدموها لتحضير الحساء."

في منتصف كلمتها توقفت قليلا لتسأل الجمهور: "من منكم يعلّق محارم الحمّام حول البكرة لجهة الخلف، ومن منكم يعلّقها الى الامام؟" نصف من في القاعة ضج صارخا: "الى الخلف!" فيما ضج النصف الآخر: "الى الامام!" وكل فريق يحاول أن يبز الآخر صراخاً.

وسألت ايلواز كيف تعلق هي محارم الحمام، فأجابتني: "بالطريقتين." وأضافت ببرودة كفيلة بضمان استمرار ايلواز كما هي لأربعين أو خمسين سنة أخرى: أحاول ألا أنهمّ لهذه الامور."

يان ياربو ■



وداوني بالتي...

كنت أنتظر في الصف في مكتب الضمان الاجتماعي عندما دخل عجوز وتقدم مبسرعاً الى المنضدة وقال للموظف: "لدي شهادة تخولني الا أنتظر في الصف، و...".

فقاطعه الموظف قائلا: "حسناً، اذهب وقف مع الآخرين هناك."

فاحتج العجوز: "لكنني قلت لك..."

فالح الموظف: "ذلك هو طابور الاشخاص الذين لا يتوجب عليهم الوقوف في الصف."

من في المنزل؟

قصد زوجي بيت احد زبائنه لكي يقبض أجرة الشهر عن تسليم الحليب. وقرع الجرس، فأتاه الرد: "دقيقة من فضلك." ولكن لم يأت أحد الى الباب. فقرع الجرس ثانية وصاح هذه المرّة: "بائع الحليب!" وسمع مجدداً: "دقيقة من فضلك."

ولم يدرك زوجي الا بعد محاولته الثالثة أنه كان يكلم الببغاء!

الأنيس هو من يصغي مبتسماً الى أمر يعرفه يخبره إياه امرؤ لا يعرفه.

ا.ك.

خَدمَتْ طوال ٣٠ عاماً ببسالة وامتياز، وحاربت في معركة خليج ليت التي تُعتبر واحدة من أهم المعارك البحرية، وساعدت، هي وطياراتها، في إغراق الـ"موساشي" وهي واحدة من اكبر بارجتين حربيتين يابانيتين. كما أغرقت أو عطلت ٢٨٩ سفينة عدوة أخرى، ودمرت أكثر من ٦٠٠ طائرة حربية. ويُعتقد أنها كانت هدفاً لهجوم الكاميكاز (الطيارين اليابانيين الانتحاريين) اكثر من أي حاملة طائرات أمريكية أخرى، كما فقدت أكثر من ٣٠٠ شاب في المعارك. وخدمت لاحقاً في فيتنام، واستردت كبسولتي الفضاء "اورورا ٧" و"جيميني ٣."

على رغم ماضيها المجيد حُكم على "أنتربيد" بتحويلها مكب نفايات في العام ١٩٧٦ باعتبارها حاملة طائرات قديمة العهد في سلاح بحري عصري متطور. وهنا تقدّم مواطن هادىء يدعى زكاري فيشر لانقاذها من مصيرها المحتوم. لقد امتلأت نفس هذا البنّاء النيويوركي بالنقمة إذ سأل نفسه: كيف تكون لمثل هذه السفينة العظيمة نهاية كئيبة كهذه؟

يحب زكاري فيشر أن يردد أنه وُلد مع بداية الطيران البحري عام ١٩١٠ عندما أقلعت أول طائرة من الحاملة الامريكية "برمنغهام." وعندما بلغ السادسة عشرة

حاملة طائرات تصبح متحفاً




زكاري فيشر

من عمره قطع دراسته الثانوية ليساعد والده وأشقاءه في حقل البناء. بدأ عمله في رصف القرميد، ونال بطاقة عضوية نقابية. وعندما بلغ التاسعة عشرة رقي الى مراقبة العمال.

لكن ركبة فيشر أصيبت بأذى جسيم من جراء حادث، لذلك حين هاجمت اليابان مرفأ برل هاربر في ٧ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤١، لم يقبله الجيش الأمريكي في عداده، مما قضى نهائياً على أمله أن يخدم بلاده في الحرب. وفي سعيه الى الخدمة في مجالات أخرى، ساعد سلاح الهندسة الحربية في بناء التحصينات الشاطئية.

مضت أعمال العائلة في ازدهار بعد الحرب. وانخرط فيشر وزوجته اليزابث في إغاثة جرحى الحرب، وساهما في تمويل "شبكة أسرة المحاربين القدامى"، التي أتاحت لجرحى الحرب في المستشفيات فرصة كتابة البرامج واخراجها وتمثيلها وبثها من موقع الى آخر.

اشتهر فيشر بأنه رجل يتذكر حين ينسى الآخرون، وكان هذا سبب دعوته الى فطور حضره عشرون من رجال الأعمال البارزين صباح ٣٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٨. في هذا الاجتماع تحدث لاري سوفنسكي، وهو مؤلف ومؤرخ بحري، عن المصير الذي يتهدد "انتربيد." وأعرب عن اعتقاده بامكان تحويل السفينة متحفاً فضائياً وبحرياً لمدينة نيويورك يضم معروضات تاريخية وتقنية. وفيما كان فيشر يشاهد شريطاً بالأبيض والأسود عن أفعال "إنتربيد"، تذكر الشبان الذين قضوا في لهب النار والدخان وما عنته شجاعتهم لمواطنيهم. فتساءل: هل يسعني تنفيذ مثل هذا المشروع الضخم؟ وهل أستطيع، وأنا في الثامنة والستين من عمري، أن أراه يبصر النور؟ الله العليم. اني أود ذلك.

"متحف انتربيد." مضى فيشر يرافقه سوفنسكي الى فيلادلفيا حيث كانت "إنتربيد" تتأكل منذ الاحتفال المئوي الثاني بالاستقلال عام ١٩٧٦. وكان السبيل الوحيد لبلوغ متنها عبر سلم ضيق شديدة الانحدار. ولما عجز فيشر عن تسلق السلم بسبب ركبته المصابة، حمله سوفنسكي القوي على ظهره وصعد به.

غاص قلب فيشر في صدره عندما بلغ متن السفينة، إذ لم ير حوله سوى طلاء متقشر وأضرار بفعل عوامل الطبيعة والاهمال.

حدَّث نفسه: إني بنَّاء. ثم شد كتفيه الى الوراء وراح يستعيد ذكريات

"انتربيد" ويسرِّح خياله في طبقاتها السبع الزاخرة بالتاريخ الحيّ قبالة أفق مانهاتن الساحر. ووعد نفسه: سأنقذ "انتربيد" ولن يثنيني شيء عن عزمي.

تمثلت المعضلة الأولى في شطب "انتربيد" من سجلات سلاح البحرية، إذ لم يسبق أن نُقلت ملكية حاملة طائرات الى مؤسسة خاصة. والى ذلك كان على فيشر أن يثبت قدرته المالية. واجتازت ثروته الخاصة الامتحان، وقد صنفتها مجلة "فوربس" بين الثروات الأربعمئة الكبرى في البلاد. لكن نقل الملكية كان يستوجب موافقة الكونغرس الامريكي.

وفي ٢٧ فبراير (شباط) ١٩٧٩ ولدت "مؤسسة متحف انتربيد" كشركة لا تتوخى الربح. وبعد ٢٦ شهراً وافق الكونغرس على نقل ملكية "انتربيد" الى المؤسسة.

الرحلة الأخيرة. ما إن انجزت المعاملات حتى واجه المشروع تحدياً آخر في ما خص قوانين الأبنية في مدينة نيويورك. يقول فيشر متبسماً: "لقد اعتبرت الانظمة إنتربيد مبنى ممدداً على جنبه في الماء. وهو أمر غير عملي." فالمدينة لم تلحظ في قوانينها أي تصنيف لجدار فولاذي يحمل مدافع.

وإضافة الى ما قدمه فيشر وآخرون من تبرعات خاصة، اقتضى تمويل المشروع بيع سندات والحصول على قرض من المدينة. لكن الاكتتاب لن يبدأ قبل "إرضاء" قوانين الأبنية في نيويورك.

ولحسن الحظ رأى رئيس بلدية نيويورك ادوارد كوش في "إنتربيد" حجر الزاوية لمخطط تطوير غرب المدينة. فأمر بترميم الرصيف ٨٦ الممتد في نهر هدسون كمرسى جديد للسفينة.

وأخيراً وافقت مدينة نيويورك على تعديلات في قوانين السلامة تنطبق على جميع السفن المستعملة كأبنية عائمة.

وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٨٢ باعت المؤسسة سندات بلغت قيمتها ١٤،٢ مليون دولار معفاة من الضرائب. وحصلت على قرض حكومي بواسطة سلطات مدينة نيويورك بقيمة ٤،٥ ملايين دولار.

وفي شهر فبراير (شباط) قُطرت "انتربيد" من فيلادلفيا الى مَسْفن "هوبوكن" في نيوجرزي لترميمها.

لكن التعديلات المطلوبة كانت جسيمة وحالت دون إتمامها في موعد الافتتاح المقرر في أوائل الصيف، كما فوّتت الحشود المحتفلة بعيد الاستقلال يوم ٤ يوليو (تموز) والتي عوَّل عليها فيشر والمؤسسة. وأسوأ من ذلك أن التكاليف تراكمت على نحو هائل.

وفي يونيو (حزيران) صعد زكاري فيشر واليزابث فيشر ولاري سوفنسكي الى متن حاملة الطائرات "إنتربيد" لتنطلق في رحلتها الأخيرة.

استغرق قطع مسافة ١١ كيلومتراً ست ساعات ونصف ساعة وسط أمطار غزيرة عبر الخليج الاعلى (أپّر باي) دخولاً في مصب نهر هدسون وصولاً الى الرصيف وسط مانهاتن. لقد أراد ركابها الثلاثة أن

يكونوا جزءاً من تلك الرحلة الأخيرة. يقول فيشر: "أصبحت إنتربيد حياتي."

مَعْلم تاريخي. تقرر افتتاح "متحف إنتربيد البحري والفضائي" يوم ٤ أغسطس (آب) ١٩٨٢، وقُدِّر رواده للسنة الأولى بمليون زائر حضر منهم ٧٨٠ ألفاً فقط. وانتهت السنة المالية الاولى بعجز بلغ ٣،٥ ملايين دولار. لكن فيشر مضى يسدد الفواتير غير مبال، وقال لمندوب صحيفة "نيويورك تايمز": "لن يُقفل هذا المتحف أبداً."

جدَّد فيشر قرض مدينة نيويورك ونال مساعدات من رجال الأعمال المحليين وتابع مد المشروع بأمواله الخاصة. وبمساعدته غدت أموال المتحف كافية لتغطية مصاريف العمل. لكن المتحف واجه أوقاتاً صعبة حين بلغت خسارته في السنة المالية المنتهية في أبريل (نيسان) ١٩٨٥ مليون دولار إضافة الى ٢،٧ مليون دولار فوائد مصرفية.

ولكن حين ارتفع عدد الرواد عام ١٩٨٥ اعتلى فيشر منصة الطيران وأعلن ثقته بقدرة المتحف على الاستمرار. وهو بنى آماله على صيف ١٩٨٦ اذ كان منتظراً أن تستقطب احتفالات إعادة تكريس تمثال الحرية في نيويورك ملايين الزوار.

وتبسم الحظ مبكراً عندما أُعلنت "إنتربيد" من المعالم الوطنية التاريخية. كما أنها شاركت في احتفالات الذكرى المئوية الأولى لتمثال الحرية.

شعر فيشر بسعادة لا توصف وهو يرى عدد زوار المتحف من الاطفال يزداد باطراد. فراح يراقبهم في قاعة رواد الفضاء وهم يصغون الى معلومات عن إقلاع أول طائرة من منصة حاملة الطائرات الامريكية "برمنغهام." وتبعهم الى قاعة التكنولوجيا حيث توالوا على لمس كبسولة فضائية.

وفي قاعة البحرية راقب فتى وفتاة وهما يشاهدان شريطاً على شاشة عريضة كان هو ساعد في انتاجه، حول العمليات الجوية على متن حاملة الطائرات النووية الامريكية "نيميتز."

وتوهج وجها المراهقين حماسة لدى مشاهدتهما التزاوج الرائع بين التكنولوجيا والتفاني البشري. ثم عادت إليهما الرصانة وهما يجوبان قاعة الشرف المخصصة لحملة "أوسمة الشرف"، أولئك الرجال الذين عُرفوا ببسالة تتجاوز حدود الواجب.

قصص بطولة. يزور المتحف على الدوام رجال حاربوا على متن "انتربيد"، أمثال ألونزو سوان (٦٤ عاماً)، يفدون ليروا مشاهد من المعارك التي حصلت يوم ٢٩ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٤٤.

ويروي العرض قصة هجوم الكاميكاز حين كان سوان و٢١ من رفقائه يشغِّلون المدافع المضادة للطائرات مركزين على أجنحة الطائرات الانتحارية وأذيالها.

رمى الطيار قنبلته في البحر قبل الأوان، لكن الطائرة مضت مندفعة نحو منصة الطيران، وأصاب جناحها المتبقي مربض المدفعية العاشر راشاً البحارة

بالوقود الذي تحول في لمحة خاطفة لهباً حارقاً تسبب في مقتل عشرة منهم. وأصيب سوان بحروق خطرة وجروح شظايا، لكنه عاش ليواجه هجومات أخرى عامي ١٩٤٤ و١٩٤٥. وبعد استسلام اليابان عادت "إنتربيد" ببحارتها وبأسرى حرب شاكرين.

وجال سوان في السفينة مع ابنه وحفيده، وأراهما لوحة تذكارية تشهد على بطولة طاقم مربض المدفعية العاشر، وأشار برفق الى اسمه وأسماء رفقائه الذين سقطوا في ذلك اليوم.

أصبحت "إنتربيد" في أمان وتحقق حلم فيشر. وهو وقف يراقب العَلَم يعلو فوق سارية السفينة، وناطحة السحاب "أمباير ستايت" تتلألأ قبالته. وجالت في ذهنه أفكار. قال في نفسه: "على مدى السنوات الآتية، وبعد سنين وسنين من رحيلي عن هذه الدنيا، ستبقى هذه السيدة المقاتلة صامدة لتخبر أحفادنا قصصاً عن الواجب والشرف والايمان، عن الأمل والشجاعة والفخر، عن الحنان والتضحية والثبات."

جون كالهين ■



أمير الاحلام

أخبرتُ زملائي في العمل بعزمي على زيارة "عالم ديزني" خلال عطلتي السنوية. فأعربت احدى الزميلات عن رغبتها في العيش هناك: "تصوروا كم هو جميل أن أعيش في أرض الخيال وان توقظني في الصباح قبلة أمير وسيم."

فقلت متباهياً: "هذا ما يحدث لزوجتي كل صباح."

فسألت زميلتي مازحة: "حقاً؟ وكيف تسمح انت بذلك؟"

ج.م.

عصفور ودودة

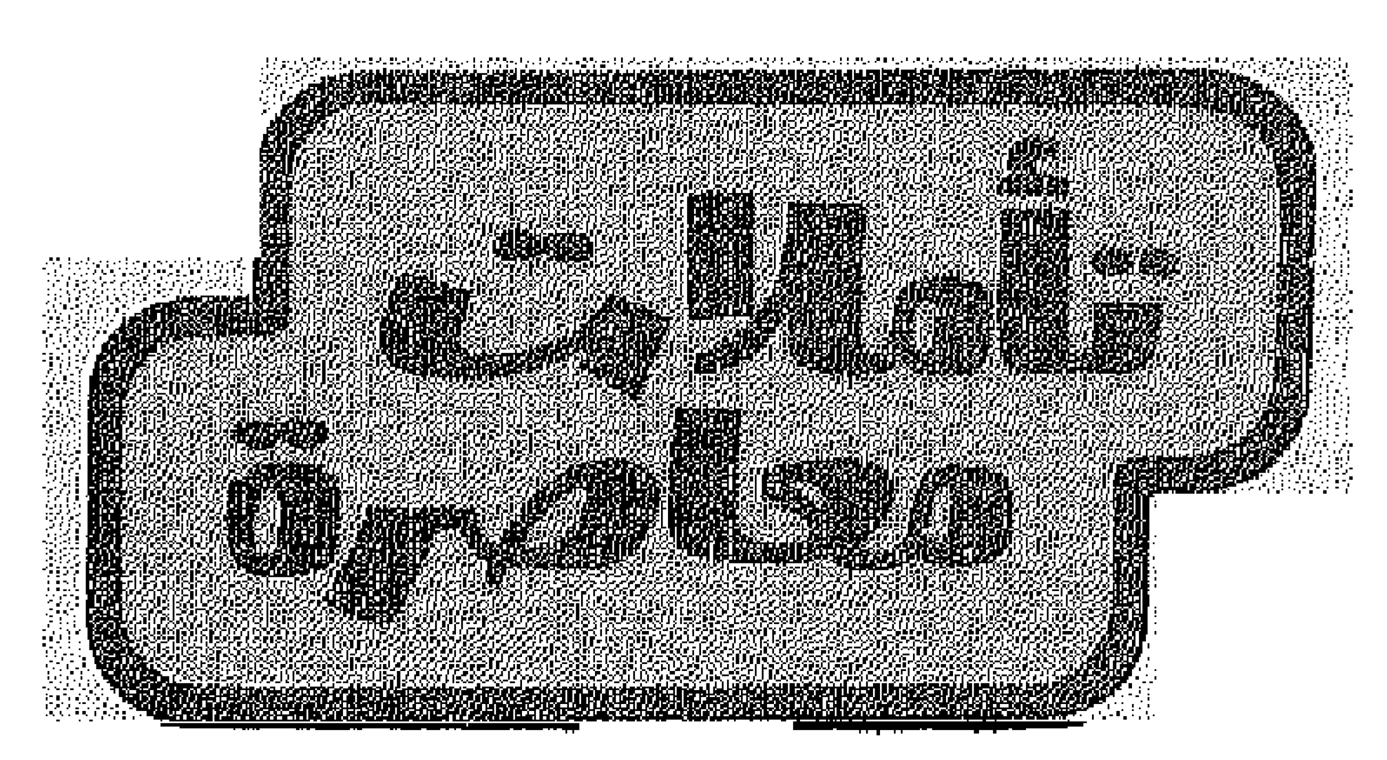
لأختي ولدان، صبي في التاسعة وبنت في السابعة. وقد حاولت يوماً ايقاظ حب الطبيعة فيهما، فأخبرتهما انها رأت ذلك الصباح عصفوراً يسحب دودة بمنقاره من الارض، تماماً كما في الرسوم المتحركة. وسألتهما: "أليس ذلك رائعاً؟"

فردت ابنتها: "رائع؟ أخي يفعل ذلك دائماً."

ج.ل.م.

لا حدود لما يستطيع مدير انجازه إن هو أقنع الآخرين بالعمل.

ك.ك.



الشهرة والعظمة

■ لا تخلطوا بين الشهرة والعظمة. فكثيرون من حاملي الألقاب في عالم اليوم اكتسبوا الشهرة والثروة عن غير استحقاق.
ما أكثر العظماء المغمورين الذين التقيتهم في حياتي. فالعظمة، في اعتقادي، مقياس لنفسية الشخص لا نتيجة لمرتبته في الحياة. ولا أحد يستطيع منح العظمة، فهي انجاز وليست ثمناً. وقد تتوج العظمة رأس بوّاب مثلما تتوج رأس صاحب منصب مرموق.

شرمان فاينسلفر، قاض أمريكي

موت مؤلف

■ أفضل نعي هو نعي مؤلف الأغاني. فعندما يموت أحد المؤلفين وتقرأ في الصحيفة لائحة الأغاني التي ألّفها، تشعر على الفور بارتباط عاطفي معه. وتنفذ العناوين الى أعماقك فتتجاوب معها متذكراً المرة الاولى حين سمعت هذه الاغنية أو تلك. ربما كان ذلك خلال لقائك الأول مع الحبيب، أو في حفلة تخرجك في المدرسة الثانوية، فتسترجع ذكرياتك مع الأغاني كمن يقرأ فصول سيرته الذاتية.

ا.غ.

أوهام السعادة

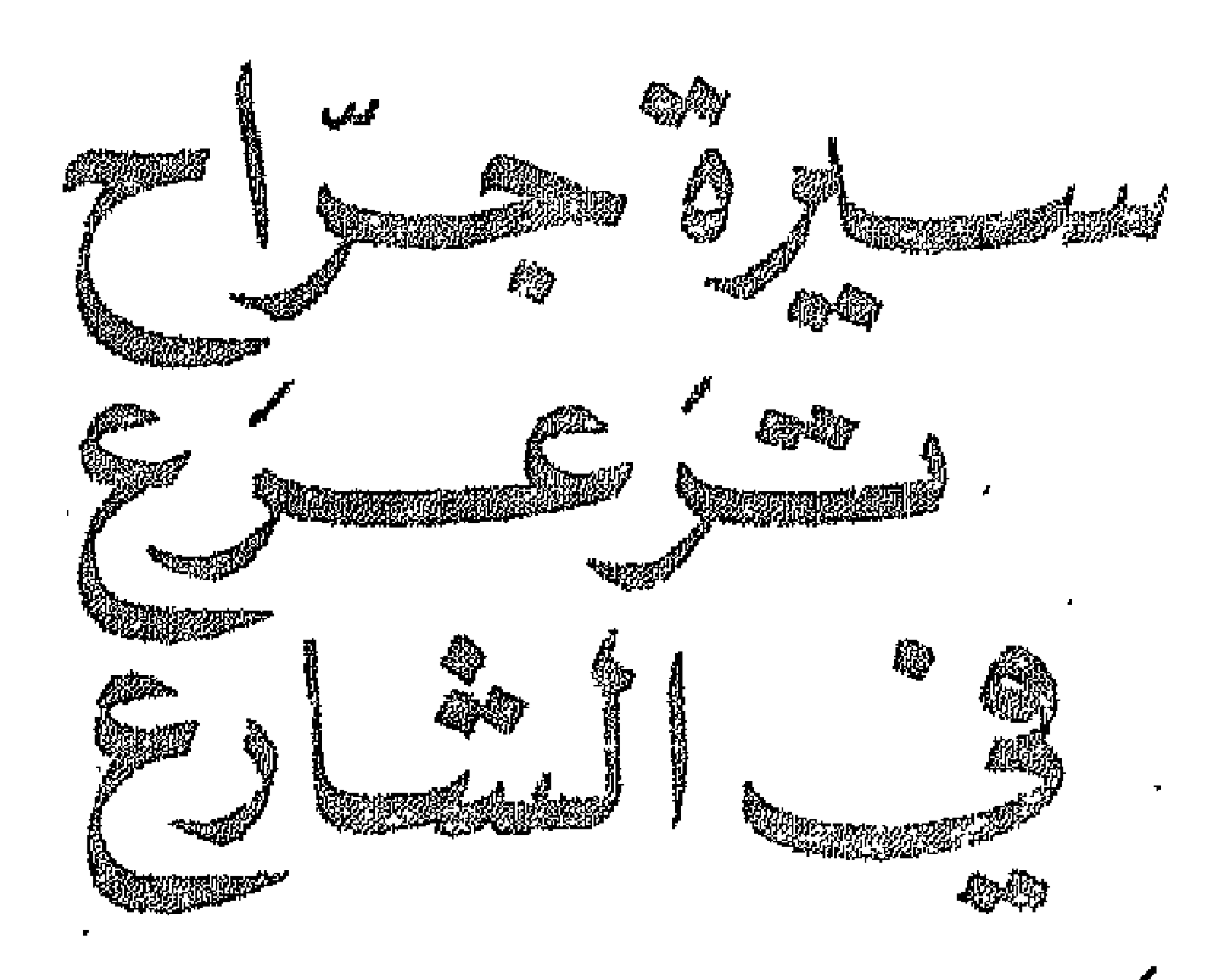
■ الممتلكات التي يسعى الناس الى الحصول عليها قد تفسد العيش وترهق الكاهل. فالمنزل الضخم مثلا، وهو من علامات النجاح، لا يجلب السعادة. فكلما كبر حجمه ازدادت الانابيب التي قد تنفجر والجدران التي قد تتشقق وورق الجدران الذي قد ينزعه الاولاد.
امام منزلي مرجة خضراء فسيحة. ويقول اصدقائي إنني محظوظ لان هناك مكاناً للاولاد يلعبون فيه. لكنني لست أكيداً من ذلك. فقد انفقت خمسين دولاراً ثمن أسمدة اذ لم تعجبني خضرة العشب، فاضحى لدي الآن موسم فائض من الاعشاب الضارة، وبات علي شراء مبيد لها. وعندما تذوي سوف اقلب التربة واسوّيها وانظفها من النبات القديم ثم انثر فيها بذور العشب وأغطيها بالقش. بعد ذلك يبدأ الريّ. وخلال هذه العملية الطويلة لن أسمح للاولاد باللعب في المرجة.

صامويل بيكرنغ

نهر في المدينة

■ أمر رائع أن يمر نهر في مدينة. فأي جسم مائي يشبه تنهيدة ارتياح في الحوار المديني الذي لا ينقطع. وكل ما يحول نور الشمس نجوماً مائية يمنّ براحة وشفاء على العيون المتعبة من رؤية الأرصفة والازدحام.
حتى من بعد، يضفي النهر سلامه. ومنظر المياه في الصباح ينسي المدينيين أنفسهم فينشطون بعد انقباض. لعلّه يذكرهم بنظرتهم الاخيرة الى البحر.
المدينة رائعة، لكن النهر يضفي على الأشياء أبعاداً أجمل.

ا.د.



تحوّلت السكين بين أنامله الرشيقة من أداة للقتل الى مبضع ينقذ الحياة

نظر بن كارسون الى خريجي العام ١٩٨٨ في مدرسة جنوب غرب ديترويت الثانوية بولاية ميشيغن في حفلة التخرج يوم ٩ يونيو (حزيران). وكان كارسون في السادسة والثلاثين من العمر وقد بات جراح أعصاب بارزاً يُجري جراحات دقيقة منقذة. وهو تخرج قبل ١٩ سنة في المدرسة إياها التي تقبع في ناحية مهملة من وسط المدينة تقطنها أقليات فقيرة. وتذكّر الظروف القاسية في حي هو من الأعنف والأفقر في ديترويت. وخالجه إحساس العارف باليأس والقنوط اللذين يغمران نفوس هؤلاء الخريجين المئتين والستين في تطلعهم الى المستقبل.

PHOTO ... MICHAEL MALLY - MEDICHROME

لقد أمضى كارسون الأسابيع الاخيرة حائراً في طريقة لاقناع الخريجين بقدرتهم على 'النجاح، هم أيضا، في مقارعة أضداد تبدو مستحيلة. وأخيراً اعتلى الطبيب منصة الخطابة بقامته المديدة وبنيته الناحلة ملوحا بيديه وأصابعه الطويلة الدكناء الناعمة، وسأل الطلاب: "أترون أصابعي هذه؟" ثم تابع: "أنا لم أستعمل هذه الاصابع دوماً في الجراحة. فحين كنت أصغر منكم سناً، حملت سكيناً هددت بها الناس. ومرة حاولت قتل أحد الأشخاص."

فشهق الطلاب غير مصدقين.

ترعرع بن واخوه الاكبر كورتيس في مسكن أرضي ضيق متداع على مقربة من المدرسة. وكانت أمهما صونيا التي تزوجت وهي في الثالثة عشرة من عمرها وطلّقت حين بلغ بن الثامنة من عمره، تتنقل بين عملين وأحيانا ثلاثة أعمال بأجور زهيدة. وكانت تحلم بحياة أفضل لولديها وتُلقي على أسماعهما كثيراً من الأشعار والحكم الملهمة. إلا أن ابنيها لم يحققا نجاحاً في الدراسة بادىء الأمر، خصوصاً بن الذي كانت علاماته متدنية جداً حتى انه حين حصل مرة على علامة دون المعدل قليلا في الحساب لمع بصيص أمل في عيني معلمته وقالت له مشجعة: "إنه لتقدم ملموس يا بن!"

عرفت صونيا كارسون أن ابنها بن كان ذكيا ولكن يعوزه الحافز على النجاح، فأعلنت ذات يوم: "منذ الآن، لن أسمح لكما الا بمشاهدة برنامجين تلفزيونيين في الأسبوع. وعليكما أيضا مطالعة كتابين أسبوعيا على الاقل وتلخيصهما لأتحقق من قراءتكما اياهما."

كره بن المطالعة أول الأمر، ثم اكتشف تدريجا عالما جديداً من الامكانات. ولم يمض وقت طويل حتى بدأ يقرأ بشراهة كتباً زادت على العدد الذي حددته أمه، وصار لا يقوى على الانتظار لاشراكها في متعتهما.

دأبت الأم على مراجعة ملخصات الكتب باهتمام بالغ. وكان بن يبتسم برضا وأمه تقول له: "إنه لعمل جيد يا بني." ولكن ما لم تقله الأم لولديها هو أنها لا تحسن القراءة لتركها الدراسة وهي في السنة الابتدائية الثالثة.

نقطة تحول. ذات يوم أعلن بن: "أماه، حين أكبر أريد أن أصبح طبيبا في بعثة إغاثة دولية كي أزور بلداناً بعيدة وأشفي الناس."

ابتسمت صونيا عالمة أن بن لا بد قرأ كتاباً عن أعمال الإغاثة، وقالت: "في قدرتك أن تكون ما تريد. أطلب العون من الله عز وجل، فان ساعدت نفسك ساعدك."

ومع ارتسام الهدف، حلّق بن من الحضيض الى قمة صفه، مما أذهل أساتذته. وبقي أمر واحد لم يستطع التغلب عليه، ألا وهو طبعه النزق الحاد. فلقد كان يغلي غضبا لغياب والده وللمشقات التي تواجه والدته وللحياة التى لا أمل فيها في محيطه.

وفيما كان ذات يوم عائداً الى منزله، تشاجر مع رفيق له وهاجمه طعناً بسكين

ضرب نصلها حزام الفتى المعدني فهرب مرتعباً.

وقف بن مصعوقاً، وخاطب نفسه: "كدت أقتل إنساناً!" وعاد الى منزله بخطى متعثرة وقد تملكه دوار، وصعد السلم، ثم حبس نفسه في غرفة الحمام حيث جلس ساعات الى حافة حوض الاستحمام مأخوذاً بما فعل. وبعد تفكير عميق قرر أنه اذا أراد تحقيق حلمه في أن يصبح طبيباً يشفي الناس، فعليه شفاء نفسه اولا. فركع مصلياً: "يا رب، أزل من نفسي الغضب."

أخبر أمه لاحقاً بحادث الهجوم بالسكين وبالتماسه العون من الله، فاحتضنته قائلة: "كل ما عليك فعله هو التماس العون من الله." وللمرة الأولى في حياته شعر بن بسلام يغمره.

لا شيء يخسره. تخرَّج بن عام ١٩٦٩ ثالثاً في صفه، ونال منحة دراسية مكنته من الالتحاق بجامعة ييل في نيوهافن بولاية كونيتيكت. وهناك التقى كاندي روستن التي تزوجها بعد ثلاث سنوات. وبعد ييل حصل على منحة لدراسة الطب في جامعة ميشيغن في آن آربر. وبعد فترة قضاها جراحاً عاماً متمرناً، التحق بمستشفى جونز هوبكنز حيث مكث خمس سنوات كجراح أعصاب مقيم.

وفي العام ١٩٨٣ انتقل وزوجته كاندي الى غرب أوستراليا حيث أصبح كبير جراحي الأعصاب المقيمين في "مركز كوين اليزابث الطبي"، وهو من أكبر مراكز جراحة الدماغ في أوستراليا.

وبفعل ضغط العمل الشديد اكتسب كارسون خلال ١٢ شهراً خبرة كانت أقتضته سنوات في أمريكا. وفي العام ١٩٨٤ عاد الى مستشفى جونز هوبكنز حيث عُيِّن مديراً لقسم جراحة أعصاب الأطفال وهو في الثالثة والثلاثين من عمره.

وبعد أشهر، في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥، واجه كارسون واحدة من أولى الحالات التي بدت مستعصية، اذ أدخل الى المستشفى طفل في الرابعة من عمره يشكو من ورم سرطانيّ في عنق الدماغ. وكان الأطباء اعتبروا أن إجراء جراحة لاستئصال الورم أمر غير ذي نفع. أما والد الطفل فقال لكارسون: "نحن على ثقة بأنك تستطيع إنقاذه."

وعندما أجرى كارسون الجراحة في اليوم التالي، تأكدت أسوأ مخاوفه بأن الورم السرطانيّ انتشر الى درجة حالت دون رؤية عنق الدماغ. فاستأصل الورم ما أمكنه ذلك، ثم أخبر والدي الطفل النبأ المؤسف قائلا بلطف: "أخشى أن هذا هو كل ما يسعني فعله."

وبعد أيام فوجيء الجميع بتحسن حال كريستوفر. فأمر كارسون باجراء تخطيط للدماغ ليفاجأ برؤية عنق الدماغ بادياً كطيف.

بعد ثلاثة أسابيع أجرى كارسون للطفل جراحة ثانية، واستطاع هذه المرة أن يستأصل الورم الخبيث طبقة طبقة حتى بان عنق الدماغ سليماً معافى.

وشفي كريستوفر تماماً، مما دفع كارسون الى الاستنتاج الآتي: إذا كانت

الجراحة لا تترك المريض في حال أسوأ مما لو تُرك المرض يستشري من دون كبح جماحه، فليس هناك ما نخسره من اجراء الجراحة، إذ من الممكن انقاذ المريض في هذه الحال.

وفي ٨ أغسطس (آب) ١٩٨٥ أجرى كارسون جراحة جريئة ومثيرة للجدل على ماراندا فرنسيسكو (٤ سنوات) التي كانت تعاني نوبات عصبية بلغت ١٢٠ نوبة في اليوم بحيث لا يفصل بين الواحدة والأخرى ثلاث دقائق أو أربع. وكان جانبها الأيمن مشلولا لاصابتها بالتهاب دماغي مزمن نادر[1] اذا ترك على مداه تسبب في تلف دماغي خطير.

وخلال جراحة استغرقت عشر ساعات، استأصل كارسون النصف الأيسر المصاب من دماغ ماراندا. وبعد ستة أشهر استعادت الطفلة اللعوب، الصعبة المراس، قدرتها شبه الكاملة على استعمال ذراعها وساقها اليمنيين، كما تعافت تماماً من النوبات. ويبدو أن الجانب الأيمن من دماغها تولى وظائف الجانب الأيسر، مما أتاح لها أن تتابع تحقيق حلمها في أن تصبح باليرينا (راقصة باليه).

الامتحان الأخير. سرعان ما امتلأت جدران عيادة كارسون بصور الأطفال الذين أنقذ حياتهم. وهو استحق كذلك ثناء الآباء والامهات الذين كالوا له المديح والتقدير لعطفه واهتمامه. وغدا، وهو في الخامسة والثلاثين من عمره، أحد صانعي عجائب الطب الحديث، ومرجعاً يقصده الجراحون من أصقاع الأرض طلباً للنصح والمشورة.

وفي أبريل (نيسان) ١٩٨٧ وصل الى مستشفى جونز هوبكنز طبيب من ألمانيا الغربية ومعه سجلات توأمين سياميين[2] حديثي الولادة اسمهما باتريك وبنيامين بيندر. كان للوليدين دماغان منفصلان، ولكن عند مؤخر رأسيهما حيث اتصلا، كانت شرايينهما مشتركة. وقد رفضت الأم التضحية بأي منهما لانقاذ الآخر، فيما لم يتوصل الأطباء الى وسيلة أخرى لانقاذ الموقف. ففي حالات كثيرة تمّ فيها فصل توأمين متصلين عند مؤخر الرأس، كان أحدهما يعيش ويموت الآخر أو يبقى حياً يعاني تلفاً خطيراً في الدماغ مرده، جزئياً، الى النزف الحاد.

استنبط كارسون خطة يمنح فيها التوأمين أفضل فرصة للنجاة. وقضت الخطة بايقاف قلبيهما وافراغ الاوعية الدموية من الدم وعدم معاودة تنشيط الدورة الدموية إلا بعد فصل التوأمين. قال كارسون بعد مداولات طويلة مع الدكتور دونلن لونغ رئيس دائرة جراحة الأعصاب: "في وسعي القيام بذلك."

استغرقت الجراحة ٢٢ ساعة وتطلبت فريقاً من ٧٠ شخصاً. وبعد أيقاف قلبي التوأمين وافراغ أوعيتهما من الدم، لم يبق أمام كارسون سوى ساعة واحدة لفصل الشرايين المتضررة والمتشابكة. عمل بسرعة وكفاية حتى واجهته معضلة مستعصية: الاوعية التي تنقل الدم من

(١) Chronic encephalitis, Rasmussen's type

(٢) التوامان السياميان يولدان ملتصقين خلقة.

دماغ كل من الطفلين الى قلبه كانت متشابكة الى حد لم يتوقعه.

بدأت الشكوك تراود كارسون في قدرته على انقاذ الطفلين. ثم سمع صدى يتردد في رأسه: "الله قادر على إنقاذك دوما من كل موقف صعب يضعك فيه."

فتحركت أنامل الجراح رشيقة تسبر دماغي الطفلين. وبعد عشرين دقيقة من إيقاف الدورة الدموية، أكمل كارسون مرحلة التقطيع، وانتقل وفريقه الى العمل في الدقائق الاربعين المتبقية على وصل الأوردة واقفال رأس باتريك. وقام الدكتور لونغ وفريقه بعمل مماثل على بنيامين. ولم تمض الساعة المحددة إلا وقد انفصل التوأمان كليا، وجُرَّت طاولتا العمليات منفردتين.

خرج الدكتور كارسون الى غرفة الانتظار والبهجة تفيض من محياه على رغم الارهاق، وسأل الأم: "أياً منهما تودين مشاهدته أولا؟"

كلمة مؤثرة. جلس طلاب مدرسة جنوب غرب ديترويت الثانوية بصمت يصغون الى بن كارسون وهو يسرد رحلته من ابن شارع أرعن الى جراح أعصاب طبقت شهرته الآفاق. قال: "اعلموا أن هناك طرقا عدة تسلكونها. وما بلوغ مرتبة جراح أعصاب بأمر يصعب تحقيقه. فكل ما تحتاجون اليه هو التصميم والانضباط الذاتي. لكنكم لستم مضطرين الى أن تصبحوا جراحي أعصاب. فهناك فرص كثيرة تنتظركم في كل مكان. عليكم فقط أن تكونوا على استعداد للافادة منها. فكروا في عظائم الأمور، وتطلعوا الى العلاء، لأن أحداً لم يولد ليكون فاشلا. فإن خامرتكم رغبة في النجاح وعملتم بكدٍ وجهد وعناء، فالنجاح حليفكم."

وصمت لحظة ملتفتا الى حيث كانت أمه جالسة في المقاعد الأمامية. لقد كانت دوما ملهمته. وهي تعلمت القراءة بتشجيع منه، واستحقت في النهاية الشهادة الثانوية.

قال كارسون مختتما كلمته: "أود رفع الشكر إلى الله، وإلى أمي، للنجاح الذي حققته."

وهنا وقف الخريجون يصفقون بحماسة على مدى خمس دقائق.

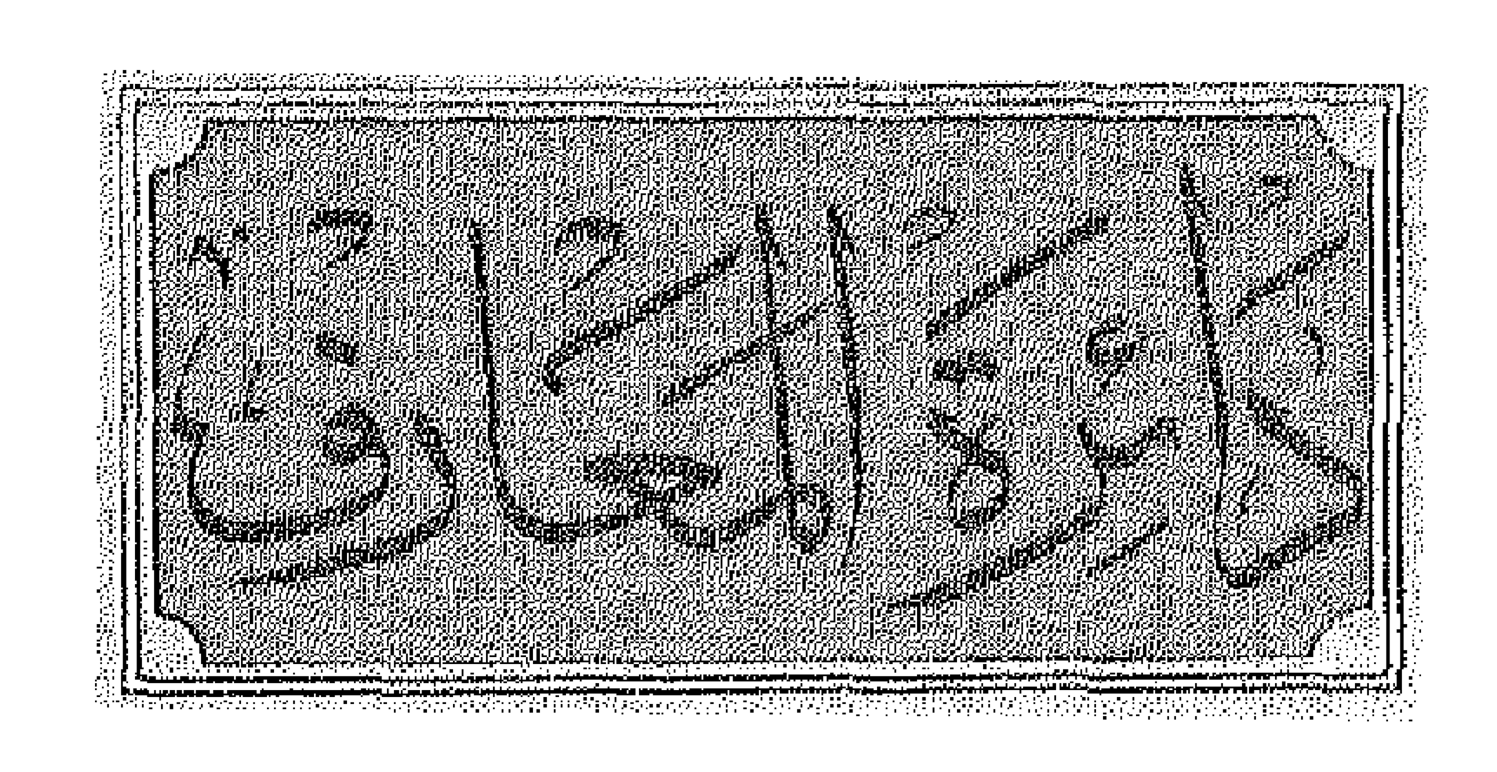
بعد الاحتفال احتضنت صونيا كارسون ابنها بقوة، وقالت له: "لقد صحّ القول يا بني ونلت مبتغاك. حقا تستطيع أن تكون ما تريد!"

كريستوفر فيليبس ■

رفيقان

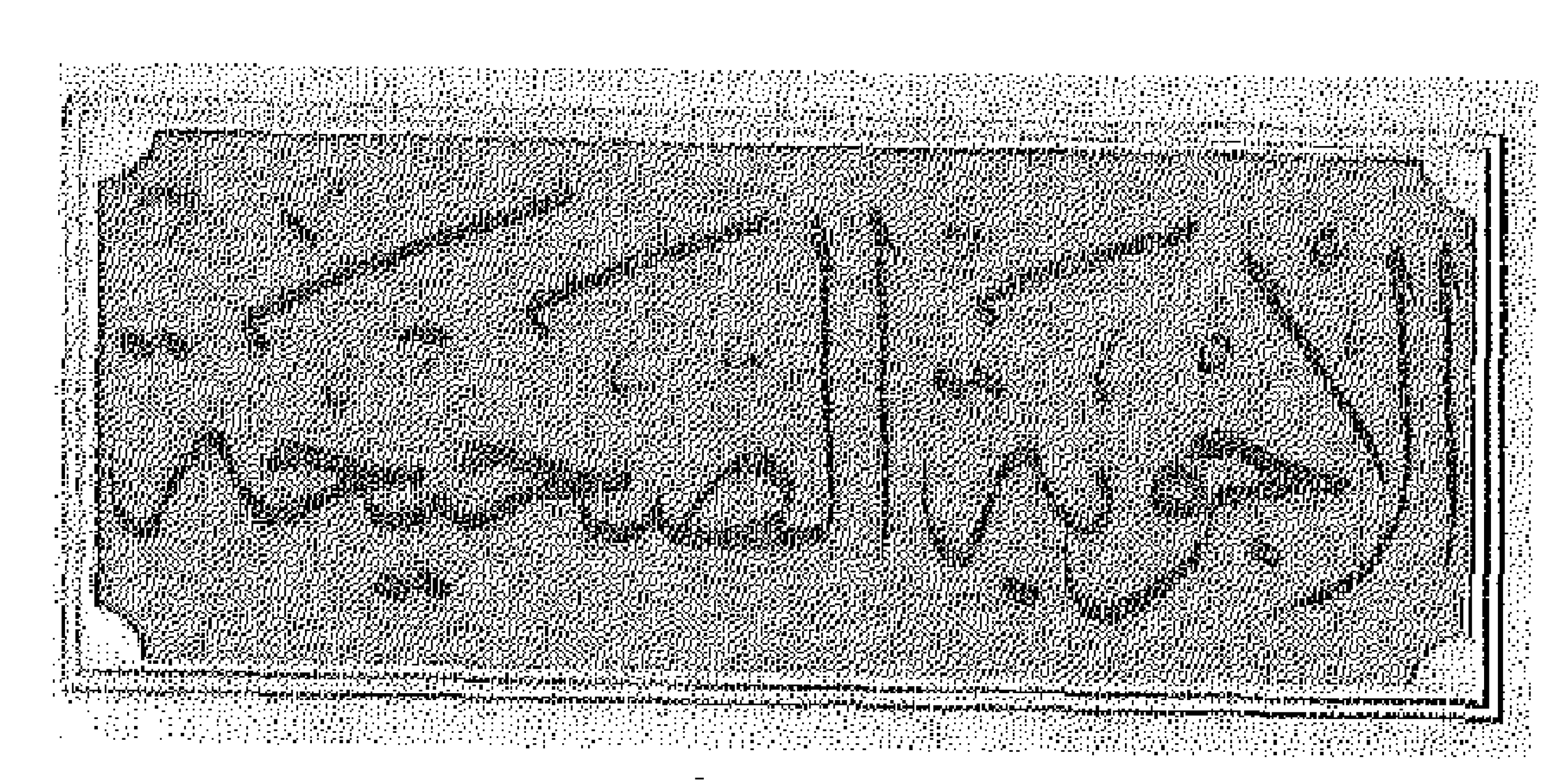
كنت أتأمل السلع المعروضة في متجر للاواني الخزفية، عندما تقدمت موظفة من عجوز واقف بالقرب مني وسألته: "هل ساعدك أحد يا سيدي؟" فنظر الرجل بحنان الى زوجته الواقفة في ناحية أخرى من المتجر وأجاب: "طوال ثلاثين عاما!"

ج.ن.



تتضمن أسماء العرب معاني الحسن والقوة والصفات الحميدة. وكثير منها، على جماله، لم يعد مألوفاً. هنا أسماء عربية قديمة. وقد وضع أمام كل اسم أربعة معان، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الأجوبة ويقيس مستواه.

١. **ربيعة**: ريح ربيعية – روضة – قبيلة – ابنة أربعة أعوام.
٢. **زُهْرة**: حُسن ورونق – شباب – وردة – حَوَر العينين.
٣. **سنان**: رأس – أعوام – أسنان – نصل الرمح.
٤. **أَنَس**: أعزَب – من تأنس به – انسان – حديث النهار.
٥. **خديجة**: وليدة قبل تمام الأيام – جريحة – مَصُون – قنوعة.
٦. **رَيْث**: لوم – مطر خفيف – إبطاء – فهد.
٧. **صَفْوان**: مخلص – شارد الفكر – مرتاح – صاف.
٨. **هالة**: خاصرة – شعر الرأس – حسناء – دارة القمر.
٩. **مَليكة**: حبيبة – مملوكة – صاحبة مُلك – طفلة.
١٠. **بشير**: قريب – مبلِّغ البشرى – مسرور – حظ حسن.
١١. **عَلاء**: رفعة وشرف – جبل – نفاد صبر – عرش.
١٢. **خَنساء**: شقراء – طويلة القامة – جارية – بقرة وحشية.
١٣. **صقر**: سيِّد – قائد – من الجوارح – طائر خرافي.
١٤. **عُرْوة**: ثوب – ما يوثَق به – صِلة – عرين الأسد.
١٥. **زَيْد**: عطاء – زيادة – كرم الأصل – طعام السفر.
١٦. **سُكَيْنة**: أتان – سكون الليل – خنجر – دار صغيرة.
١٧. **مُصْعَب**: عنيد – طريق وعرة – صدر – فحل.
١٨. **سامة**: حمامة – خيزرانة – قامة – علامة في الوجه.
١٩. **سموأل**: حصن – بيت كريم – ظل – ولد الثعلب.
٢٠. **عَوْف**: أسد – اعتداد بالنفس – سماح – جوع شديد.
٢١. **نفيسة**: من يُرغَب ويُتنافس فيها – درّة – ابنة – حياة.
٢٢. **وَرْقاء**: غابة – دنيا – صبية ناحلة – ذئبة.
٢٣. **مَعْن**: ينبوع – طويل – ثاقب النظر – أصيل.
٢٤. **ناجية**: مغنية – نائحة – ناقة سريعة – كلمة عتاب.
٢٥. **غَيْداق**: كريم – وسيم – بليغ – مختال.



١. **ربيعة**. روضة. والربيعة ايضا حجر تُمتحن بإشالته القوى، وبيضة الحديد يلبسها الفارس في الحرب.

٢. **زُهْرة**: حسن ورونق وبياض جميل. الزُهَرة: كوكب سيّار شديد اللمعان يكون طوراً "نجمة الصبح" وطوراً "نجمة المساء" وقد سمّاه العرب "العُزّى."

٣. **سنان**: نصل الرمح. والسنان أيضا المِسَنّ.

٤. **أنَس**: مَنْ تأنس به. والأنَس أيضا الجماعة الكثيرة.

٥. **خديجة**: وليدة قبل تمام الايام.

٦. **رَيْث**: إبطاء. والريث أيضاً مقدار المهلة من الزمن، يقال "وقف ريثما صلّينا" أي مقدار ما صلينا.

٧. **صَفْوان**: صافٍ. والصفوان أيضا الصخر الأملس.

٨. **هالة**: دارة القمر، وأصل الكلمة يوناني. الطُفاوة: دارة الشمس.

٩. **مَليكة**: صاحبة مُلك. المَلَكوت: العز والسلطان والمُلك العظيم.

١٠. **بشير**: مبلّغ البشرى وهي الخبر المفرح. تباشير الصبح: أوائله.

١١. **عَلاء**: رفعة وشرف. العَلْياء: كل مكان مشرف، ورأس الجبل، والسماء، وخلاف السفلى.

١٢. **خنساء**: بقرة وحشية. والخنساء أيضا التي تأخر أنفها عن وجهها مع ارتفاع في الارنبة. والرَجُل أخنس.

١٣. **صقر**: طائر من الجوارح. والصقر أيضاً عسل الـرُطَب والزبيب، واللبن الحامض جداً، والماء الآسن، والضرب بالعصا، واشتداد الحر.

١٤. **عُرْوة**: ما يوثق به. والعروة أيضا ما يعوَّل عليه، والشجر الملتف، والنفيس من المال، وما يدخل فيه الزر. جمعها عُرى.

١٥. **زَيْد وزَيْد**: زيادة.

١٦. **سُكَيْنة**. اتان، وهي أنثى الحمار. السُكَيْن: الحمار الخفيف السريع.

١٧. **مَصْعَب**: فحل. والمصعب أيضا الفرس لم يُركب فصار صعباً.

١٨. **سامَة**: خيزرانة. والسامة أيضا الموتة، والسبيكة من الذهب أو الفضة. جمعها سام.

١٩. **سَمَوْأل**: ظِلّ. والسموأل فارس وشاعر جاهلي يضرب به المثل في الوفاء، فيقال "أوفى من السموأل."

٢٠. **عَوْف**: أسد، لأنه يتعوَّف في الليل أي يتلمس الفريسة. والعوف أيضا الذئب، والديك، والحظ، والضيف. أبو عوف: ذكر الجراد. أم عوف: أنثاه.

٢١. **نفيسة**: التي يُرغب ويُتنافَس فيها. يقال "مال نفيس." وضد النفيس الخسيس.

٢٢. **وَرْقاء**: ذئبة. والورقاء أيضا الحمامة، وشجرة لها ورق ناعم مدور واسع وهي غبراء الساق، ومؤنث الاورق. والاورق هو الرمادي اللون. يقال "عام أورق" أي لا مطر فيه، و"زمان اورق" أي جَدْب.

٢٣. **مَعْن**: طويل، قصير، وهي من الاضداد. مَعَن بالحق مَعْناً: جحده، أقرّ به، وهي أيضا من الاضداد. والمعن أيضا كل من انتفعت به، والذل، والكثير والقليل (ضد)، والهين اليسير، والكثير المال والقليل المال (ضد)، والماء الظاهر المنكشف.

٢٤. **ناجية**: ناقة سريعة تنجو بمن ركبها. والناجية أيضا الخالصة.

٢٥. **غَيْداق**: كريم جواد. والغيداق أيضا المُخصِب. غيْدَقَ المطرُ: كثر.

المستوى


٢١ - ٢٥ : ممتاز

١٤ - ٢٠ : جيد جدا

٩ - ١٣ : مقبول



دعي طفلك ينمو مع سيريلاك
سيريلاك
Cerelac
Wheat Banana
سيريلاك
Cerelac
Rice
سيريلاك
Cerelac
Wheat 4 fruits
Cerelac
سيريلاك
الطعام الأول لطفلك بالملعقة
عندما يبلغ طفلك شهره الرابع ،
لا يعود الحليب وحده يكفيه .
عليك بوجبة من سيريلاك .
سيريلاك متوفر بعدة أنواع تلائم مذاق
طفلك . سيريلاك يحتوي على العناصر
الغذائية الأساسية التي تؤمن
لطفلك نموا متناسقا
وسليما .
Nestlé
تضمنه
نستله


استوكهولم
NIK WHEELER

جزائر منتثرة
في مياه البلطيق تشكل أجمل المدائن
في أوروبا الشمالية

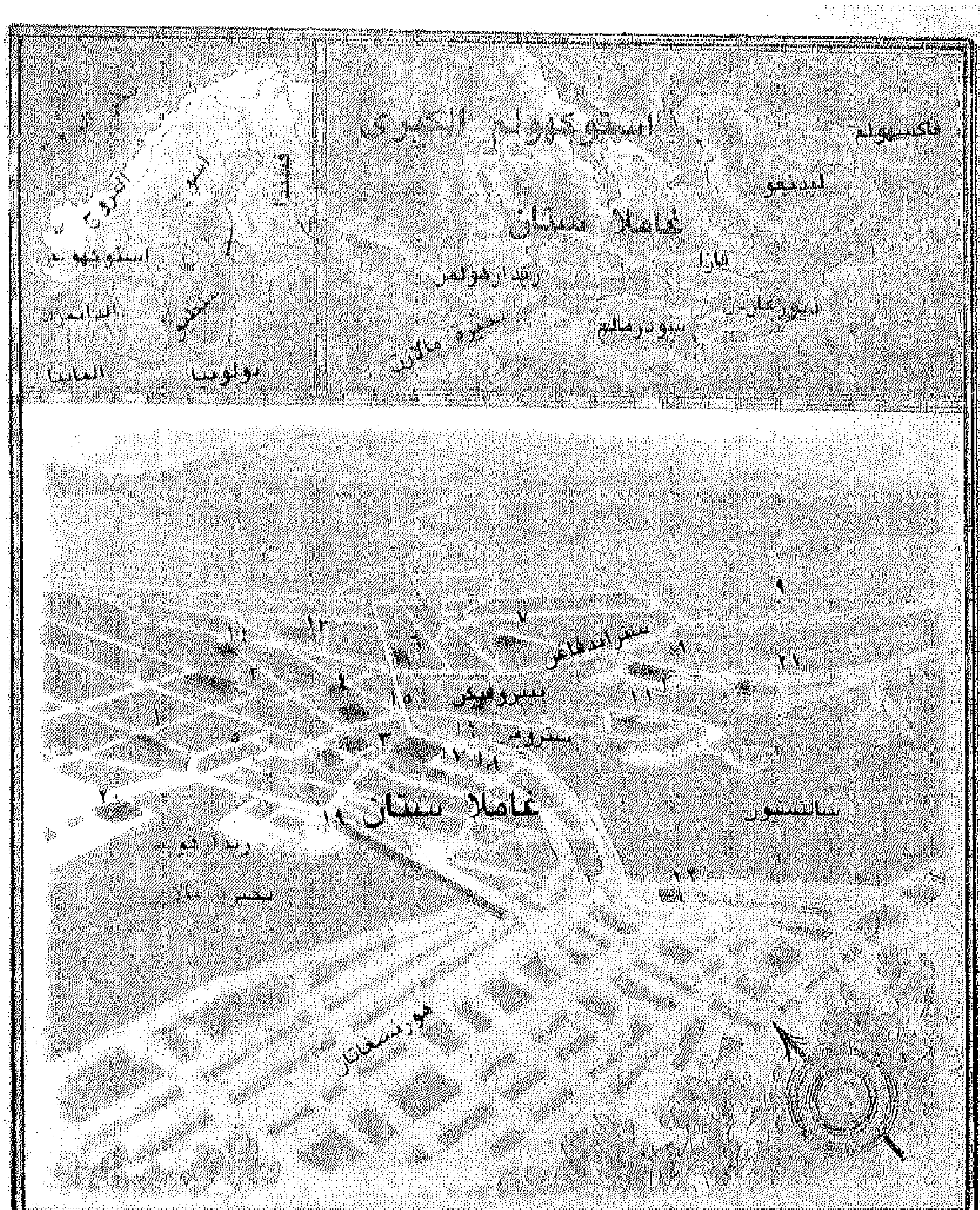
يأتي الربيع الى استوكهولم عجلاً؟ فتطول الأيام سراعاً وتنعم المدينة بالدفء والنور. وترف الاشجار المصطنعة على الشوارع بالخضرة، وتنبثق الاعشاب والزهور من الارض الصقيعة في المتنزهات. وتدوّم اطواف الجليد تحت الجسور منفية إلى بحر البلطيق السريع التدفئة.

وينشط سكان المدينة بعد خدر طويل فتسترخي الوجوه التي ظلت أشهراً تواجه المطر والثلج والبرودة القارسة، وتشخص الى فوق حيث الشمس. فتغمض العيون وقد استطارها الفرح. أما الأصوات التي كانت تشي بتحيات مقتضبة فغدت الآن مشحونة بأشواق الاتصال بالغير. وتعود الضحكات الى المقاهي والمطاعم. فأجمل مدن أوروبا الشمالية تنهض من سباتها الشتوي.

وللربيع تأثيره العاطفي في الروائي والفنان ستيغ كلايسون الذي صوّر مسقط رأسه بحب في كتبه ولوحاته على امتداد ٤٠ عاماً. ومن كلماته: "انه حدث رائع

ROBERT EVERTS TSW





١. محطة للسكك الحديد
٢. مكتب البريد المركزي
٣. مبنى البرلمان القديم
٤. مركز السياحة
٥. المحطة المركزية
٦. المسرح الملكي
٧. متحف بلاد الشمال
٩. المتحف البحري والمتحف التقني وبرج كاكناس
١٠. متحف فازا
١١. متحف الفن الحديث
١٢. سالتسيوبانان
١٣. المكتبة الملكية
١٤. دار الموسيقى
١٥. دار الاوبرا الملكية
١٦. المتحف الوطني
١٧. القصر الملكي
١٨. الكاتدرائية
١٩. ريدارهولم
٢٠. المبنى البلدي
٢١. سكانسن

للأسوجي، اذ تسرع ظلمة الشتاء الرهيبة في الرحيل، وكأن خرقة قديمة ترفع عن ناظريك. فيبدو كل شيء جديداً."

ويا له من مشهد!

استوكهولم نسيج جامع من ١٤ جزيرة مأهولة وأراض برية مثلّمة ونحو اثنتي عشرة جُزيِّرة صخرية يربطها نحو خمسين جسراً. وأراضيها التي تشبه أحجية صور مقطّعة تخرقها المياه في كل مكان، وتتخللها متنزهات وغابات تتيح للطبيعة النفاذ الى صميم المدينة.

وأسوج، أو السويد، هي في اللغة الاسوجية "سفيريج"، والكلمة مشتقة من "سفي ريك"* أي مملكة شعب السفي الذي عاش على الشطآن الحرجية المفروشة بالجلاميد على ضفاف بحيرة مالارن قرب الموقع الذي تقوم عليه استوكهولم اليوم. وقد حملت قسوة المناخ وجدب التربة شعب السفي وسواه

(*) Sverige مشتقة من Svea rike.

من الاقوام الاسكندينافيين على التحول إلى حياة الفايكنغ الذين أبحروا في مراكبهم الطويلة قبل ألف سنة ونيف في رحلات ملحمية بهدف السلب والنهب. ثم ولّى عصر الفايكنغ فتحول أبناء السفن تجاراً مسالمين وأرسوا قواعد استوكهولم نحو العام ١٢٥٠.

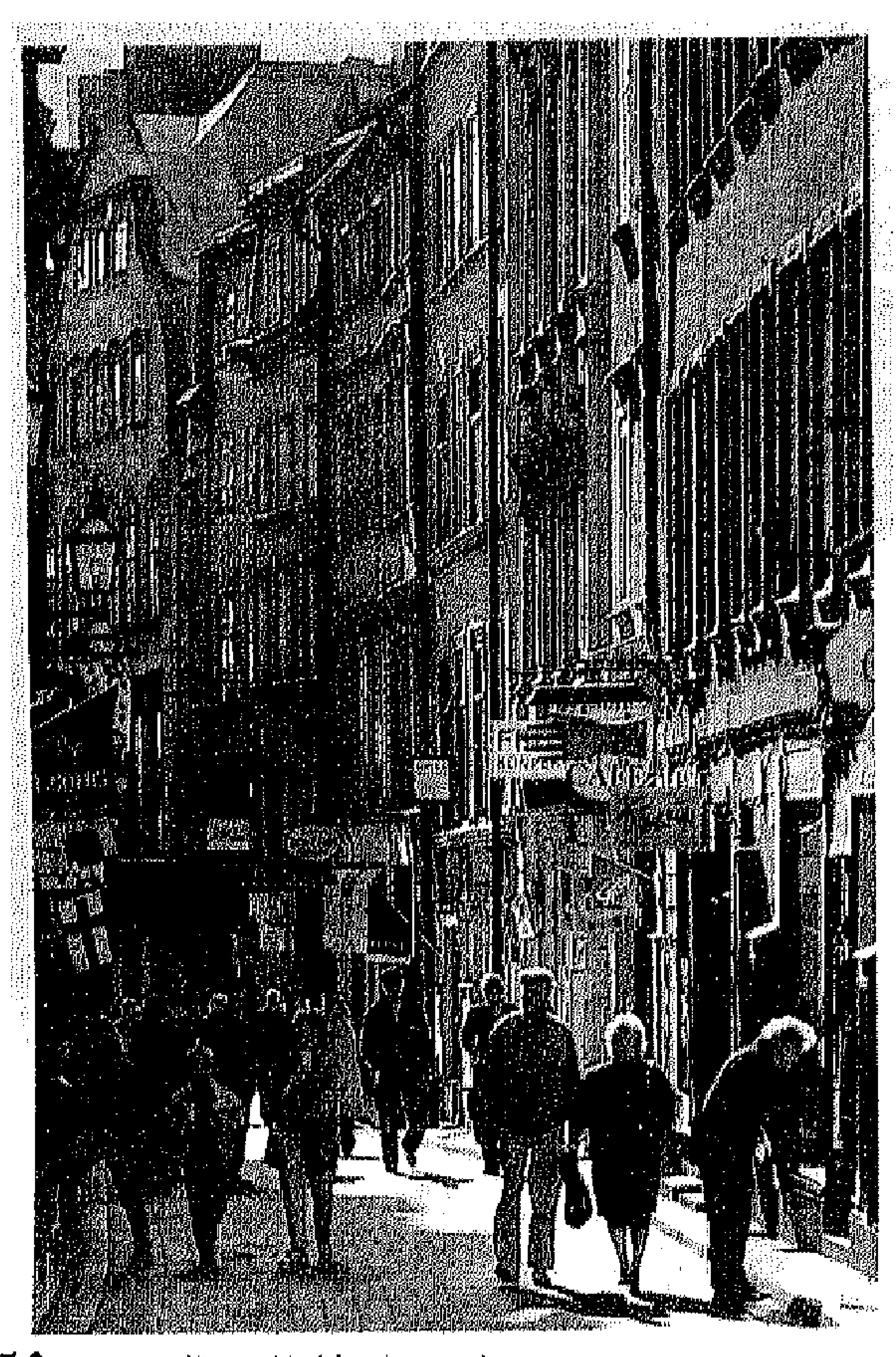
ويروى أن التجار الاثرياء، عقب استباحة القراصنة احدى المستوطنات القصية على شواطىء بحيرة مالارن، أخفوا كنزاً في جذع شجرة أطلقوه على الماء ينساق على غير هدى. ولدى رسوه في احدى الجزر، أنشأوا استوكهولم ("ستوك" تعني جذع شجرة و"هولم" جزيرة صغيرة) بقصد حماية مداخل مالارن والمستوطنات التجارية في البر. ويعد المؤسس الفعلي للمدينة رجل اسمه بيرغر يارل، وهو سياسي ومحارب من القرن الثالث عشر، اقيم له نصب مشرف من مبنى البلدية.

البطلة العجوز. يقطن في استوكهولم ٦٧٠ الف نسمة، تربطهم بسكان ضواحيها المليون شبكة من الطرق الواسعة والسكك الحديد والقطارات الجوفية (مترو). والعاصمة الاسوجية خلو من الاحياء الفقيرة. ويقول رئيس بلديتها ماتس هولت: "سحر استوكهولم مستمد من أنها مجتمع صغير مغلق نسبياً."

غير أن استوكهولم كبيرة الى حد كاف يؤهلها لتكون مركزاً دولياً. ففيها دار للاوبرا و٢٥ مسرحا و٦٠ داراً للسينما و٦٤ متحفا و٨٥ مكتبة عمومية وأربع صحف يومية. وتكثر فيها أسباب الراحة والمتعة ويسودها الامن. وفي المتنزهات العامة تترك الامهات أطفالهن مع الخدم ويذهبن للتسوق.

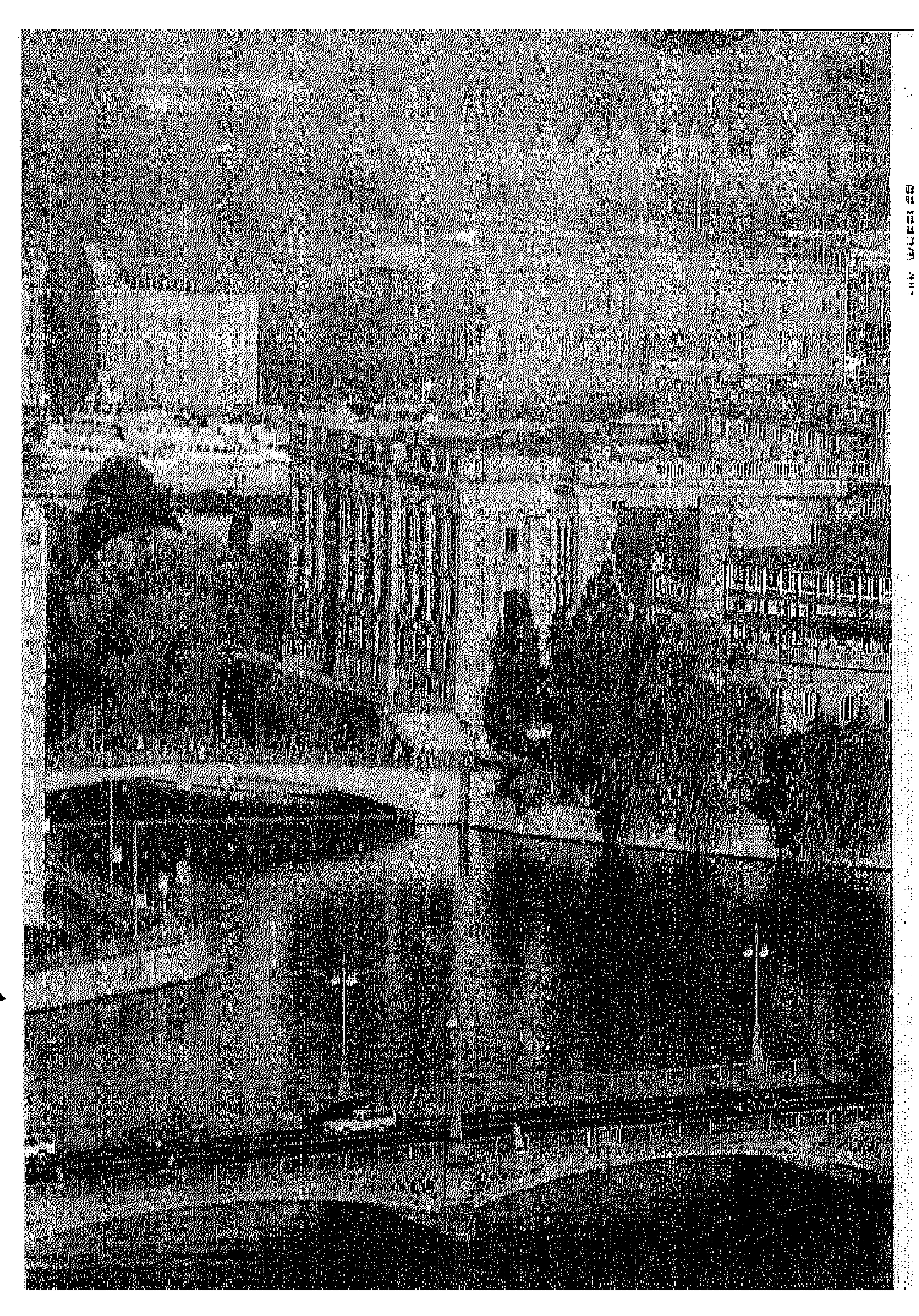
ومحطات المترو، باستثناء قديمها، مجهزة لعبور كراسي المقعدين وادخالها المصاعد والممرات المتحركة. ولاضفاء البهجة على تلك المحطات تزدان جُدُر الصوان والسقوف بقرميد مزخرف ومنحوتات زاهية.

وان رغبت في المشي، فلك أن تنطلق من المركز التجاري إلى معظم الاماكن التي تهمك في ساعة أو نحوها. وستلاحظ على طول الدرب أن شوارع المدينة تنظف يومياً. ويفخر رئيس البلدية هولت



NIK WHEELER

مشاة في احد شوارع غاملا ستان



جسور تربط اجزاء العاصمة المائية

ببيئة مدينته: "لقد بلغ من تنظيفنا مياهنا أنك تستطيع السباحة والصيد فيها." وثمة مسابح شعبية ضمن المدينة. ومن الجسور المشرفة على سترومن يشاهد الصيادون يسحبون أسماك السلمون بالصنانير. ويقول الصياد اليوغوسلافي ميرساد بيكوفيك وهو مهاجر الى البلاد على غرار عُشر سكان استوكهولم: "لا يحدث هذا الا في عواصم معدودة."

القلب التاريخي للمدينة هو غاملا ستان (المدينة القديمة) التي بنيت حيث لفظ البحر جذع الشجرة الاسطوري على شط جزيرة صغيرة وسط سترومن (التيار) حيث تتدفق مياه بحيرة مالارن العذبة الى بحر البلطيق الخالي من المد والجزر.

في هذه المحلّة المرصوفة بالحصى، ذات الازقة الضيقة، رمم كثير من المباني الحجرية التي ترقى إلى ما بين ٢٠٠ و٤٠٠ سنة خلت، وبعضها مائل قليلا. وقد رممت بنفقة كبيرة، مما جعلها أحد الاحياء الراقية في استوكهولم اليوم. وتتباهى المنطقة بمطاعمها "القبويَّة" الذائعة الصيت وهي متاهات من الحجرات المقنطرة تحت الشارع تقدم فيها أطعمة فاخرة في جو حميم هادىء.

"عميدة" غاملا ستان عجوز مرحة في السادسة والسبعين اسمها فيرا سيوكرونا، قادت في باكورة الاربعينات من هذا القرن "المقاومة" المحلية ضد هدم أربعة مجمعات من مباني القرون الوسطى بهدف اقامة مكاتب حكومية. وقد ساعد الاحتجاج الشعبي على تأسيس "جمعية المحافظة على مساكن غاملا ستان" وهي منظمة تعارض مشاريع التطوير.

جميع مباني غاملا ستان اليوم في حمى قوانين صارمة. وتشرف سيوكرونا، التي لا تزال عضواً بارزاً في الجمعية، على جولات سياحية في المنطقة. وقد تقطع شرحها للسياح بتحية ترسلها عبر البوق الى صديقة قديمة تطل من شباك في احدى الطبقات العلوية. ثم تعود الى مستمعيها قائلة: "غاملا ستان في استوكهولم لا تزال مكاناً نحيا فيه ونحب ونموت."

متع للنظر. تقع غاملا ستان في ظل القصر الملكي، وهو بناء ضخم من الصوان والقرميد استغرق انجازه الفترة الواقعة بين العامين ١٦٩٧ و١٧٥٤. وقد تعرض قصر سابق لحريق أتى عليه، وهو أحد الحرائق التي كانت تجتاح المدينة في فترات زمنية شبه منتظمة. ويعتمد القصر اليوم للاحتفالات والمناسبات الرسمية. وتقيم عائلة الملك كارل السادس عشر غوستاف في ما كان المقام الرسمي الصيفي، أي قلعة دروتننغهولم التي تقع على ضفة بحيرة مالارن وتبعد عن المدينة نحو نصف ساعة بالقارب.

وفي القصر ٦٠٨ حجرات على نمط الروكوكو المزخرف، تحوي مجموعة لا تثمن من اللوحات والنسائج المطرزة البديعة. وعدد كبير منها مفتوح للجمهور. وفي قبو تحت القصر تُعرض المجوهرات الملكية وهي مجموعة تبهر الانفاس من التيجان الملبسة بالدرر والصوالج وأدوات أخرى تستعمل في الاحتفالات. ويؤوي قبو آخر الاسلحة الملكية، حيث تصفّ السيوف والدروع ورايات الحرب. والى جانبها جواد مطهّم ومحنّط تماماً هو الجواد الذي امتطاه الملك غوستافوس الثاني أدولفوس يوم وفاته في ساحة الوغى عام ١٦٣٢. وعلى مقربة منه خمس عربات خيل ملكية تواكبها تسجيلات لوقع حوافر جياد.

ويتردد صدى خبب الجياد في سمعك اذ تعبر الجسور مشياً إلى كبرى الجزائر في أرخبيل العاصمة واسمها سودرمالم والى جزيرتين صغيرتين هما ريدارهولمن (جزيرة الفرسان) وهيلغندشولمن (جزيرة الروح). وصرح القرميد في جزيرة

ريدارهولم يعود الى القرن الثالث عشر وهو المثوى الاخير للسلالة الملكية في أسوج عبر القرون. وفي هيلغندشولمن ينتصب مبنى البرلمان.

وعبر سترومن من هيلغندشولمن يقع وسط المدينة التجاري. وقبالة رصيف الميناء تلوح دار الاوبرا الملكية الانيقة، حيث يتوق شباب اليوم الى الاقتداء بنجوم أسوجيين أمثال يني ليند ويوسي بيورلنغ وبيرجيت نلسون. وفي مبنى الاوبرا ناد ومطعم يدعى "مقهى الاوبرا"، وتحت سقفه البديع الذي تزينه رسوم جصية قد يلتقي الرواد لاعبي كرة المضرب الشهيرين بيورن بورغ وماتس فيلاندر. وفي رونق الـ"أوبرا كالارن" يتلذذ المرء بالرفاه والهدوء في مطعم راق. وحين يخيم الظلام تضاء مصابيح الغاز الخافتة على امتداد واجهة مبنى الاوبرا، فينبسط أمام ناظريك مشهد بديع للقصر ومبنى البرلمان.

يتقوس رصيف الميناء مكتنفا المتحف الوطني، موئل مجموعات أسوج من الفنون والتصاميم الرائعة، بما فيها أعمال الايطالي فيرونيز والفلمنكي روبنز والهولندي رامبرانت وغيرهم من كبار الفنانين الهولنديين والفرنسيين. ثم يمضي الرصيف في محاذاة ستراندفاغن وهي طريق عامة مزدحمة ترسو قبالتها السفن الشراعية. ومع أن هذه المنطقة لا تزال قلب العاصمة، فان صيحات النوارس وقعقعة حبال الصواري على الرصيف في عشايا الصيف هي مفارقة طريفة مع ضوضاء السير.

اغراء البحر. استوكهولم في الصيف مدينة للحياة الخارجية حقاً. فما يزيد على ربع مساحتها البرية محجوز للمتنزهات والبقاع الخضر. وذلك أجلى ما يكون في جزيرة ديورغاردن التي تفصلها المياه عن ستراندفاغن. ومدينة الملاهي فيها تجعلها من المواقع المقصودة بغزارة. لكن ما يجذب الجموع حقاً هو سكانسن التي تضم حديقة حيوانات وأول متحف في الهواء الطلق في العالم. وقد أسس المدينة عام ١٨٩١ العالم بفقه اللغة وبالأجناس البشرية ارتور هازليوس لحماية الفن المعماري والحرف التي سادت في أسوج في الفترة السابقة للعصر الصناعي. وقد أنقذ هازليوس مباني في أرجاء البلاد من الهدم وأعاد تجميعها ذخيرة للاجيال المقبلة في واحة خضراء مرتفعة تطل على استوكهولم.

تنتشر سكانسن اليوم على مساحة ٣٠ هكتارا وتحوي ١٥٠ مبنى، منها قصر اقطاعي من القرن الثامن عشر ومكتب خشبي للبريد يرجع الى قرن مضى. وثمة مزرعتان كاملتان، يرجع تاريخهما الى القرنين السادس عشر والسابع عشر، وصيدلية من القرن الثامن عشر، ومدبغة للجلود شيدت عام ١٨٠٤.

وفي مصنع قديم للزجاج، يسخن غوران هامار خليطا من الرمل والصودا والطبشور والبوطاس حتى يبلغ درجة لزوجة الشراب المركز. وفيما النظارة يراقبون، يعمد ومساعدَيْه الى ازالة الكتل المصهورة بأنابيب حديد جوفاء، وينفخونها فتصبح زهريات. وفي أعلى

الطريق المرصوفة بالحصى ما زال هانز هيلمر (٧٧ عاما) يعتمر قلنسوة مخملية كالتي يلبسها معلمو حفر الفولاذ، ويواصل الحرفة التي تلقاها عن أبيه وسيورثها بدوره إلى ابنه البكر.

يؤم سكانسن نحو مليوني شخص سنوياً من أنحاء العالم. وقد غدت مثالا تحتذيه متاحف التراث الشعبي في العالم. ولها دلالة خاصة لدى أهالي استوكهولم، اذ يقصدها كثيرون منهم بغية العودة الى أصولهم الريفية. وفي "عشيـة منتصف الصيف" تحيـن المناسبة التي يحتفى بها في البلاد في أواخر شهر يونيو (حزيران) حين تكاد الشمس لا تأفل أبداً. فيرقص الأهالي حول ساريات مزينة بالأزاهير على أنغام الكمان والاكورديون.

وتمتلك ديورغاردن تذكاراً ودليلا على أن القوة البحرية لأسوج لم تنته بأفول عصر الفايكنغ. فعلى شط البحر، داخل متحف جديد خاص، تُعرض الـ"فازا" السفينة الحربية السليمة الوحيدة في العالم التي تعود الى القرن السابع عشر. وقد أمر الملك غوستافوس الثاني أدولفوس ببنائها إبان تأهبه لزج أسوج في حرب السنوات الثلاثين، لكن الرحلة اليتيمة للسفينة في ١٠ أغسطس (آب) ١٦٢٨ لم تدم سوى دقائق. فأمام عيون الحشود الهاتفة على رصيف الميناء، عصفت الريح بأشرعة السفينة فانقلبت وغرقت حاملة الى القاع ٥٠ ملاّحا و٦٤ مدفعاً. وقد ظلت ممددة في قاع المرفأ ثلاثة قرون. ثم اكتشفها الخبير في تاريخ البحرية أندرز فرانزن عام ١٩٥٦، وانتشلت عام ١٩٦١. وبدأت المهمة الجليلة لترميمها. واستكمل العمل في المتحف القابع على الواجهة المطلة على الماء.

البحر في استوكهولم يومىء مغرياً. وأفضل الاوقات مساء صيف تركب فيه واحدة من عشرات المعدّيات الصغيرة البيضاء الراسية امام القصر الملكي. فتنساق بك على نحو حالم مبتعدة عن أبراج غاملا ستان وسقوف بيوتها الى مئات الجزر في الأرخبيل الاسوجي. في ليلة كهذه يبحر القبطان سفانت غيغن الذي يشي كل ما فيه بأنه بحار: لحيته السوداء وعيناه الداكنتان المتأهبتان وزيـه الرسمي الانيق. انـه قبطان "بليدوسوند" أروع المعديات التي تنقل أهل المرح في رحلات المتعة.

في رحلة الاياب يستريح المهندس مارتن نوربي من حرارة غرفة المحرك فيما تلوح تخوم غاملا ستان مجدداً في الأفق، والسماء خلف القصر الملكي الضخم تخططها غمامة حمراء. يقول المهندس: "المدن الاخرى تلفّك وتخنقك، أما استوكهولم فتفتح أمامك آفاقا رحبة."

هذه الآفاق إما تفضي بك إلى المؤثرات الحضارية لبلدان جنوب أوروبا واما تشدك تلبية لنداءات جامحة لمحيط الشمال وغاباته. واستوكهولم قابعة باتزان بين الوجهتين، حورية شمالية صافية العينين. انها المدينة الطافية على الأمواه.

كريستوفر موسي ■

بورتيناري



صور العائلة زوجة الفنان المخلصة ماريا
وابنه الوحيد جواو كانديدو

عملاق الفنّ البرازيلي

تجسد لوحاته حياة الاغنياء والفقراء وتبرز الاصالة البرازيلية

دعي لقصر قامته "عملاق الرسم البرازيلي الصغير." والآن بعد انقضاء ربع قرن على وفاته لم يعد هذا الاسم منطبقاً على كانديدو بورتيناري، لقد تعاظم الرجل فأصبح عملاقاً عالمياً في حقل الفن. يقول أنطونيو كالادو كاتب سيرة بورتيناري: "كان ظاهرة بشرية، متفانيا، مندفعا، ضحى لفنه بكل شيء حتى بحياته."


BELAS ARTES NATIONAL MUSEUM COLLECTION

ان ضخامة الارث الفني الذي تركه بورتيناري تضعه في مصاف الرسامين الاكثر انفعالا وعاطفة. فهو رسم أكثر من ٥٠٠٠ لوحة خلال حياته المهنية التي امتدت ٤٠ عاما. واتساع نطاق أساليبه ومواضيعه مدعاة الى العجب، اذ يجوز تصنيفه كلاسيكيا مثل رمبرانت وتعبيريا مثل بيكاسو. وهو رسم وجوها وملاحم تاريخية ومشاهد من الحياة الريفية البرازيلية المعاصرة ومناجم ومدن أكواخ ومنمنمات ولوحات جدارية كبيرة.

ولد كانديدو في ٣٠ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٠٣ في مزرعة للبن قرب قرية برودوسكي في ولاية سان باولو، وكان ثاني ١٢ ولداً لباتيستا بورتيناري ودومنغا توركواتو. وقد هاجر الوالدان من ايطاليا في أوائل هذا القرن. ومع أنهما تركا الزراعة في العام ١٩٠٦ لكي يعملا في التجارة الا أنهما ظلا يعيشان حياة ريفية شاقة.

اقتصرت دراسة كانديدو على ثلاث سنوات. لكن رغبته في الرسم وموهبته برزتا في وقت مبكر. ففي سنه العاشرة

رسم لوحة للموسيقي البرازيلي كارلوس غوميز أنبأت بمستقبل باهر. ولدى بلوغه الخامسة عشرة غادر الى ريو دي جانيرو. ومرّت سنة التحق بعدها بـ"المدرسة الوطنية للفنون الجميلة" في الريو. وفي العام ١٩٢٨ حصل على منحة دراسية جوالة في أوروبا.

خلال سنتين امضى بورتيناري معظم وقته متنقلا بين صالات العرض الفنية والمتاحف في لندن وايطاليا واسبانيا. وفي باريس كان يغشى المقاهي للاجتماع بفنانين اخرين ومحادثتهم محاولا اكتشاف ذاته. وهو كتب الى احد زملائه في المدرسة: "من هنا تتسنى لي رؤية أفضل لبلادي، ورؤية برودوسكي كما هي في الواقع."

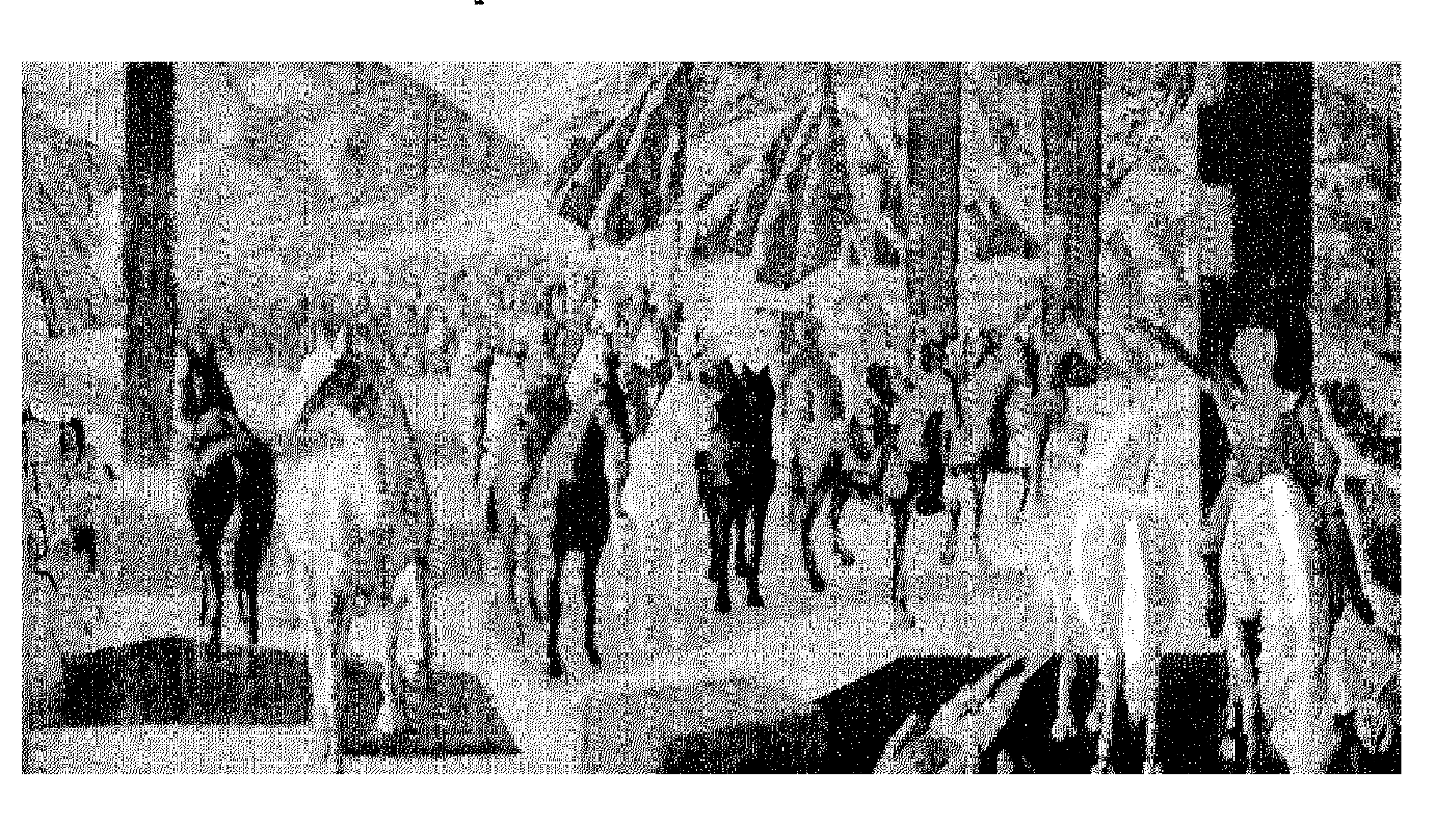
والتقى بورتيناري ايضا فتاة في التاسعة عشرة من الأوروغواي تدعى ماريا فكتوريا مارتينيلي، وتزوجها.

ولدى رجوعهما الى البرازيل كانا معدمين. لكن بورتيناري لم يكن قادرا على التفكير الا في الرسم. وكان يكسب بعض المال برسم اصدقاء وشعراء وفنانين. ونال جوائز خلال معارض فنية زادته شهرة فبات بين زبائنه اناس اثرياء.

في العام ١٩٣٤ اقام بورتيناري معرضا ضمّ اكثر من ٣٠ لوحة تصور أحياء الريو الفقيرة ومناظر برودوسكي الطبيعية الموحشة وعامة الناس في جميع حالاتهم. وفي العام ١٩٣٥ حظي باهتمام دولي حين نالت لوحته الضخمة "البنّ" تنويه شرف في معرض كارنيغي الدولي المرموق في بيتسبرغ بولاية بنسلفانيا الامريكية. وتمثل اللوحة مشهدا لعمال مزارع البن.

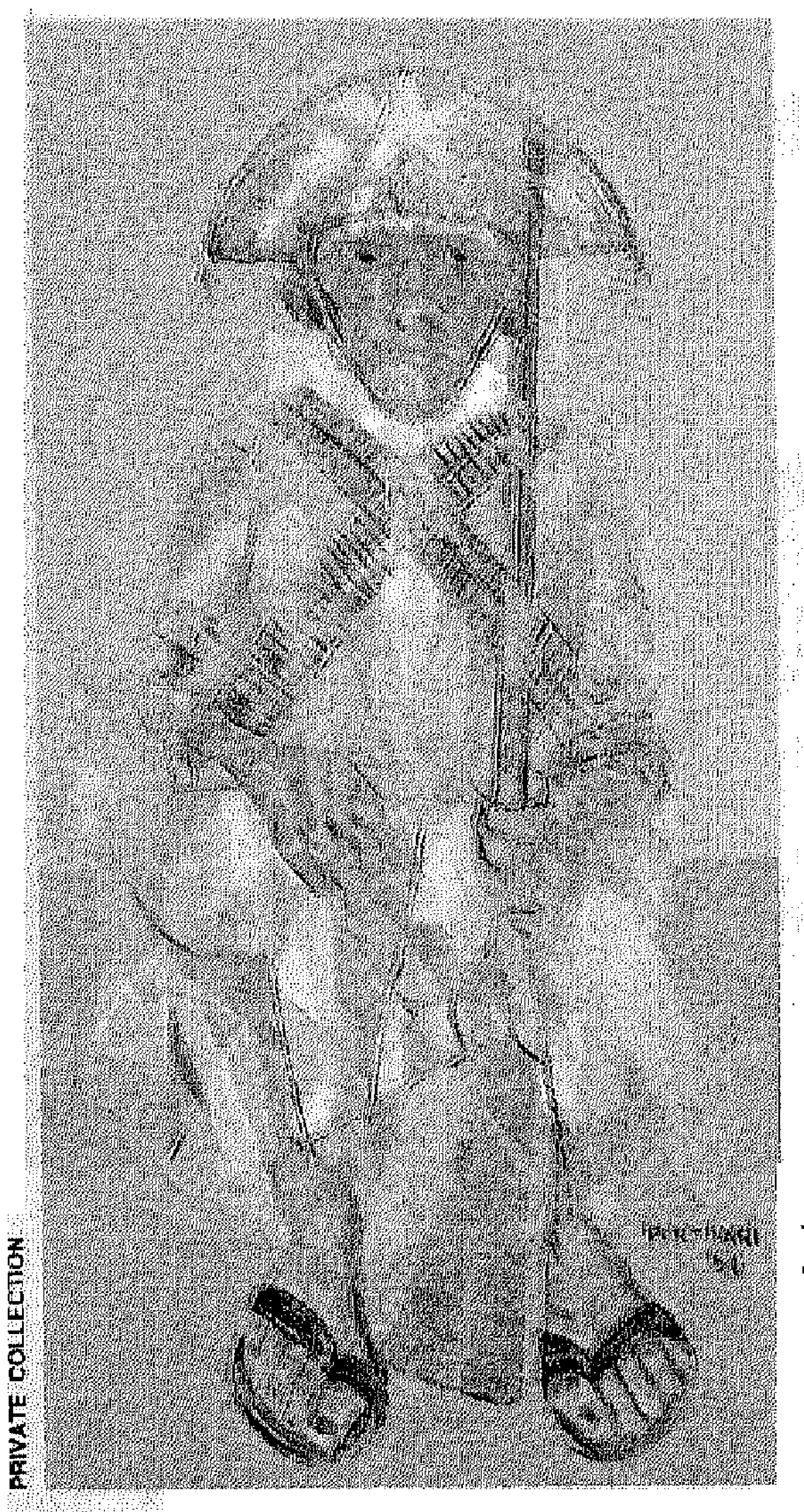
صدمت لوحاته، خصوصا تلك التي تمثل حياة السود البرازيليين، حساسيات هواة الفن في كل مكان ومن التشويهات

(تحت) "الاب انشيتا" لوحة تاريخية تكريما لمعلّم الهنود الذي مثل دورا مهما في تاريخ البرازيل في القرن الاول من الاستعمار البرتغالي

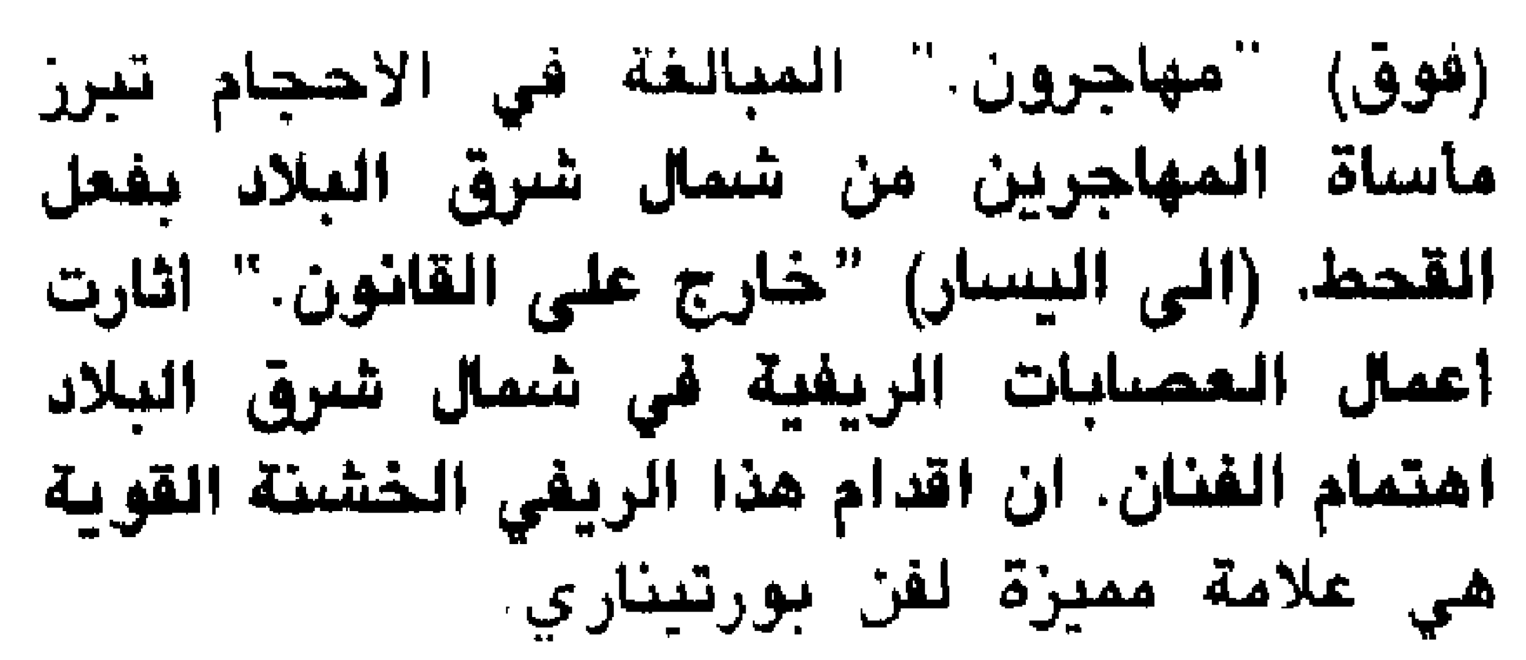




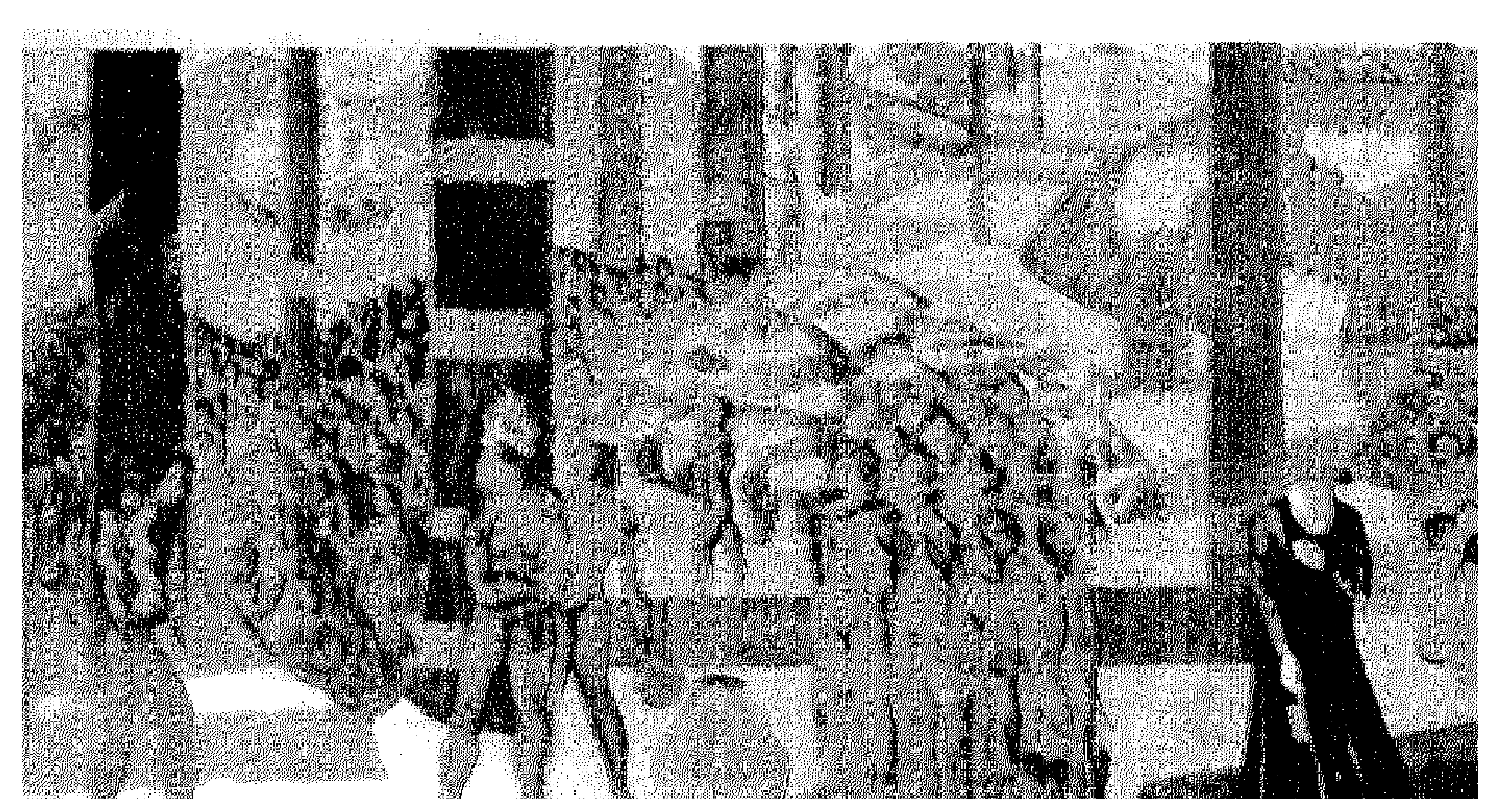
FERNANDO CAIUBY ARIANI COLLECTION

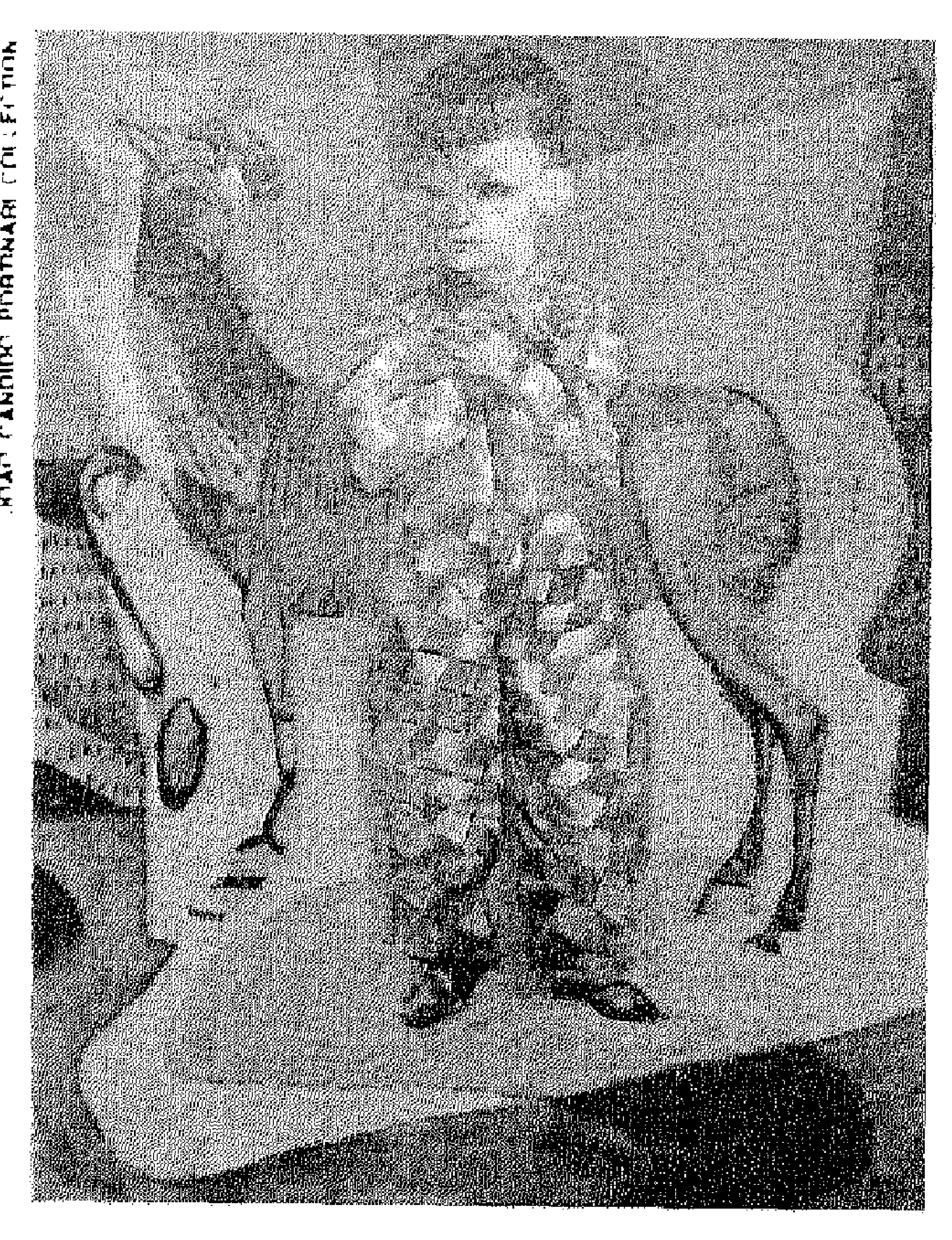


PRIVATE COLLECTION



(فوق) "مهاجرون." المبالغة في الاحجام تبرز ماساة المهاجرين من شمال شرق البلاد بفعل القحط. (الى اليسار) "خارج على القانون." اثارت اعمال العصابات الريفية في شمال شرق البلاد اهتمام الفنان. ان اقدام هذا الريفي الخشنة القوية هي علامة مميزة لفن بورتيناري.




JOAO CANDIDO PORTINARI COLLECTION

"خواو كانديدو والحصان." كان ابن الفنان في الثانية من عمره حين رسم ابوه هذه اللوحة.

التي بالغ في اظهارها أحجام أقدام العمال. وفي "نبذات من طفولتي" كتب بورتيناري: "لقد تأثرت بمنظر أقدام الفلاحين الذين يعملون في مزارع البن. انها أقدام مشوَّهة تبعث على الشفقة والاحترام."

كُلف بورتيناري انجاز مشاريع فنية مهمة، منها جداريات مبنى وزارة التربية عام ١٩٣٧ ولوحات للجناح البرازيلي في معرض نيويورك الدولي عام ١٩٣٩ وجداريات للمؤسسة الهسبانية في مكتبة الكونغرس في واشنطن عام ١٩٤١.

لتصوير تاريخ الاقتصاد البرازيلي في الجداريات انتقى بورتيناري فن الرسم الجصّي القديم للمرة الاولى في تاريخ البرازيل المعاصر. وكان يحتاج الى مساعدة في هذا المشروع، فاستعان بالرسام أنريكو بيانكو (١٨ عاماً) وبعدد من الفنانين الشباب بينهم روبرتو بورلي ماركس الذي اشتهر عالمياً في ما بعد كرسام للمناظر الطبيعية. يقول ماركس: "في بعض الأحيان كان بورتيناري يبدو كطفل طاهر وفي أحيان أخرى كشيطان. وهو قال: لكي تصبح فنانا جيداً عليك أن تحارب الجميع. وكانت رؤية محاربته شائقة، انها حروب رسام يحاول اكتشاف طريقه. كان بورتيناري يحاول دائماً تجربة أشياء جديدة يُنتقد عليها."

استمرت حروبه بقية حياته. يقول بيانكو: "حدث مرة أن أعاد رسم العينين في احدى اللوحات عشر مرات ساعياً الى قناعة فنية كاملة. كان يحاول التوفيق بين رؤيته الداخلية - أي فكرته ونظرته الى الموضوع - والعمل الذي بين يديه. وكان يقول لي: اذا لم تصلح أخطاءك فذلك ينمّ عن قلة اهتمام، فتكون في هذه الناحية غير مخلص لفنك."

لم يحب بورتيناري الضوء الاصطناعي، لذا كان يعمل من مطلع الفجر حتى هبوط الظلام. وباستثناء اللوحات الشخصية فانه نادراً ما استخدم "موديلات" يجلسن أمامه. وكان يفضل العمل في أماكن مغلقة خشية التصاق الغبار على اللوحات. كان يرسم مبدعاً مواضيعه من ذاكرته وتصوره اللذين كان يجدد تغذيتهما خلال زيارات لبرودوسكي،

نقل بورتيناري في جميع لوحاته أفكاراً واعية ومشاعر، مفضلاً اياها على الأشكال والالوان التجريدية. كان رساماً يحمل رسالة اجتماعية. ويقول ابنه خواو كانديدو: "ان اهتمامه بالبشرية وعطفه على الفقراء الذين كتبت لهم الاعمال الشاقة والذين نشأ هو بينهم، يتجليان في كل مليمتر من رسومه."

في العامين ١٩٥٥ و١٩٥٦ رسم بورتيناري جداريتي "الحرب" و"السلم" لمنظمة الامم المتحدة، وشحنهما من البرازيل الى نيويورك. لكنه كان آنذاك في طور الاحتضار. فمنذ العام ١٩٣٢ عانى اختلالا مزمناً في المعدة. وفي العام ١٩٥٤ أظهر أعراض نزف داخلي شُخِّصت بما يدعى "مغص الرسام" وهو تسمم بطيء في الدم سببه امتصاص الجلد الرصاص المحتوى في الاصباغ وتنشقه في أماكن مغلقة. وقد وصفه صديقه الكاتب خوسيه كاردوزو بيريس في مرحلة الاوجاع تلك: "كأنه جثة صغيرة تجرّها نظرة ملحّة."

خلال رحلة الى باريس عام ١٩٤٩ التقى بورتيناري الصناعي الايطالي يوجينيو لوراغي وهو ذواقة فني، وأصبحا صديقين. وهيأ له لوراغي عام ١٩٦٢ اقامة معرض في ميلانو. كان ذلك أول عرض كبير للفنان في بلاد أجداده.

أكب بورتيناري على خمس لوحات جديدة للمعرض. وكان لا يزال منهمكاً في الخامسة حين بدأت معدته تنزف. كان ذلك في ٤ فبراير (شباط) ١٩٦٢ وهو في الثامنة والخمسين. وتوفي بعد يومين. وقد أخذت زوجته ماريا اللوحات الاربع وبقية أشغاله المخصصة للمعرض الى ميلانو في الموعد المحدد. وما زالت اللوحة غير المنجزة معلقة في منزل ابنها. وهي تشير الى شريطها الاحمر وتقول: "لقد رسمت بالدم."

ان البعد الحقيقي لارث بورتيناري بدأ يُعرف الآن على حقيقته. والفضل في ذلك لجهود استمرت ١١ عاما في ما سمي "مشـروع بورتينـاري." وقد نجـح المشروع، الذي يرئسه ابن الرسام، في تقفي أعماله الكاملة وتصويرها واعداد ملفات عنها. يقول خواو كانديدو: "للمرة الاولى يمكن القاء نظرة شاملة على انتاجه."

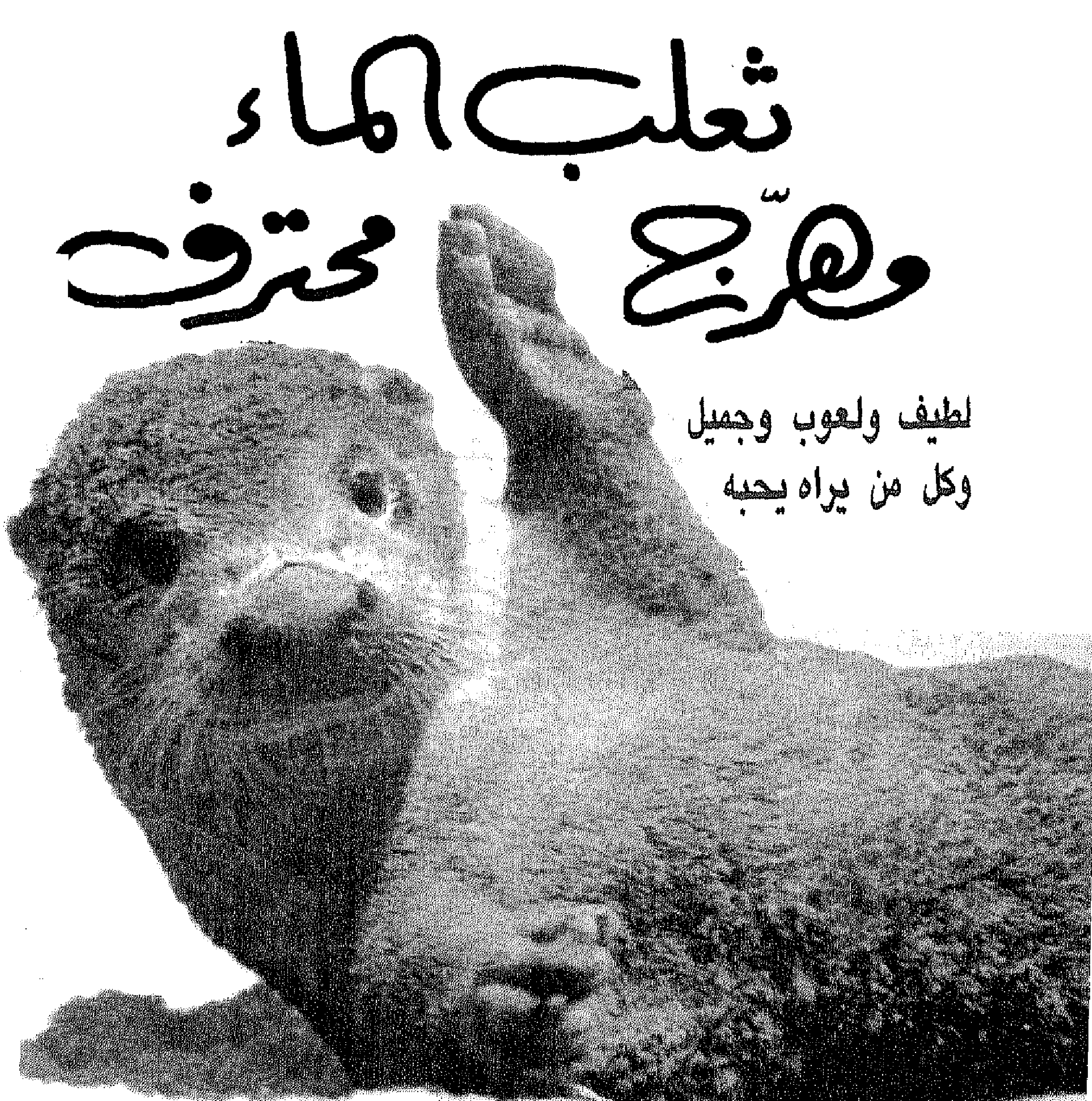
ويحفز "مشروع بورتيناري" جهوداً عالمية للمشاركة في رؤيا الفنان من خلال المعارض، التي تقررت اقامة أحدها في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩٠ في موسكو وآخر عام ١٩٩١ في لشبونة (البرتغال). يقوله أنطونيو كالادو: "لا مجال لانكار مقام بورتيناري كرسام البرازيل الاول على الاطلاق. فهو الذي يبرز الروح البرازيلية الأصيلة بأجلى مظاهرها."

دوري وصامويل شرايز الابن ■

ليس هناك ما يوهن العزيمة مثل سيارة تدور صباح كل يوم عمل ويتعطل محرّكها يوم العطلة.

د.ل.

ثعلب الماء مهرّج محترف



لطيف ولعوب وجميل وكل من يراه يحبه

إن يكن ثمة حيوان لا يحتاج ابدا الى وكيل للعلاقات العامة، فذلك هو ثعلب الماء (القُضاعة). أَرني رجلا أو امرأة أو طفلا يحدج ثعلب الماء بعين غير مبالية، فأريك بخيلا قاسي القلب لا يذوب رقة أمام سحر أي كائن حي، كبيراً كان أم صغيراً. وإني لم ألقَ في حياتي مثل هذا الانسان.

لربما كان مرد ذلك إلى قسمات ثعلب الماء التي توحي بعض شبه بالانسان: الوجه المدوّر والعينان الفضوليتان والنظرة المتوسلة والشفة العليا الهلباء بالشارب الأنيق. ولربما عاد السبب الى السلوك المحبب لهذا الحيوان اللبون الذي يسير محدودبا كلعبة مكسوة بالفراء تتواثب وتتقلّب إن وضعتها أرضا، فيما

© 1989 BY DAVID M. SCHWARTZ. CONDENSED FROM SMITHSONIAN (JUNE '89), WASHINGTON, D.C.
PHOTO: © STOUFFER PRODUCTIONS / ANIMALS ANIMALS

يتحول في الماء رياضي جمباز أملس.

ولا يفوق مظهر ثعلب الماء جاذبية سوى دعابته التهريجية وولعه باللعب. ويدَّعي إد بارك مؤلف كتاب "عالم ثعلب الماء" أن هذا الحيوان "لا يقوم بعمل ما إنْ لم يجد فيه متعة."

والواقع أن نزوع ثعلب الماء الى اللعب يتحدى اصرار علماء السلوك الحيواني على أن الحيوان لا ينزع الى اللعب الا اذا كان للعب فائدة في صراع البقاء. ويزعم الصفائيون أن صغار الحيوانات تطفر وتمرح لصقل ردود فعلها وتتصارع لشحذ مهارات الصيد لديها.

"ولكن كيف تفسر انزلاق ثعالب الماء اليافعة الى المياه وعودتها الى الشاطىء وانزلاقها مجدداً كغاية في ذاتها؟" هكذا تتساءل بات فوستر ترلي الاختصاصية بسلوك ثعالب الماء ومديرة دائرة الحماية في "مؤسسة عالم البحار" في فالييو بولاية كاليفورنيا. تقفز الثعالب الى الماء على بطونها ورأسها في المقدم. وكعالمة، تتردد فوستر ترلي عادة في استعمال كلمة "مرح"، لكنها تقترب من مدلول هذه الكلمة في ما خص ثعالب الماء. وتقول: "عندما أشاهد أحدها يوازن كرز صنوبر على أنفه ثم يسحبه إلى عمق الماء ويتركه ليطفو، ثم يشق العباب قافزاً فوقه، لا أجد كلمة أخرى تصف هذا الفعل."

وحين تسنح الفرصة، تحوِّل ثعالب الماء تنقلها البري المضني مناسبة يسودها المرح. أما على الثلج أو الجليد، فتتحرك بين الخطو وثباً والانزلاق على بطونها على نحو يحملها مسافة تراوح بين ثلاثة أمتار وستة وبسرعة تبلغ ٢٥ كيلومتراً في الساعة.

حكم بالهلاك. إن ثعالب الماء من فصيلة "موستيليدا" هي قريبة الصلة بابن عرس والمنك (الفيزون) والغرير والظربان والدلَق والشره، وكلها حيوانات لا تتصف بالظرف وحب الدعابة. لكن ثعالب الماء، كغيرها من أعضاء فصيلة "موستيليدا"، هي من أقوى الحيوانات اللبونة قاطبة، قياساً الى حجمها. إذ عُرف عنها أنها تستطيع تحريك صخور زنتها ٣٠ كيلوغراماً. وقد جاء في مقالة كتبها مانلي هاردي في مجلة "فورِسْت آند ستريم": "شاهدت ثعلب ماء يَقطع سلسلة معدنية بدت قوية بحيث يربط بها حصان."

في كل قارة نوع على الأقل من أنواع ثعالب الماء الثلاثة عشر المتباينة، ما عدا أوستراليا وقارة القطب الجنوبي (أنتارتيكا). وجميعها يتصف بسلوك "ثعلبمائي"، لكن هناك تنوعات كثيرة في الحجم تراوح بين ثعلب الماء الآسيوي الصغير المخالب، وثعلب ألاسكا البحري الذي يصل وزنه الى ٣٨ كيلوغراماً، وثعلب البرازيل العملاق الذي يبلغ طوله مترين ونصف متر.

يُعرف ثعلب أمريكا الشمالية بثعلب النهر، وهذه تسمية خاطئة لأنه يعيش في جوار المستنقعات والبحيرات الصغيرة والشواطىء البحرية. وهو يقسم وقته بين الماء والبر حيث يركن الى أوكار تحت الأشجار الساقطة أو صخور الشطآن.

وعلى رغم تنعمه اليوم بإعجاب الناس، فإن ثعلب الماء لم يكن دائماً في وضع يحسد عليه. فلكونه لص أسماك حاذقاً، اكتسب سمعة تماثل سمعة الحشرات المؤذية. وتظهر المحفوظات البريطانية حملات لصيده تعود الى القرن الثالث عشر. وقد وضعت جوائز لمن يقضي عليه.

وفي أمريكا الشمالية وقع ثعلب الماء فريسة لحافز الربح في الأسواق التي عرفت قيمة فروه الكثيف المترف. وكان يقطن، قبل وصول ناصبي الاشراك، في معظم مجاري الأنهار والبحيرات والمستنقعات ما بين المحيط الأطلسي والمحيط الهادىء. ولكن في العام ١٩٣٧ استنتج عالما أحياء برية كانا يستكشفان ولاية ميسوري أن "ثعالب الماء انقرضت تماماً." فالافراط في نصب الاشراك، وتدهور حال الأراضي المروية من جراء التلوث ومشاريع الاسكان، حكما على هذا الكائن بالهلاك.

إلا أن ثعالب الماء حافظت على أعدادها الكثيفة في مكان واحد فقط هو منطقة البايو في جنوب ولاية لويزيانا الامريكية، حيث تنتشر الأدغال الواسعة الكثيفة المرويّة. ويعود الفضل في ذلك، جزئياً، الى عائلة واحدة من الكاجون، وهم سكان لويزيانا المتحدرون من مستوطنين فرنسيين أكاديّين.

المحبة المنقذة. في رواق محجوب من مبنى مؤلف من ثلاث طبقات تدعوه العائلة "مركز عمليات ثعالب الماء"، يعكف توم سيفن (٣٥ عاما) وهو رجل ملتح قوي البنية، على خلط وجبة خاصة بثعالب الماء في مفرمة لحم ضخمة. وكان قبل ذلك أرسى قاربه على ضفة "بايو دو لارج" وأفرغ حمولة من المواد الطازجة. و"دو لارج" واحد من خمسة روافد تنتشر في منطقة الكاجون عبر "أصبع قدم" لويزيانا. وتعج مياهه الراكدة بخليط كثيف من الأحياء النباتية وغيرها من المغذيات يقيت ثعالب الماء المتكاثرة التي تدعم بدورها تجارة عائلة توم سيفن

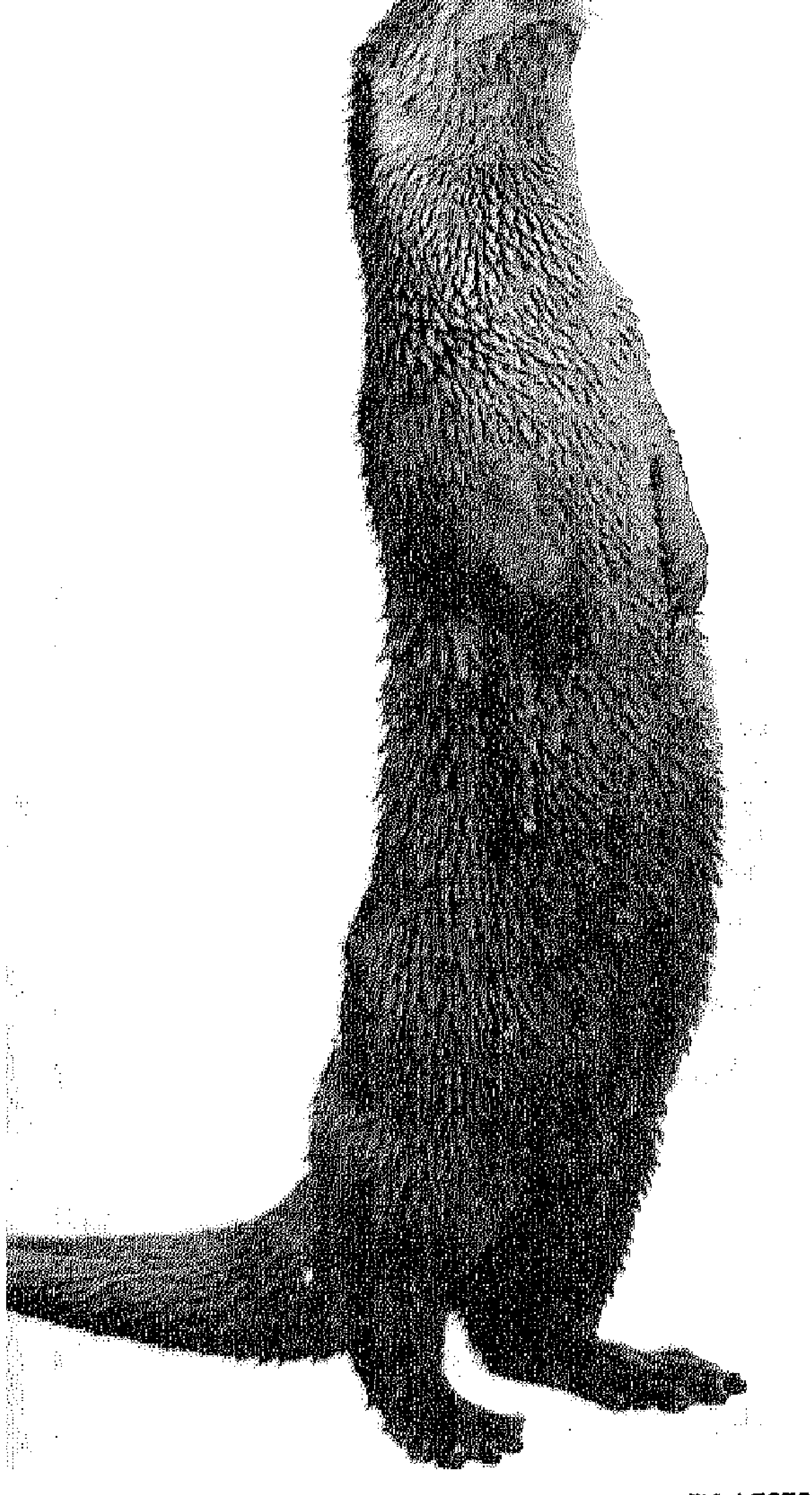


PHOTO: © ZIG LESZCZYNSKI / ANIMALS ANIMALS

في "مزرعة بايو لثعالب الماء" في تيريو.

وثمة ٢٠٠ ثعلب ماء وُضعت إفراديا داخل أقفاص في مبنى خاص ويقول توم مشيراً الى غرفة تُرضع فيها أمه ديانا بالزجاجة اثنين من صغار ثعالب الماء: "نعمل هنا على الدوام، والأمر يستحق العناء لأني أحب هؤلاء الصغار."

وكانت ديانا وزوجها ليروي سيفن ابتكرا تجارة ثعالب الماء عام ١٩٥٧ بعدما اكتشفا أن في وسعهما شراء ثعالب الماء الحية من ناصبي الاشراك بمبلغ يفوق ما يجنيه هؤلاء من ثمن فروها، وبيعها من ثم بربح لابأس فيه.

لكن الأمر الذي بقي على عائلة سيفن حله كان طريقة إبقاء ثعالب الماء بصحة جيدة وهي في الأسر. وقد فاجأ العائلة أن الطعام المكوّن كلياً من اللحوم أو الأسماك ليس حلا، اذ كانت ثعالب الماء تمرض متى خلا طعامها من الألياف والفيتامينات. كما اكتشفت العائلة مادة متوافرة لا تقل أهمية، وإن تكن غير ملموسة، هي: المحبة.

يقول ليروي: "إن أردتها أن تأكل فعليك أن تكلمها." ثم يشير الى جرو تحتضنه ديانا، قائلا: "عليك أن تردد: تعال يا صغيري، لنأكل الآن أيها الصغير المدلل." وكان صوته يعلو وينخفض برنة موسيقية. وكانت ديانا تضغط زجاجة الارضاع لتفرغ آخر قطرة من السائل الخاص في فم الصغير الذي في عهدتها، وقد ذبلت عيناه واسترخى جسده متهدهداً. ثم قالت: "زجاجة واحدة ويغرق في النوم."

وباعتبارهم خبراء بارزين في العناية بثعالب الماء، يتلقى آل سيفن مكالمات هاتفية طارئة من حدائق الحيوان ومزارع الدواجن وسواها طلباً للنصح. ودوائر الحماية في الولايات هي من زبائن العائلة. فولاية ميسوري، مثلا، تطلب سنويا ١٨٠ ثعلب ماء لاطلاقها في المياه التي غابت عنها منذ عشرات السنين.

دليل نقاوة. في التاسعة والربع من صباح صافٍ من أبريل (نيسان) استدارت شاحنة تابعة لدائرة الحماية في ميسوري متجهة في طريق ضيقة تنتهي في "هوفمان فورد"، وهو حَيْد حصوي داخل في نهر بوربوز. ووقف حشد من خمسين شخصاً يترقبون إطلاق عشرين ثعلباً نهريّا في موطنها الجديد.

وفيما كان عالِم الأحياء ديفيد هاملتون، التابع للدائرة، يرجع الشاحنة نحو النهر، تحرك الحشد لتفحص "البضاعة" المكونة من ستة أقفاص ضمنها عشر إناث وعشرة ذكور من ثعالب الماء المتلوية الزاعقة. وكان الغيظ الشديد تمكن من الحيوانات بعدما قضت أياماً عدة في سفر متواصل، كما أخضعت في اليوم السابق لوصولها للتخدير والدمغ والوزن.

وقد تم، منذ العام ١٩٨٢، إطلاق أكثر من ٦٥٠ حيواناً، وهناك تدابير لاطلاق ٣٠٠ آخرى بحلول السنة ١٩٩٣.

وهناك سبب وجيه للاحتفاء. ذلك بأن ثعالب الماء، كالنسور الصلعاء والصقور الجوّالة التي تقف هي أيضاً في المرتبة



حفيدة ليروي سيفن
ترضع جرو ثعلب ماء.

العليا من السلسلة الغذائية، تعاني هبوطاً في معدلات التناسل حين تتراكم المواد الملوَّثة في أنسجتها. وقد أفادني هاملتون أن "المواد الكيميائية السامة والمعادن الثقيلة ومبيدات الحشرات تنتهي جميعها في ثعالب الماء. لذلك، إن نجحنا في زيادة أعداد الثعالب النهرية، فإننا نوفر بيئة صالحة لجميع الكائنات الأخرى في نظام الطبيعة." والواقع أن وجود ثعالب الأنهر في مجمّع مائي ما هو من الادلة المثلى على نوعية هذه المياه.

لا مدرسة اليوم. بدت الحماسة جلية على الحشد المتجمهر في هوفمان فورد. وأخبرتني امرأة: "لقد انتقلنا من سانت لويس في ولاية ميسوري الى هنا، سعياً الى المياه النظيفة والحياة البرية." وأضافت مشيرة الى جمهرة من الأولاد وهم يحومون حول شاحنة هاملتون: "لم يسعنا أن نفوِّت هذا الحدث. ولم يطاوعني قلبي على إرسال أولادي الى المدرسة اليوم، سأقول انهم مرضوا."

بعد وضع الأقفاص على ضفة النهر،

PHOTO: © DENVER BRYAN

عمد هاملتون وعامل آخر من دائرة الحماية الى فتحها ليخرج منها عشرون من أبرع ممثلي الطبيعة تبالغ في الأداء لكسب اهتمام النظارة. وما هي إلا لحظات حتى غادر معظمها "المسرح"، لكن ستة منها بقيت تحت الأضواء. وراحت ثلاثة تتطارد فوق بقعة رملية تحت الرفّ الصخري، فيما انصرف آخر الى دحرجة جذع شجرة مغمور في الماء، فيغوص تارة ويطفو أخرى، وفي كل مرة يصفع الماء مصدراً دوياً: "بلوب!" أيعقل أنه يتعمد العرض؟ وراح آخر يخطر على ضفة النهر متباهياً بجميع الحركات والأوضاع الخاصة بثعالب الماء والتي ورد ذكرها في "دليل والت ديزني" المتضمن قصصاً عن الحياة البرية.

وفيما كان الهوس بثعالب الماء يزداد في ميسوري، عاشت ١٤ ولاية أمريكية أخرى نوبات حماسة مماثلة. وتفاخر ولاية أيوا برقم قياسي بلغ ٢٢٠٠ متفرج في مناسبة واحدة، في أحد مواقع اطلاق ثعالب الماء على مقربة من مدينة تريبولي.

في هذه الاثناء، تعمل بات فوستر ترلي التي ترئس فريق حماية دولياً من الاختصاصيين بشؤون ثعالب الماء، على شن حملة دعائية لإظهار ثعلب الماء كرمز للأراضي المروية. وهو رمز لا يمكن تخيل أفضل منه. تقول فوستر ترلي: "الناس يحبون ثعالب الماء، ويعتقدون أنها خلو من الهموم."

ديفيد شفارتز ■



بابا لا يبكي

اخذت صغيري في نزهة. واذ هممت بالخروج من السيارة بعد عودتنا ارتطم رأسي بحافة الباب. وحاولت أن أستغل الحادث تربوياً فقلت لولدي: "أرأيت يا رامي؟ عندما يضرب بابا رأسه بالسيارة، لا يبكي."

فاجابني: "ولكن عندما يخرج رامي من السيارة فانه لا يضرب راسه.".

ل.ج.

أهون الشرين

سافرت مطربة أعرفها الى أوروبا بموجب عقد فني. وكان على زوجها وأولادها تدبير امورهم بانفسهم طوال عام كامل.

وفكّرتُ ملياً في أمر هذه المطربة وتساءلت كيف ستتمكن عائلتها من تدبير شؤونها. واخيراً سألت زوجي: "ماذا تقول اذا ذهبت للغناء في أوروبا لمدة سنة؟"

واتى جوابه هادئاً وواضحاً: "هذا أفضل من أن تبقي وتغني في البيت."

ب.س.

ضابط شجاع جسّد عظمة القائد وملكة الممثل وبراعة المجرم

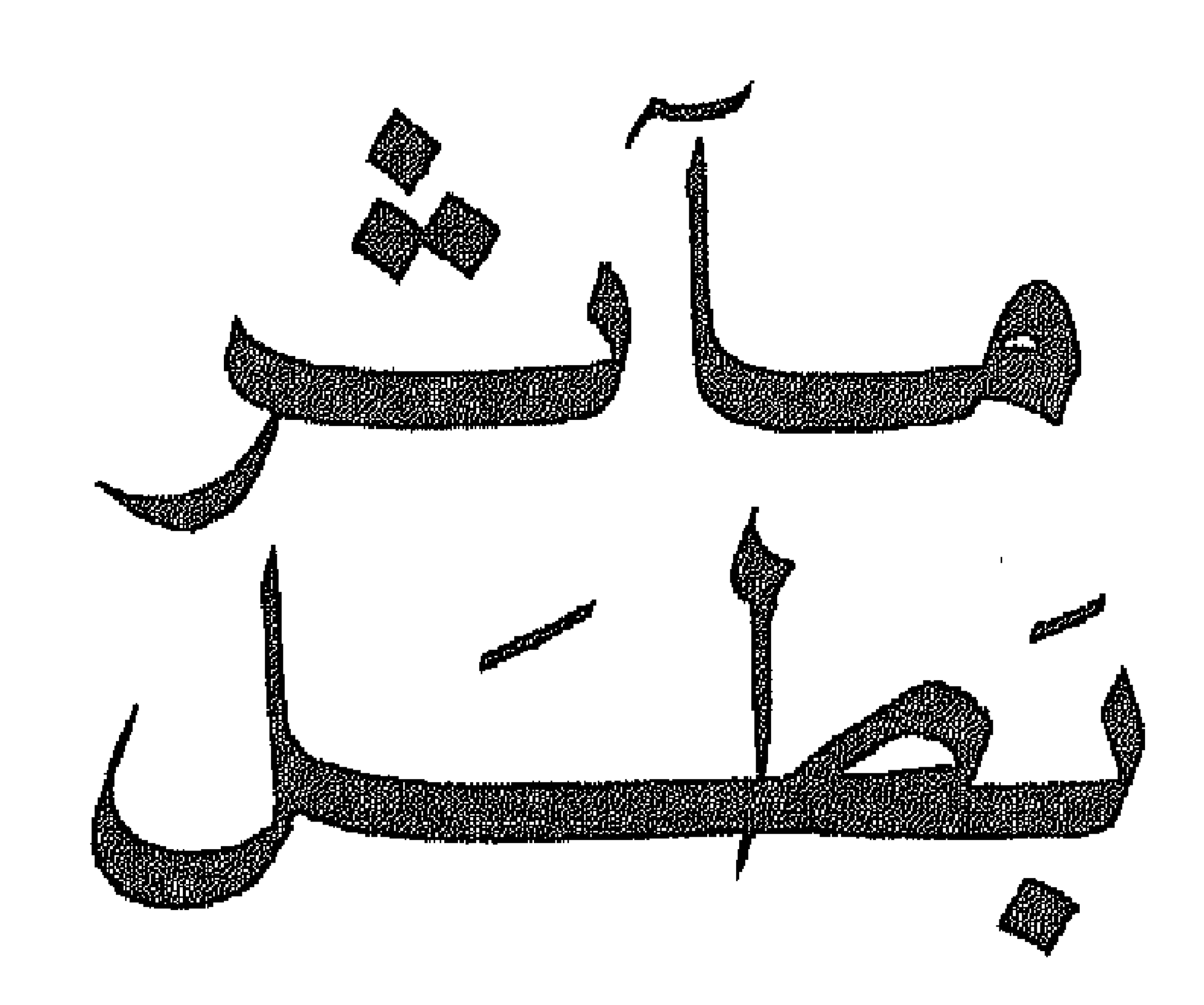
مشى الضابط هاينريش هورنتز واسع الخطو غضبان حتى بلغ صف المساجين الجوعى في معسكر نيوبريم في ألمانيا. ثم توقف أمام الرائد باتريك أوليري من البحرية الملكية وصاح فيه: "أنت ضابط انكليزي. أنت، أيها الوحش الانكليزي، قصفت هامبورغ الليلة الماضية فقتلت النساء والاطفال. ماذا تسمي فعلتك هذه؟"

أجاب أوليري ساخطا: "أدعوها عملية كوفنتري" (نسبة الى المدينة البريطانية التي دمرها طيران هتلر قبل سنتين ونصف سنة).

ران سكون صاعق. ثم جذب هورنتز الرائد أوليري من صف الجند وركله وضربه حتى صار كتلة نازفة، ورماه آخر الأمر في كوخ ينام المساجين داخله على ألواح خشب ويلتحف كل ثلاثة منهم ملاءة قذرة. يقول إيان هوبر أحد عناصر المقاومة البريطانية الذي قاسم أوليري النوم على اللوح الخشب: "كان بات أوليري أشجع من عرفت من الرجال."

بقي أوليري قيد الحياة بعد الضرب الذي تعرض له في نيوبريم وبعد سنتين أخريين في ماوتاوسن وناتزفيلر وداشاو. وفي رأي بريان ستونهاوس وهو عميل سري بريطاني وأحد رفاق اوليري في السجن، أن "هدف هذه المعسكرات كان حطّنا الى درك الحيوان، ينهش بعضنا بعضا كقطيع من الكلاب تتعارك للفوز





بكسرة خبز. ولكن على رغم الشقاء والاذلال ظلّ بات أوليري رجلا شهماً."

وقد لزمه، بعض الحظ، الى قوته وبسالته، كي يبقى حياً. ولو أن الألمان اكتشفوا هويته الحقيقية لما بقي وأسرته أحياء. ذلك بان بات لم يكن ضابطاً بريطانياً كما بينت أوراقه الثبوتية، بل طبيب بلجيكي اسمه ألبير – ماري غيريس كان له دور مهم في أحد الانتصارات الكبرى للحلفاء ابان الحرب العالمية الثانية.

بين ١٩٣٩ و١٩٤٥ وقعت حروب جوية لا سابق لها، أسقطت خلالها ألوف الطائرات الحربية خلف خطوط العدو على جانبي الجبهة. وتمكن ألوف الطيارين من الهبوط بالمظلة أو الفرار مبتعدين عن طائراتهم المهشمة. ولم يفلح في العودة



الى ألمانيا سوى طيار واحد من بين جميع الطيارين الذين أسقطت طائراتهم فوق الجزر البريطانية. لكن ألوف المدنيين القابعين تحت الاحتلال النازي جازفوا بحياتهم اذ أطعموا طياري الحلفاء وآووهم وأرشدوهم الى معابر للتسلل واجتناب نقاط التفتيش عبر القارة الاوروبية. وهم أعادوا ألوف الجنود المهرة الى الجبهات ليعاودوا الطيران والقتال. وكان ألبير غيريس في طليعة المفيدين من مشاعر التفاني والاخلاص تلك للعمل على انقاذ الطيارين.

مواهب متنوعة. لم تتضمن سيرة غيريس ما يؤهله لهذا الدور الخارق. إذ كان في العام ١٩٤٠ طبيباً ضابطاً في التاسعة والعشرين، ملتحقاً بفوج الرمّاحين في منتجع "سبا" البلجيكي الهادىء. ودأب على زيادة دخله بعيادة مرضى في الارياف. وكان رجلا نشطاً حسن المظهر، مولعاً باللهو والمغامرة، يكره الوحشية الهوجاء التي رآها متعاظمة في ألمانيا النازية. وقد أعلن مرة: "لا ينبغي أن يخضع أي انسان للإكراه." وكان عازماً بقوة على الكفاح في سبيل مبادئه.

ولدى استسلام الجيش البلجيكي في مايو (أيار) ١٩٤٠ انخرط غيريس في صفوف القوات الفرنسية والبريطانية والبلجيكية حول دنكرك. وبعد استسلام القوات الفرنسية التحق بملاحي سفينة تجارية فرنسية اسمها "ران" صمم قبطانها على متابعة القتال.

في نهاية المطاف انضمت "ران" الى البحرية الملكية البريطانية، وغير اسمها ليصبح "فيدليتي" (اخلاص) ووجّهت للعمل في مياه العدو. وانضم غيريس بدوره الى البحرية الملكية، منتحلا كنية صديق قديم له في الجامعة الكندية هو أوليري، ومتخذاً باتريك اسماً أول. وأبحر مع "فيدليتي" في مهمتها الاولى لانزال عملاء سريين على ساحل فرنسا الجنوبي. لكن الأمور لم تجر على ما يرام، وفيما بات ينزلُ الى الشاطىء في زورق تجذيف قبضت عليه دورية من الشرطة الفرنسية التابعة لحكومة فيشي المتعاونة مع الألمان. وحاول الفرار، لكنه اعتقل وزج في السجن. ثم دبّر طريقة للهرب. وفي يونيو (حزيران) ١٩٤١ وصل الى مرسيليا حيث التقى القبطان إيان غارو الآتي من أنجاد اسكوتلندا. وكان هذا أنشأ منظمة لتمرير جنود الحلفاء عبر جبال البيرينيه. وكان غارو رمزاً بطولياً، لكنه غير ملائم للعمل السري، اذ كان يجوب شوارع مرسيليا بخطى واسعة، فارع القوام منتصباً، يفضي كل ما فيه بانه ضابط بريطاني.

أما بات فلم يكن لافتاً للنظر بين حشود الناس. وكان ناحلا الى حد ما، عادي القسمات. ولكن، كما يذكر روبرت شيبارد، "في السر، اذ يحين أوان الحديث أو الفعل، يتنبه الجميع الى شخصية بات غير العادية." وشيبارد هذا مدرب على أعمال التخريب، أنزل بالمظلة على أراضي فرنسا وجمعته صداقة حميمة بأوليري في أحد معسكرات

الاعتقال. ويضيف شيبارد: "كان بات صلبا على الدوام، ذا إحساس، دقيقا ومخلصا لا يتزعزع في الشدائد."

وتوسّم غارو في بات أوليري الرجل ذا الذهن والشخصية اللذين يديران بكفاية عمليات الفرار. واثر اعتقال شرطة فيشي غارو في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٤١ تولى عنه أوليري زمام القيادة.

ولابقاء طياري الحلفاء محجوبين ومتنكرين ودائبي الحركة، كان على بات أن يجمع في شخصه مواهب جنرال عظيم وممثل كبير ومجرم خطير، وأن يمسك بزمام السيطرة على مئات العملاء الذين عرفوا من بعد باسم "قوات بات." كما تعين عليه أن يتثبت أن الطيارين الفارين هم حقا في أمان في "البيوت الآمنة" التي يختبئون فيها اياما واسابيع، وأن يجنِّد المرشدين الذين يتولون تمرير العناصر متخطين جنود العدو وجواسيسه والعملاء المزدوجين.

كيف يتسنى له مثلا أن يمرِّر طاقم طائرة مقاتلة مؤلفا من رجال تكساسيين عمالقة حمر الشعور لا يجيدون كلمة فرنسية واحدة، عبر محطة فرنسية للسكك الحديد؟ أحد السبل اختيار فتيات جذابات ذوات جرأة يغازلن رجال الشرطة وحرس الحدود فيصرف هؤلاء انتباههم عن طرح الاسئلة المحرجة.

واحتاج أوليري إلى مجموعة متنوعة من ألبسة التنكر، فوقع على بول أولمان وهو خياط في تولوز يمكنه أن يخيط بذلة دركي فرنسي في يومين. وكان عليه أن يعثر على مزورين بارعين لاصدار هويات وجوازات سفر، وكان أبرعهم في ذلك كاهن في آبيفيل اسمه بيار كاربنتييه، وقد جاء من وشى به الى رجال الغستابو* فقتلوه.

وعثر أوليري على مساعدين جديرين بالثقة في جميع صفوف المهن. في صفوف رجال الشرطة والمهربين والأشراف والعصابات وعمال السكك الحديد وربات البيوت. وكانوا على شاكلة فرنسواز ديسار، المرأة التي كانت تعيش وحيدة مع قطتها قرب مركز قيادة الغستابو في تولوز ولم يرتَبْ رجال الغستابو بأمرها قط، مع أنها كانت تستقبل في منزلها سيلا لا ينقطع من الطيارين البريطانيين والامريكيين.

انقاذ صديق. أشرف أوليري على فرار أكثر من ٤٠٠ طيار من قوات الحلفاء، وعدد من الوطنيين البلجيك والفرنسيين التواقين للذهاب الى لندن للمشاركة في المعارك. وهو نفذ عملياته على رغم المشقات، ولطالما أعوزه المال والمدد. ولم يكن لديه في بواكير نشاطه من يشغل جهازاً لاسلكيا، واضطر الى حشر رسائله في أنابيب معجون الاسنان وتهريبها خارج فرنسا عبر اسبانيا، لتصل إلى محطة استخبارات بريطانية في جبل طارق. وعلى رغم هذه المصاعب بلغ من كفاية "قوات بات" أنها أعادت طياراً أسقطت طائرته في فرنسا الى سربه في بريطانيا في غضون أسبوعين.

إلا أن أروع عمليات بات خطته المتقنة

(*) الشرطة السرية النازية.

لانقاذ غارو الذي سجن في معسكر موزاك. وقبيل الموعد المضروب لترحيل غارو الى ألمانيا رشا بات حارساً ليهرِّب بذلة أحد الحراس الى داخل الثكنة. وعند الفجر اجتاز غارو البوابة الرئيسية مشياً فيما فريق المناوبة الليلية يغادر الثكنة. وفي الخارج كان بات وعميلين متلطِّين في الظلال ينتظرون مع مسدساتهم لاطلاق النار وإسكات مدفعين رشاشين عند المدخل، اذا اقتضت الحاجة الى ذلك.

كانت البوابة مُنارة بضوء باهر، وبدا غارو ضابطاً بريطانياً صرفاً وهو يوسع الخطو متيبساً في مشيته ويؤدي تحية ذكية. حدجه أحد الحراس الفرنسيين بنظرة فاحصة، ثم اضطر الى التوقف اذ توانى الرجلان اللذان يتقدمانه لدردشة وجيزة. وأخيراً وصل غارو إلى سيارة تنتظره، لكن محركها لم يدر. قد يدوي جهاز الانذار في أي لحظة، وفرقعة مشغل المحرك تصمّ الآذان. أخيراً أدار السائق المحرك بذراع التدوير، وانطلق الجميع في السيارة المقرقعة الى مزرعة صديق تبعد ٣٠ كيلومتراً.

على رغم أشهر الحبس التي أوهنت غارو تمكن من الوصول إلى البيرينيه خلال ثلاثة أسابيع من المراوغة والاختباء، وعبر بيت فرنسواز ديسار في تولوز. وراه بات في ذرى جبال البيرينيه سالماً. وهو سأله يومذاك: "أيمكن أن يطول بنا الأمر أكثر؟"

كان بات مدركاً صعوبة استمرار ذلك النشاط. فالالمان على وشك اقتحام شبكة التهريب. وذات يوم من مارس (آذار) ١٩٤٣ قصد أوليري وأولمان مقهى في تولوز للقاء روجيه، وهو عميل في شمال فرنسا ألمح إلى معرفته شيئاً عن اعتقال أحد الملازمين الكبار العاملين مع بات. سأله بات: "أتعرف من وشى بنا في باريس؟" وما هي غير لحظة حتى شعر بات بلمسة باردة كالفولاذ على عنقه. لقد قبضوا عليه!

في الاسر. عذب رجال الغستابو أوليري أياماً. ضربوه وحطموا عظامه وأوصدوا الباب عليه في غرفة مبردة ساعات طويلة، فكان يرى العرق متجمداً على جسده العاري. كانوا يكرهونه على الكلام، فلم يصرح الا بمعلومات خاطئة أو مضللة. ودأبوا على سؤاله: "أين فرنسواز؟" فأصر على الجواب: "لا أعرف امرأة اسمها فرنسواز." ولم يداخلهم شك قط في أن فرنسواز ديسار التي تسكن في مكان غير بعيد، قد جمعت شتات "قوات بات" وأرسلت نحو ٣٠٠ فارّ إلى حيث الحرية، وثابرت على عملها هذا حتى تاريخ مغادرة الألمان تولوز.

وفي معسكرات الاعتقال لم يذعن أوليري أبداً. وعندما اقتربت القوات الامريكية من معسكر داشو تملك الذعر الحراس. وعقد اجتماع سري ضم مساجين من ١٦ جنسية مختلفة شكلوا لجنة عالمية رأسها بات. ورسمت اللجنة خططاً لتفادي حدوث مجزرة يذبح فيها ٣٥ ألف سجين على أيدي الحرس الألمان قبل وصول الامريكيين. فأرسل بات صديقه الوسيم طوم غروم ليغازل فتاة

تعمل مع جنود المعسكر ويقنعها بأن تسرق مسدساً. ويوم اقتحام القوات الامريكية بوابة المعسكر كان بات أوليري وأفراد اللجنة ممسكين بزمام الأمور، يجمعون المساجين لاستقبال الحرية.

ولى الكابوس، فعاد أوليري إلى هويته، الدكتور ألبير غيريس. وتزوج فتاة بريطانية حسناء اسمها سيلفيا كوبر سميث، كانت سكرتيرة لعميله في لندن وكثيراً ما طبعت رسائله السرية. وعاد غيريس الى فوج الرمّاحين والى جولات عيادة المرضى في بلدة سبا. في هذه الاثناء أُمطر غيريس بالأوسمة: "وسام جورج" و"وسام جوقة الشرف" من فرنسا و"وسام ليوبولد العسكري" من بلجيكا و"وسام الحرية" من الولايات المتحدة و"الوسـام العسكري" من بولونيا. وكانت الأوسمة كلها تغطي صدره إذ يتقلدها في مناسبات نادرة.

وحقَّ للدكتور غيريس اكثر من أي رجل آخر أن يركن الى حياة وادعة مع زوجته وطفله. ولكن حين غزا جند كوريا الشمالية أراضي كوريا الجنوبية عام ١٩٥٠ صدَّهم جيش من قوات متعددة الجنسيـة. وكانت كتيبـة المتطوعين البلجيكيين المشاركة في القتال في حاجة الى طبيب ضابط، فتقدم غيريس. وخدم بامتياز في الخطوط الامامية مدة ١٥ شهراً، ثم آب إلى بلجيكا وفي حوزته بضعة أوسمة أخرى. وهو لم يبال بتلك الاوسمة، ولا بلقب "كونت" الذي أسبغه عليه الملك عام ١٩٨٦. وقد قال في ما بعد: "لقد تأخر هذا الحدث على سيلفيا التي كانت ستسعد حقاً بلقب كونتيسة." (وكانت زوجته توفيت قبل سنة ونصف سنة.)

أمضى غيريس السنوات الخمس والعشرين الاخيرة من حياته جاداً في منصبه رئيساً للجنة داشاو الدولية. ووظّف كل نفوذه لحمل الحكومة البافارية على بناء نصب تذكاري دائم في داشاو، آملاً بذلك ألا تنسى الاجيال الطالعة ما حدث في ذلك المكان.

وكانت وصيته الاخيرة قبل وفاته في ٢٦ مارس (آذار) ١٩٨٩ ألا يشاع الخبر قبل مواراته في الثرى. فهو لم يرغب في احتفاء خاص برجل "لم يقم إلا بواجبه."

روبرت فرنيك ■

عصفور عصري

كنت مع زوجي في رحلة بالسيارة. فلاحظنا ان بعض أعشاش العصافير التي رأيناها قبل سنة ما زالت في الاشجار المصطفة على جانبي الطريق. ثم لفت انتباهنا عش يلمع متألقاً في نور الشمس. فأوقفنا السيارة لنتحقق من الأمر. وكم ضحكنا حين وجدنا أن عصفوراً عصرياً مبدعاً بنى عشه بأشرطة تسجيل مرمية.

م.د.ر.

غريسي عاشت للحب

كانت ذكية وطبيعية وخفيفة الدم
فباتت أحب النساء الحمقاوات

مثلت وإياها أدوارا هزلية لا تحصى. وكانت لي نعم الشريك والصديق والزوجة والام لولدينا. كنت وغريسي الن فريقا رائعا على المسرح وخارجه.

عندما التقيتها عام ١٩٢٢ كانت شابة تقطن في مدينة نيويورك، عاطلة عن العمل بعدما تخلت عن دورها في مسرحية هزلية. ولما تناهى اليها اني ابحث عن شريكة جاءت الى المسرح لمشاهدة ادائي.

وبعد انتهاء العرض جاءت بها صديقتها خلف الستار لملاقاتي. كانت غريسي فتاة صغيرة القد لا يزيد طولها على متر ونصف متر ولا يتجاوز وزنها ٤٥ كيلوغراما. وكان شعرها الطويل متموجا على كتفيها، وبشرتها ايرلندية الازهرار



مع لمسة طفيفة من مستحضرات التجميل.

قالت لي صديقتها: "ناتي، أعرّفك الى غريس ألن." وكنت أنادى "نات" أو "ناتي" خارج المسرح لأن اسمي الحقيقي هو ناتان برنبوم.

أذكر أني نظرت اليها مفكراً: كم هي جميلة هذه الفتاة! آمل أن توافق على العمل معي.

وفي اليوم التالي أخبرتني صديقتها أنها وافقت.

اخترنا لعرضنا عنوان "برنز وألن." فأنا بطل المسرحية الهزلية. وتعاقدنا مع مسرح في مدينة نيوارك بولاية نيوجرزي.

بلغ الحضور نحو ١٥ شخصاً حين اعتلينا خشبة المسرح. كنت متوتر الاعصاب، وكانت هي خفيفة الدم. ولكن من يعرف كيف ستؤدي دورها؟

إلا أن المسرحية لم تسِر على النحو المرسوم لها. خاطبتني غريسي بمقطع استجاب له الحضور بضحكة خافتة. فأجبتها بكل ما لدي من مقدرة على التهريج، فلم يستجب أحد. ثم أدّت غريسي مقطعاً آخر، فضحك الحضور حقاً هذه المرة. فأجبتها، ومرة أخرى لم يبدِ الحضور اهتماما. ومع اقتراب نهاية العرض الأول كان الحضور يضجون ضاحكين لعبارات تصدر عن غريسي، مثل: "حقاً، كم هو بخيل أبوها؟"

لم أكن أحتاج الى عبقرية كي أفهم أن ثمة خطأ ما في الملهاة، فالحوار الجانبي كان يُضحك الجمهور أكثر من مغزى الطرفة. لذلك قررت أن أدع غريسي تؤدي بعض مقاطع المغزى، فجاءت النتيجة ضحكا هادراً.

وبعد أيام ثلاثة كانت غريسي تؤدي ثلاثة أرباع المقاطع الرئيسية. ومع نهاية الشهر أصبحت هي كل العرض. واقتصر دوري على السير معها على خشبة المسرح، وسؤالها مثلا: "آه، كيف حال أخيك؟"

قبلة حقيقية. صنع الجمهور شخصية غريسي الهزلية، ذلك لأني كنت أصغي الى النكات التي تُضحك الجمهور وأزيدها. وتمثلت هذه الشخصية في امرأة خفيفة العقل، لكن ما جعلها مختلفة هو أن غريسي مثلت دورها وكأن لكلامها معنى حقيقياً. وقد دعونا هذا الأسلوب "اللامنطق المنطقي." كانت تسألني مثلا: "أين تودع أموالك؟"

فأجيب: "المصرف."

— ما الفائدة التي تجنيها؟

"أربعة في المئة."

— ها! إني أحصل على ثمانية.

"تحصلين على ثمانية؟"

— نعم، لأني أودعها مصرفين.

كانت صوت غريسي الشبيه بزقزقة العصافير لا ينتسى. وكانت تؤدي أدوارها على نحو طبيعي لم أر له مثيلا. لم تحاول أبداً أن تتعمد التمثيل، وهذا ما جعل الجمهور يصدق أن في وسعها حقا الاقتصاد في الطاقة بتقصير سلك المكنسة الكهربائية.

والى نجاحنا معا حدث أمر آخر هو أني كنت هائماً بها.

CONDENSED FROM «GRACIE: A LOVE STORY,» COPYRIGHT © 1988 BY GEORGE BURNS,
PUBLISHED IN HARDCOVER BY G.P. PUTNAM,S SONS AND IN PAPERBACK BY PENGUIN BOOKS, NEW YORK.

انقضت سنة قبل أن أعلمها بأحاسيسي. عرفتُ أنها تعتزم الزواج بمؤلف مسرحيات هزلية اسمه بني رايان. وكنت أخشى إن أخبرتها بحبي أن تستاء وتستعفي من دورها. لذا فضلت الصمت.

كنت دائماً أقبِّل غريسي كجزء من العرض المسرحي. ولا أذكر متى قبلتها جدياً للمرة الاولى، إذ حدث ذلك تدريجاً. وأخيراً غدت القبلة حقيقية. ولم تبتعد عني سوى مرة واحدة حين قالت: "نات، هذا لا يجوز. هل نسيت بني؟"

فأجبتها: "سأقبله لاحقاً."

وأخيراً تزوجنا. وبعد سنوات تذكرنا يوم زواجنا في اعادة لعرض بثته محطة اذاعية. ففي نهاية العرض قالت غريسي: "أود أن يعرف الجميع أني امرأة محظوظة جداً، اذ غازلني رجل هو الاكثر شباباً ووسامة وجاذبية ونجاحاً في حقل الفن المسرحي..."

قلت: "شكراً جزيلاً."

فأكملَت: "... لكني تزوجت جورج لأني أحببته."

كنت أدعوها "غوغي." وقد بدأ ذلك ليلة أيقظتني طالبة مني إضحاكها. فنظرتُ إليها وقلت بلهجة الأطفال: "غوغي، غوغي، غـوغي." فضحكت غريسي ومذذاك صرت أدعوها "غوغي."

ركلة فأولاد. وُلدت غريسي في سان فرنسيسكو عام ١٩٠٦ وترعرعت في عائلة إيرلندية سعيدة مع أخ وثلاث أخوات. وظهرت على المسرح للمرة الاولى وهي في الثالثة من عمرها حين أدت "رقصة إيرلندية معبرة" في مناسبة احتفالية. ولربما كانت تلك المرة الأولى تسمع ضحك الجمهور، فأحبت ذلك.

كانت غريسي تعلم علم اليقين أنها ستحترف الفن. فهي دأبت يومياً، بعد الانصراف من المدرسة، على التجوال بين مسارح المدينة لتتفرج على الصور في القاعات وتحلم بيوم تعلَّق صورتها هناك.

كانت غريسي مثالية في تهذيبها وتتمتع بظرف ومرح طبيعيين. لكنها كانت أيضاً إيرلندية قادرة على التصرف بقساوة. وكانت دائماً تطلب مني أن أعاملها معاملة السيدة التي تستحق. مثلاً، فيما كنا ذات يوم ندخل مطعماً، ركلتني بأقصى قوتها، وقالت: "تذكَّر في المرة المقبلة أن تفتح لي الباب." وسارت أمامي.

سألتها مرة في أحد عروضنا: "هل رمتك الخادمة على رأسك يوماً وأنت طفلة؟"

فأجابت ملوحة بقفازها: "لا تكن سخيفاً يا جورج. لم يكن في مقدورنا توظيف خادمة. أمي هي التي رمتني."

قليل من الناس عرف أن غريسي تعرضت لحادث خطر في طفولتها حين احترقت يدها وكتفها اليسريين بالشاي المغلي. وقد نتج من ذلك تشوه رهيب في ذراعها وباتت عاجزة عن مدها. وكانت تخجل بندوبها فترتدي دوماً ثياباً طويلة الاكمام أو قفازات. وهي عانت طوال حياتها من يدها تلك.

وذات أمسية كنا نراجع النصوص وقد

مضى على زواجنا نحو ٢٥ سنة. فأحاطتني غريسي بذراعيها وقالت: "أتعلم يا ناتي؟ إن ألطف ما فعلته معي هو أنك لم تلحظ أبداً ذراعي المتشوهة."

قلت: "حقاً؟ أي ذراع هي؟"

أحبت غريسي الأطفال وأحبوها. لكن الله لم يمنّ علينا بمثلهم، فقررنا التبني. وكانت طفلتنا الأولى في أسبوعها الخامس ذات عينين زرقاوين كبيرتين سميناها ساندرا جين برنز.

أدخلت ساندي البهجة الى قلوبنا. فقررنا أن يكون لها أخ. وكان رونالد جون برنز طفلاً مريضاً جداً في شهره الثاني عندما رأته غريسي في الميتم. وكان الأطفال الآخرون أصحاء معافين. لكن غريسي اختارت رونالد لأنه الأكثر حاجة إليها. وقد أخبرتها ممرضة أنه ولد قبل أوانه وشكك الأطباء في نجاته. قالت لي غريسي حين أحضرته الى المنزل: "لاحقني بعينيه، فما كان مني إلا أن اخترته. أعلم أنه مريض جداً، لكننا نستطيع شفاءه."

مرت السنة الأولى وروني في حال صعبة. وبقي وقتاً طويلاً من غير أن يزيد وزنه. لكنه كان صبياً ذكياً، إذ اكتشف ذات مرة كيف ينمو، ولم يتوقف عن ذلك حتى بلغ طوله ١٨٣ سنتيمتراً.

اذاعة وتلفزة. حينما كدنا نبلغ مرتبة النجوم، كانت المسرحيات الهزلية تموت. ولحسن الحظ كان عملنا المسرحي صالحاً للإذاعات، إذ لقي لامنطق غريسي المنطقي وقعاً حسناً، ففهمتها النساء، وأعجب بها الرجال وكأنها زوجة كل منهم، وساد الجميع انطباع بأنها تشبه أمرأة التقوها في مكان ما.

وحين تحولنا الى العمل التلفزيوني تابعت غريسي تمثيل الشخصية ذاتها: غريسي الظريفة المرتبكة التي تدّعي أن شجرة الغريبفروت (الليمون الهندي) التي زرعتها حملت ثماراً كبيرة الى حد أن كل ثمان منها تساوي دزينة. غريسي التي اعترفت بأنها نجحت في امتحان السوق، لأنها نقلت عن السيارة التي أمامها. غريسي التي قالت أن عمها ألن أفرغ بركة السباحة قبل الغوص لأنه يعرف كيف يغوص لكنه لا يعرف كيف يسبح.

العرض الأخير. عندما أفكر في غريسي أتذكر تلك الصغيرة الممتلئة حيوية أكثر من كل من حولها، والمرأة القوية المتألقة والقاسية أحياناً. وعندما أفكر في مرضى القلب، لا أخال مرضهم يصيب غريسي.

لكنها أصيبت بأول نوبة قلبية في أوائل الستينات، وتعرضت على مر السنوات التالية لنوبات طفيفة أخرى. اليوم يدعون علتها "ذبحة صدرية." وكنت كلما أصيبت بنوبة أحتضنها وأكلمها حتى يخمد الألم.

تابعت غريسي العمل، لكن فكرة التقاعد بدأت تراودها. فلم أولِ ذلك الأمر اهتماماً.

ولكن خلال موسمنا المسرحي الأخير لاحظتُ أنها تعاني صعوبة في الالقاء،

وتستغرق وقتاً أطول في الراحة بين تصوير المشاهد.

وفي أمسية يوم أحد سألتها ونحن في منزلنا نشاهد التلفاز: "أحقا تريدين التوقف؟"

فأجابت: "أريد ذلك حقاً."

حدث ذلك بمنتهى البساطة واليسر.

صورنا آخر عرض لنا يوم ٤ يونيو (حزيران) ١٩٥٨. وتلك كانت المرة الأخيرة نعمل معاً.

خلال السنوات الأولى من تقاعدها كانت غريسي في منتهى السعادة وحالها تسمح بالتسوّق وزيارة الأصدقاء ولعب الورق (الكوتشينة) والمطالعة وتزيين المنزل. ولكن بعد اصابتها بنوبة قلبية قوية عام ١٩٦١ باتت تقلل من الخروج ليلا لانحطاط طاقتها.

وفي أوائل ١٩٤٦ ساءت حالها. وابتعت لها ذات يوم معطف فراء غاليا. وحين وصلتُ الى البيت قلت لها: "أنظري ما اشتريت لك يا غوغي." فراحت تبكي بمرارة. سألتها: "لمَ تبكين؟ لقد دفعت ثمنه ولم أسرقه." لكني لم أتمالك نفسي ورحت أبكي معها. وأخيراً نهضت من الفراش ولبست المعطف، فبدت رائعة.

ومرت الأيام القليلة التالية ولا حديث لها سوى المعطف، واتصلت بصديقة قالت لها: "لا يمكن أن اكون على شفير الموت. فأنت تعرفين نات. لو كنت على وشك الموت لما اشترى لي هذا المعطف الثمين."

وذات أمسية قضيناها وحدنا أمام شاشة التلفاز، نزلتُ الى الطبقة السفلى لأعمل على أحد النصوص. وبعد برهة سمعت غريسي تناديني. فصعدت على الفور لأجدها تتنفس بصعوبة. اتصلت بالطبيب، وحين جاء فحص قلبها ثم استدار نحوي قائلا: "أعتقد يا جورج أن من الأفضل استدعاء سيارة اسعاف."

وفور وصولنا الى المستشفى نقلت بسرعة الى الطبقة العليا. ولم يمض وقت طويل حتى جاء الطبيب وقال لي: "آسف يا جورج. ليرحمها الله."

ثم سألني إن كنت أريد مشاهدتها. طبعا أريد مشاهدتها ومحادثتها لبضع دقائق أخرى، والوقوف الى جانبها على خشبة المسرح لأسمع جلجلة ضحكات الجمهور. أريدها أن تنظر إليّ بعينيها الواثقتين، وأريد أن أسألها مرة أخرى: "غريسي، كيف حال أخيك ؟"

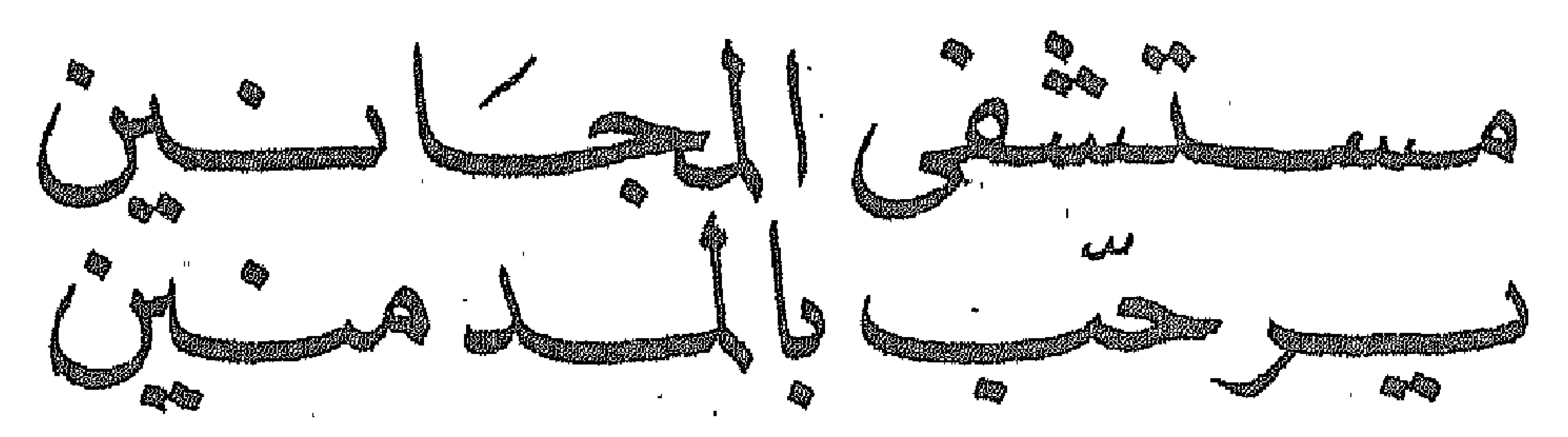
دخلت غرفتها حيث كانت مسجّاة وأمارات السلام على محياها. لم أدر ما أفعل. لذا فعلت الشيء الوحيد الممكن. انحنيت وقبّلتها هامسا: "أحبك يا غوغي."

للمرة الأولى في ٤٠ سنة أغدو وحيداً. أنا لا أعرف أزواجا كثيرين قضوا هذا الوقت معا. كنا دائماً معاً، ننهض من النوم معا، ونذهب الى المسرح معا، ونعود الى البيت ليلا معاً.

يسألني الناس أحيانا: كيف ينجح الزواج. إني أعرف حق المعرفة أهمية الاحترام والثقة والاخلاص والكرم. ولكن، بالنسبة الي، ينحصر الجواب في نصيحة واحدة: "تزوج غريسي."

جورج برنز ■

الكوكايين:



ليس هوس الكوكايين اليوم بأمر جديد، إذ سبق للغربيين أن أجازوا هذا المخدر البالغ الاغراء!

كتب سيغموند فرويد عندما كان شاباً في العام ١٨٨٤ أنه درس تأثير الكوكايين على نفسه "بضع عشرة مرة." وجاء في مقالته الشهيرة "عن الكوكا"[1] أن الكوكايين "يردّ غائلة الجوع والنعاس والتعب ويشحذ النشاط الفكري."

كما وصف بإعجاب ظاهر التجربة الفذة التي مرّ بها روبرت كريستيسون (٧٨ عاماً) الاختصاصي بعلم السموم في جامعة ادنبره: "كان يمضغ درهمين من ورق الكوكا ويسير مسافة ٢٥ كيلومتراً من غير أن يشعر بالتعب الذي كان يعانيه في مرات سابقة. وحين يصل الى المنزل بعد تسع ساعات لم يذق خلالهما طعاماً ولا شراباً، كان لا يشعر بالجوع ولا بالعطش. وكان يبدأ صباحه التالي من غير تعب."

إشادة فرويد بهذه "المادة السحرية" كما وصف الكوكايين، واحدة من إشادات كثيرة أعربت عنها المراجع الطبية قبل انصرام القرن الماضي. والواقع أن الأطباء الامريكيين، وهم أول المتحمسين لهذا المخدر، ادّعوا أنه يخفف التوق الشديد الى الافيون أو الكحول لدى المدمنين.

وفي أمريكا، حيث وصل الهوس

---

(١) الكوكا هي النبتة التي يستخرج منها الكوكايين.

 © 1989 BY DAVID F. MUSTO. CONDENSED FROM THE WILSON QUARTERLY (SUMMER '89), WASHINGTON, D.C.

بالكوكايين درجة تجاوزت الحال في أوروبا، اعتُبرت مقدرة الكوكايين على شفاء الادمان واحدة من منافعه الفذة. وبدا هذا المخدر قادراً على زيادة التيقظ والفاعلية، وهما صفتان تحظيان بتقدير كبير في البلدان الصناعية.

وفي غياب القوانين التي تحظر بيع الكوكايين واستهلاكه وترويجه، صوّره تجار المخدرات على أنه "إكسير" في متناول الناس. والواقع أنه حين نَشر فرويد أول ثناء له على هذا الإكسير، كانت المستخرجات الكحولية من ورقة الكوكا متوافرة للامريكيين في محلات السمانة والحانات وبواسطة طلبات بريدية. وفي العام ١٨٨٥ كانت شركة "بارك ديفيس" في ديترويت ونيويورك تبيع الكوكايين الصافي والكوكا في ١٥ مستحضراً، بينها سجائر من لفائف ورقة الكوكا ومستنشقات الكوكايين وشراب الكوكا وبلّورات الكوكايين ومحلول الكوكايين الذي يحقن تحت الجلد. وزادت شركة "بارك ديفيس" وغيرها من المصنّعين الانتاج عام ١٨٨٥ لاشباع النهم المتزايد.

وإذ لم تُشبع السوق المحلية نهم الامريكيين للكوكايين، وردت من باريس ابتكارات رائجة من صنع "أنجلو ماریاني" بينها "فان ماریاني" وهو مزيج من عصارة العنب والكوكا. وقد وصل هذا المزيج الى أمريكا يسبقه ثناء عدد من المشاهير بينهم المخترع توماس اديسون والممثلة ساره برنار والكاتبان إميل زولا وهنريش إبسن وأمير ويلز. وقال الروائي جول فرن: "بما أن زجاجة واحدة من فان ماریاني تضمن الحياة لمئة عام، فلسوف أكون مجبراً أن أحيا الى السنة ٢٧٠٠."

أما ذوو الدخل المحدود فلقد توافر لهم المخدر العجائبي في أشكال أقل رفعة مثل "كوكا كولا" التي كانت تتضمن آنذاك كمية طفيفة من الكوكايين. وقد جرى تسويقها على أنها "منشط للدماغ" يعالج الصداع و"جميع الأمراض العصبية." ومع نجاح الـ"كوكا كولا" وما يماثلها من منعشات، بات في مقدور المواطن التعب أن يختار بين عشرات المنتجات: "كولا كوك" و"روكولا" و"كوكا نولا" و"نيرف أولا" و"وايز أولا" وصنف ذي اسم بسيط وصريح هو "دوب" أي "مخدر."

وعُرض الكوكايين أيضاً كعلاج لداء الربو وآلام الأسنان. وقد تضمن "عقار الدكتور تكر للربو" الرائج كمسحوق أو سعوط لمعالجة النزلة[٢] نحو نصف غرام من الكوكايين الصافي في الأونصة (٢٨ غراماً). ولفاعليته الكبرى في تقليص الاغشية الانفية وتجفيف الجيوب، اعتُبر الكوكايين في الثمانينات من القرن الماضي علاجاً رسمياً لدى "جمعية حمّى القش."

لم يُبلَّغ بادىء الأمر الا عن حوادث قليلة عن إدمان الكوكايين. وعندما ووجه الدكتور وليم هاموند، المدير العام للصحة في الجيش الامريكي وأحد غلاة المتحمسين للكوكايين، بحالة تشير الى الإدمان، صرف النظر عنها باعتبارها

(٢) التهاب القناة التنفسية المصحوب بافرازات مفرطة.

"مسألة خيار لا إدمان." ولكن في العام ١٨٩٠ بلغ عدد حالات الادمان التي نشرتها المجلات الطبية أربعمئة على الاقل، ولاسيما بين المرضى الخاضعين للعلاج من ادمان المورفين وغيره من مشتقات الأفيون.

ومع نهاية القرن تعرض الكوكايين لمزيد من الشكوك. واستنتجت "جمعية كونيتيكت الطبية" في العام ١٨٩٦ أن اعتماد الكوكايين في علاج حمّى القش كان سبباً رئيسياً في الأدمان. واقترحت قصر استعماله على الاطباء كمخدر موضعي. وأوردت الصحف والكتب وأحاديث الناس والمقالات المنشورة في المجلات الرائجة مزيداً من الأخبار المقلقة. وفي العام ١٩٠٣، بعد ازدياد الشكوك في سلامة الكوكايين، عمدت شركة "كوكا كولا" الى تطوير أسلوب جديد لاستخلاص نكهة أوراق الكوكا من دون ادخال المخدر في صناعاتها.

وجاء في تقرير لصحيفة "نيويورك تايمز" حول "الخطر المتعاظم لادمان الكوكايين" أن الطبقات الفقيرة تتعاطى المخدر في "حفلات شم" تؤدي الى تدمير "ضحاياه بسرعة أكبر مما يفعل الأفيون." وأطلق تشارلز تاونز المعروف بثورته المناهضة للمخدرات، تحذيراً خطيراً في مجلة "سنشوري ماغازين" جاء فيه: "إن الكوكايين هو الاكثر إيذاء بين المخدرات المسببة للادمان، ولا طريق أسرع منه الى مستشفى المجانين."

وفي العام ١٩٠٧ أقرت ولاية نيويورك قانوناً يحظر استعمال الكوكاكيين إلا بموجب وصفة طبية. ومع بدء الحرب العالمية الأولى أقرت ٤٦ ولاية قوانين مناهضة للكوكايين تفاوتت موجباتها وعقوباتها.

أما الحكومة الامريكية الاتحادية فأدت دوراً صغيراً أول الأمر. فبموجب الدستور الساري آنذاك، لم تكن لواشنطن سلطات تخولها التدخل في التجارة المحلية للمخدرات. كما لم يوجب "القانون الاتحادي للاطعمة والعقاقير النقية" الذي أقر عام ١٩٠٦ سوى إلصاق رقعة تحدد محتوى الكوكايين في الادوية المبيعة من دون وصفة طبيب عبر الولايات. لكن "وباء" الكوكايين المستشري في واشنطن ذاتها أربك المسؤولين بمقدار ما أرعبتهم جرائم القتل المنسوبة الى الادمان الشديد للكوكايين.

ودأب رئيس شرطة مقاطعة كولومبيا الرائد سيلفستر، على تحذير الكونغرس من مفاعيل الكوكايين الرهيبة. قال: "إن عادة تعاطي الكوكايين هي الخطر الأبرز الذي يتهدد مجتمعنا، لأن الضحايا هم عادة أشرار وفاسدون أخلاقياً. والمخدر ينزع بالناس الى ارتكاب الجرائم." وقد حدا هذا الخوف الكونغرس على اصدار قانون في العام ١٩٠٦ يقيِّد البيع المشروع للمخدر في العاصمة.

في تلك الاثناء أعرب إليهو روت، وزير الخارجية الامريكي في عهد الرئيس السابق ثيودور روزفلت، عن أمله - كما يفعل بعض مسؤولي واشنطن اليوم - أن يتمكن من معالجة معضلة المخدرات في

الولايات المتحدة باتلاف محاصيل الخشخاش وحقول الكوكا في الخارج. لكن روت أيقن أن الشعب الذي يقود مثل هذه الحملة الأخلاقية العالمية يجب أن تكون له قوانينه المثالية لمكافحة المخدرات.

وفي العام ١٩١٠ قدم الرئيس الأمريكي وليم هاورد تافت الى الكونغرس تقريراً عن المخدرات أعدته وزارة الخارجية. وغدا الكوكايين، رسمياً، عدو الشعب الرقم واحد. وجاء في التقرير: "إن إدمان الكوكايين يزيد أنياً من قوة المجرم، بحيث لا يتردد في القتل مقاوماً القبض عليه. وللكوكايين مفاعيل أكثر ترويعاً من المخدرات الأخرى المسببة للادمان الشائعة في الولايات المتحدة."

وعندما أقر الكونغرس في ديسمبر (كانون الاول) ١٩١٤ "قانون هاريسون" الذي أحكم ضبط توزيع المخدرات وبيعها، اعتبر تعاطي الكوكايين أمراً محظوراً.

(٣) هو تعديل دستوري اقر عام ١٩٢٠ وابطل عام ١٩٣٣.

وخلافا لقانون حظر صناعة المشروبات الكحولية وبيعها[٣] الذي لم يحظ باجماع واسع، قوبل حظر الكوكاكيين بدعم حماسي من معظم الأمريكيين الذين آمنوا بأن تعاطيه يشكل خطراً مهما بلغت الكمية المستهلكة. وما لبث الضغط المتواصل والخوف من العقوبة أن نجحا في دفع الكوكايين الى عالم الاجرام المستتر. وفي العام ١٩٥٠ بات الكوكايين يُعرَّف الى طلاب الطب على أنه مخدر كان يشكل خطراً في الولايات المتحدة.

أما الناس الذين عايشوا مرحلة وباء الكوكايين الاولى في الولايات المتحدة وعرفوا أن فورة المخدر وهم وضلال، فلقد كبروا وماتوا وولت معهم سمعة الكوكايين الرديئة. وباتت أمريكا في الستينات على أهبة مجدداً للانغماس في عالم هذا المخدر البالغ الاغراء والخطورة.

ديفيد ف. مستو ■

الكاتب طبيب واستاذ للطب النفساني وتاريخ الطب في جامعة ييل، وهو مؤلف "المرض الامريكي" عن تاريخ المخدرات في الولايات المتحدة.



الطاعة العاقلة

علِّم أولادك أن يسألوا لماذا يفعلون هذا العمل أو ذاك. فبذلك يعتادون اطاعة العقل، لا السلطة كما يفعل المحدودون، ولا العرف كما يفعل الحمقى.

س.ر.

يعني الاصغاء بالنسبة الى بعض الناس الانتظار بفارغ صبر الى أن تحين فرصة لاقحام عبارة: "هذا يذكرني بـ..."

ا.ب.

كتاب الشهر

جواسيس ... الكمبيوتر

بقلم لورنس اليوت

جواسيس الكمبيوتر..

تشكّل اللغز باكتشاف مدير أنظمة الدماغ الالكتروني في مختبر لورنس بيركلي رسماً غير معلل بقيمة ٧٥ سنتاً مسجلا كأجر لاستخدام الدماغ الالكتروني.

يبدو أن أحدهم يدبر شراً ما ولكن من يكون هذا المتطفل؟ وما قصده؟ وما لبثت قائمة اكتشافات ستول أن ضمت بعض المفاجآت. فمكتب التحقيقات الاتحادي (FBI) لم يبد اهتماماً، ووكالة الاستخبارات المركزية (CIA) توقعت أن يخوض ستول الحرب بمفرده، وهو بلغ منه الغضب مبلغاً جعله مستعداً لذلك

ذات يوم خميس من شهر أغسطس (آب) ١٩٨٦ بدأ كليفورد ستول عمله كمدير أنظمة في الدماغ الالكتروني (الكمبيوتر) في مختبر لورنس بيركلي على الخليج قبالة مدينة سان فرنسيسكو في كاليفورنيا. ويوم الجمعة وضع زميله ديف كليفلاند على طاولته مسألة مستعصية هي فرق في الحسابات مقداره ٧٥ سنتاً. ومن علياء أقدميته في العمل خاطبه قائلا: "حلّها أيها العبقري، وأدهش الجميع."

ILLUSTRATIONS: JEAN RESTIVO PHOTOS: QUICK MAGAZINE

لم يكن ستول، العالم الفلكي الحائز شهادة دكتوراه في علم الكواكب، ليشعر بأي عبقرية في ذلك الوقت. فليس من عادة العباقرة أن يدّعوا المنح المقدمة اليهم تنفد من دون اتخاذ تدابير احتياطية تضمن لهم مورد رزق مستمراً. وهو كان أمضى سنتين منهمكاً في تصميم عدسات مقرابية (تلسكوبية). وقبل أسبوع واحد نفد آخر دولار من منحته ووجد نفسه فجأة من دون عمل. ولكن لحسن الطالع عرض عليه مديرو المختبر وظيفة مدير أنظمة ضناً بمهارته في الدماغ الالكتروني وحرصاً منهم على ألا يخسروا باحثاً موهوباً. صحيح أن العمل لم يكن في مجال علم الفلك، لكنه يقيه الوقوف في طوابير العاطلين عن العمل منتظراً دوره لتلقي رغيفه اليومي. وها هو الآن في مكتب في الطبقة السفلى في مركز للدماغ الالكتروني يبحث عن إبرة قيمتها ٧٥ سنتاً في كومة قش.

كان في مختبر بيركلي اثنا عشر دماغاً الكترونياً رئيسياً يشرف عليها ستول مع مديرَيْن سواه، وهي في تصرف أكثر من ألف عامل وباحث. وتعمل تلك الادمغة ليل نهار لحل مسائل في الفيزياء ولتبادل المعلومات. ولكل شخص حساب خاص، وتتولى الادمغة ذاتها تسجيل الوقت وتحسبه حتى أجزاء من الثانية، ثم ترسل الفواتيز الى الدوائر المعنية. اذاً لا مجال لاي خطأ. لكن السجلات تظهر فرقاً في الحساب مقداره ٧٥ سنتاً.

"وماذا يهمّ في ذلك؟" هذا ما كان ليقوله أي موظف عادي، ثم ينتقل الى مسألة حقيقية. لكن كليف ستول، الشاب الناحل القوي البنية ابن السادسة والثلاثين، ذا الرأس العبقري الرياضي الذي يغطيه شعر كثيف كالأسلاك، لم يكن مجرّد مشغّل للادمغة الالكترونية ممن تلتقيهم كل يوم، بل كان عالماً وكان عنيداً. وبعدما تفحص النظام مدّة كافية ليفهم الطريقة التي تتم بها عملية الحساب، تمكن من اقتفاء الـ٧٥ سنتاً المفقودة كأنها مذنّب محيِّر في الفضاء.

ومع حلول المساء انتهى ستول من تدوين برامج اختبار للتحقق من عدم وجود أخطاء في سجلات المختبر المحفوظة في الدماغ الالكتروني. وبعد ذلك أخذ يقارن الفواتير بقائمة الاشخاص المرخّص لهم استخدام الآلات، وما لبث أن عثر على ضالته إذ وجد حساباً فُتح حديثاً لشخص اسمه هنتر. ولم يكن الحساب يحمل عنواناً لتلقي الفواتير وتحصيلها. وكان هنتر هذا استخدم الدماغ الالكتروني وقتاً قيمته ٧٥ سنتاً. صحيح أنه مبلغ لا يستأهل التدوين، لكن الحساب لم يسدَّد.

ثم برزت مشكلة غير متوقعة. فعندما قدّم ستول تقريره في الصباح التالي مسجلاً نصره الصغير، أفاده مديرا الانظمة الآخران ان لا حساب لأي شخص اسمه هنتر.

وحمل يوم الاثنين لغزاً آخر، إذ أرسل الدماغ الالكتروني "دوكماستر" في ولاية ميريلاند شكوى مفادها أن شخصاً من مختبر لورنس بيركلي حاول في نهاية الاسبوع

أن يغزو مخزن المعلومات في "دوكماستر." وخلفت الشكوى عيوناً ازدادت اتساعاً عندما تبين أن "دوكماستر" هو ملك "مركز الكمبيوتر للامن الوطني" التابع لحكومة الولايات المتحدة والواقع خارج مدينة بالتيمور.

رجع ستول الى الملفات التي أظهرت أن شخصاً واحداً فقط من الذين يستخدمون الدماغ الالكتروني، وحسابه باسم "سفنتك"، قد سُجِّل في الساعة ٨،٣٠ من صباح يوم السبت، وهو التوقيت نفسه الذي سجِّل فيه "دوكماستر" محاولة الاقتحام. لكن جو سفنتك، الذي يذكره الجميع مبرمجاً ماهراً، غادر البلاد الى بريطانيا قبل زمن طويل، وحسابه في سبات منذ سنة.

اقترح ستول تفسيراً: "لعله وصل الى هنا من طريق شبكة أخرى ثم اتصل بدوكماستر من هنا."

هزّ ديف كليفلاند رأسه وقال: "جو سفنتك لا يقتحم أدمغة سواه. ولكن إن هو نوى ذلك فلن يسع أحداً أن يقتفي أثرَه."

من اذاً؟ ولماذا؟ سؤالان مقلقان حملهما ستول الى البيت وعرضهما على مارثا ماثيوز وهي طالبة حقوق في جامعة كاليفورنيا في بيركلي. وهي اضافت اليهما سؤالين آخرين: هل يحاول أحدهم التسلل الى الادمغة تهرباً من الدفع؟ أو لعله طالب مغرور في جامعة كاليفورنيا يلهو بالادمغة؟

ثم سألته: "لماذا لا تشطب اسمي هنتر وسفنتك من قائمة أسماء الاشخاص المرخص لهم استخدام الادمغة الالكترونية؟ وإذا جاءا يشتكيان فيمكنك عندئذ أن تطرح عليهما بضعة أسئلة."

فرد كليف: "سأفعل ذلك." لكنه علم في تلك اللحظة أن الامر لن يكون بتلك السهولة.

■ مسألة ثقة ■

كان كليفورد ستول شاباً وجودياً متمرداً، لا يزال متمسكاً ببزة بيركلي المميزة من سروال الجينز والحذاء القماشي الخفيف والقميص القطني. وفي ما عدا براعته الفائقة بالادمغة الالكترونية، لم يكن في حياته شيء يؤهله للمحنة التي كانت في انتظاره أو يفسِّر تلك الشراسة التي أبداها في الاندفاع لمطاردة ذلك الدخيل المتطفل المجهول عبر جميع الشبكات الالكترونية المتقاطعة في العالم.

نشأ كليف في بافالو بولاية نيويورك. وكان في الثانية عشرة من عمره عندما وضع أول برنامج صممه للدماغ الالكتروني، الحقل الذي ظلّ مفتوناً به، وإن أصبح علم الفلك في ما بعد غرامه الابدي مشاطرةً مع مارثا ماثيوز التي هام بها منذ التقيا حين كان يحضِّر لنيل درجة الدكتوراه في جامعة أريزونا. وهما أمضيا معاً اوقاتاً ممتعة

يستكشفان الكهوف ويتسلقان الجبال. وعندما توجهت مارثا شرقاً لمتابعة دراستها الجامعية، قبل كليف منصب عالم زائر في مرصد "الجبل البنفسجي" في نانجينغ بالصين. وظل هناك نحو سنة وعمل على إتقان اللغة الصينية. في وقت لاحق انتقل الاثنان الى بيركلي حيث شرعت مارثا في التدرب على الايكيدو، أحد الفنون القتالية اليابانية، وكانت في الوقت ذاته تحضّر لنيل درجة في الحقوق ودكتوراه في فلسفة القانون.

عاش الاثنان حياة هادئة يزرعان شتول الفراولة (الفريز) في حديقة منزل صغير في أوكلاند ويركبان الدراجة الهوائية الى العمل والى الجامعة (لم يقتنِ كليف سيارة في حياته) ويتسليان أحياناً بجمع قطع قماش صغيرة لصنع لحاف أو فراش، وبتلوين زجاج النوافذ.

ثم جاء المتطفّل رامياً ظلّه فوق ذلك النمط المشمس من الحياة.

شعر ستول بقلق إزاء ما هو حاصل داخل الدماغ الالكتروني. لماذا هو قلق؟ انه لا يعتبر نفسه بطلا في نصرة القانون والنظام. وفي أي حال، لماذا يُعتبر العبث بمخازن المعلومات أمراً مستنكراً الى ذلك الحد؟ الا يعقل أن يعبث هو نفسه بالمعلومات في زمن آخر؟ هل الامر أخطر من مجرّد مزحة؟ أوَليس محتملا أن أحد مهووسي الدماغ الالكتروني يمدّ لسانه ازدراء وسخرية؟

إلا ان ستول كان في قرارته يعرف الجواب. فاقتحام دماغ الكتروني يخص الآخرين خطأ غير مقبول.

حسناً، لماذا إذاً لا يجبه الشخص المعني مباشرة، فيوجه الى ذلك "الشبح" رسالة على الشاشة تطالعه ما أن يتسلل الى الجهاز في المرة المقبلة، من نوع: "هاي، أنت! أخرج من جهازي والا استدعيت الشرطة!" تلك هي الطريقة الوحيدة للاتصال به. لكن في وسعه أن يختفي قبل أن يتسنى لمهدِّده رفع سماعة الهاتف، ليعود من جهة مختلفة ويظهر متنكراً بزي آخر وفي أيّ وقت يشاء.

يجنح الناس الى الاعتقاد أن الادمغة الالكترونية آلات معزولة تعمل وحدها. والحقيقة أن بعضها فعلا كذلك، مثل أجهزة الكمبيوتر الشخصي التي لا صلة لها بالخارج وهي مثل كوخ في الغابة يختبىء فيه صاحبه متى شاء. ولكن، مثلما هي معظم المنازل في مجتمع ما متصلة بعضها بالبعض الآخر بواسطة شوارع وسكك حديد وأسلاك هاتف وكهرباء، كذلك هي الادمغة الالكترونية التي تتبادل المعلومات، إذ انها هي أيضاً جزء من مجتمع، فهي شبكة محلية أو وطنية أو عالمية، متصل بعضها بالبعض الآخر بوصلات هاتفية.

وهذه الادمغة شبيهة بشبكة طرق عامة إلكترونية تحمل ملايين الرسائل الى أنحاء العالم، فتصل أسواقاً دولية بالباحثين عن المعلومات وبالمساهمين في أقطار العالم من

علماء وباحثين وكتّاب ورجال أعمال وبحّاثة وحكوميين وصناعيين وعسكريين. وفي وسع هؤلاء، في سوق المعرفة هذه، أن يعرضوا ما يبغون وأن يحتفظوا بما يحتاجون اليه وأن يأخذوا ما هو متوافر ومتاح، ومن ثم يعودون الى أجهزتهم ليختزنوا فيها – بما يعتقدونه سرّية تامة – كل تفاصيل خططهم ومشاريعهم ومسار أعمالهم.

ان شبكات الادمغة الالكترونية ابداع أفرزه العصر الالكتروني. لكنها ترتكز على الثقة العتيقة التي يستحيل العمل من دونها. ووغد فالت في هذه الادمغة هو أسوأ من لصّ ينهب أدراجك، إذ ان في وسعه، ليس فقط أن يسرق أسرارك وينقل افكارك، بل أن يتسلل اليك بصمت ليدمر – أو يبدل – المعلومات التي ربما أمضيت سنوات في جمعها. كما يمكنه أن يختفي من دون أن يترك أي أثر خارجي يشهد على الأذى الذي ألحقه.

ذلك ما عذّب كليف ستول اكثر من سواه. ففي هذه المرحلة لم يكن يعرف شيئاً عن خصمه، لا مَنْ يكون ولا أين هو ولا ماذا يدبر. لكن ستول شعر تجاهه بالاحتقار قبل أن يراه لاعتدائه على الثقة المتبادلة الذي ترتكز عليها شبكات الادمغة الالكترونية. وعندما أعلَم كليف السلطات قيل له أن يحرم ذلك المتطفل التسلّل ثانية، وهذا يمكن تحقيقه باجراء تغييرات تتناول الاسماء وكلمات السر. لكن كليف لم يعتبر ذلك التدبير حلاً.

قال: "لقد اعتبروا أن الأمر لا يتعدى سرقة ٧٥ سنتاً، فيما أنا اعتبرته ارهاباً الكترونياً. نعم، يمكننا أن نحرم ذلك الشخص متابعة التسلل، ولكن لن يسعنا عندئذ أن نعرف من هو، وسوف يظل حراً طليقاً قادراً على اقتحام أي دماغ آخر يجهل أصحابه كيف يمنعونه من الدخول." وشبّه ستول هذا الاسلوب بموقف المواطن الذي يدير ظهره لعملية سطو زاعماً أن الأمر لا يعنيه.

لكن كليف ستول قرّر أن الأمر يعنيه. وطلب من رؤسائه في العمل فرصة لضبط الوغد متلبساً بالجرم، والتشهير به. وهم منحوه ثلاثة أسابيع.

"هات الدليل"

"التسلل" هو التعبير المعتمد في عصرنا الالكتروني للاشارة الى عمليات اقتحام الادمغة الالكترونية. ويحتل التسلل حيّزاً متنامياً من أخبار الصحف. فمن تخريب متعمّد لسجلات الجامعات بفعل فتيان أذكياء وأشقياء، الى مزحات تطاول أنظمة يُفترض أنها محروسة جيداً. هذه أمور لا تثير ضحك الذين يدركون الى أي مدى أصبح الدماغ الالكتروني يدير حياة البشر في نهاية القرن العشرين، بل يدركون أيضاً أن كارثة تنتظر على الابواب:

موظف سابق في شركة للتأمين، وقد ساءه تسريحه، يقدم على محو معلومات في ملفات جداول الأجور.

تلميذ يرسل "فيروساً"، أي أمراً سرياً هدّاماً، عبر شبكة ذات نطاق وطني. ويتناسخ "الفيروس" بسرعة معطّلا الشبكة برمّتها، بما فيها ألوف الاجهزة العائدة الى مصالح جامعية وتجارية وحكومية.


مثل هذه الحوادث حصلت فعلا. ويلوح الآن في الافق احتمال استخدام الارهاب بواسطة الدماغ الالكتروني. وما العبث بنظام ضبط الملاحة الجوية في مطار كثيف الحركة، أو قطع الخطوط الهاتفية في مدينة كبرى، سوى طريقتين سهلتين نسبياً لاشاعة الهلع بين الناس. ومع ذلك لم يتخذ أي من الحكومات أو المصالح التجارية تدابير كافية للتحصن ضد مثل تلك الهجمات. ومن أسباب ذلك أن خطط الدفاع باهظة الثمن. وهي الى ذلك تعيق الاتصال، والاتصال هو السبب الرئيسي لاستخدام الادمغة الالكترونية.

أما كلمات السر فيسهل اكتشافها، إذ "يحزرها" المتسللون أو يتبادلونها علناً عبر الشاشات الالكترونية، أو ينسخونها عن ملفات الاجهزة المخترَقة، أو يسرقونها من مركز العمل حيث تعلَّق غالباً على الجدار بالقرب من الجهاز. والى ذلك، فان كل كلمة سرّ جديدة تَعِدُ المتسلل بتوسيع متناوَله، اذ ان أعداداً كبيرة من الادمغة الالكترونية متصلة بشبكات مبرمجة على نحو يجعل كل جهاز يثق بالآخر. فالشخص الذي هو موضع ثقة احد الادمغة، هو تلقائياً موضع ثقة أدمغة أخرى.

ولم يكن موضوع الامن يحظى باهتمام كبير في مختبر بيركلي. فإلى كون المختبر لا يختزن معلومات سرية، فإنه لمن دواعي سرور العلماء - كما يقول ستول - أن يطلع الناس على نتائج أبحاثهم ويقرأوها. فما الضير إذاً إن اخترق أحدهم الاجهزة؟ وهذا من دون شك، أمر متيسر، إذ كان العلماء الزائرون يُعطون حسابات خاصة بالضيوف وكلمات سر مثل "لورنس" أو "بيركلي" أو اسم الشخص نفسه. وبديهي أن ذلك لن يرهب حتى فتى في الثانية عشرة من عمره يتمتع بومضة من خيال.

ولكن ماذا لو رغب أحد الدخلاء في أكثر من مجرد فرصة لقراءة الملفات العامة؟ ماذا لو كان يسعى الى أفضليات وامتيازات استثنائية مثل تلك المعطاة لمدير الانظمة مثلا؟

يمكن تشبيه مدير أنظمة الدماغ الالكتروني بقيِّم على بناء سكني، حيث الشقق مفصولة الواحدة عن الأخرى بجدران، وثمة أقفال في الابواب تؤمن السرِّية. ولكن إذا تسرّبت المياه من قساطل إحدى الشقق في غياب صاحبها، ففي وسع الناظر إصلاح العطل لان في حوزته مفتاحاً خاصاً يؤمن له دخول الشقة عند الاقتضاء. وبالمبدأ عينه، فإن اشتراك ألف شخص في شبكة واحدة يحد من حرية العمل بكلمة السر الافرادية، إذ ينبغي أن يكون بين المشتركين شخص يمكنه تخطي تدابير الحماية المفروضة ودخول الشبكة عند الضرورة، فيبدّل قرصاً ما أو يجد ملفاً ضائعاً في



الفراغ الالكتروني. ذلك الشخص هو مدير الانظمة. ومثل ناظر البناية ينبغي أن يكون موضع ثقة.

ماذا لو أن متسللا راح يفلّي النظام على نحو مشبوه بحثا عن الطريقة التي تمنحه مثل تلك الامتيازات. وإن هو اكتشفها، أصبح بمقدوره أن يطلع على "البريد" الالكتروني لأي مشترك وأن يضيف اليه أو يعدل فيه أو يشوهه أو يحذف منه ما حلا له، وبين يديه نحو ٥٠٠ ألف صفحة من المعلومات المختزنة في ذاكرة الدماغ الالكتروني. وسيتاح له أيضاً أن يتحكم بالنظام كله عبر تلقيم البرامج تعليماته الخاصة، كذلك أن يعطل الدماغ الالكتروني متى شاء من غير أن يستطيع أحد أن يوقفه عند حده. وبعد كل ذلك، يمكنه أن يبرمج الدماغ على نحو يمحو أي دليل أو بيّنة على أنه "مر من هنا."

هل هذا ما يحدث الآن في الدماغ الالكتروني الذي يديره ستول؟ لم يكن الرجل يملك الجواب عن هذا السؤال.

يوم الاربعاء قصد ستول رئيس القسم ليروي كيرث. فهزأ به هذا وقال: "إنك لست متأكداً من أن غريباً تسلل الى هنا فعلا. تابع بحثك وعد الي بدليل."

يوم الخميس دخل سفنتك الخط مرة أخرى، وما لبث أن اختفى بعد دقيقة واحدة، لكنه خلف آثاراً. فالطرف الذي اتصل منه أثبت أنه يستخدم "مودم" وهي آلة ترسل بيانات الدماغ الالكتروني عبر خط هاتفي بتحويل الموجات الالكترونية أصواتاً. ربما لم



يكن ذلك الشخص جو سفنتك ذاته، لكن أحدهم في الخارج يستخدم حسابه مدخلا الى المختبر ليقيم نقطة انطلاق مشروعة يتوغل منها في الشبكات.

يوم الجمعة توقف ستول عن التظاهر بالعمل في وظيفته الحقيقية وسلّط كل انتباهه على الدخيل. وهو صرف النهار كلّه يجهّز سلسلة من ٥٠ مرقاباً وآلة طابعة جمع معظمها من المكاتب التي تفرغ عندما يُخلى المختبر، وتبرع ببعضها موظفون أذهلهم عمله. ووزع ستول الآلات والمراقيب، واحدة على كل خط من خطوط الاستقبال الهاتفية.

وهو قال: "سيكون الثمن باهظاً يوم الاثنين، لكن الاعتذار أسهل من الحصول على إذن. ولدي عطلة نهاية الاسبوع بكاملها."

هكذا أصبح الوضع مقلوبا، وبات كليف قادراً على تتبّع جميع تحركات المتسلل متى عاد، ومن دون أن يراه هذا أو يشعر به. وفي الحادية عشرة مساء ودّع مارثا وامتطى دراجته صعوداً الى المختبر.

في المختبر، تكوَّر ستول على الأرض وسط الضجيج والازيز وحاول أن يغفو. وانحشرت قدماه في غابة من الشاشات والآلات الطابعة التي دبَّت الحياة في اثنتين منها فراحتا تومضان وتقرقعان كلما أدار أحدهم قرصا بغية دخول النظام. وكان الورق ينفد من كل واحدة بدورها في فترات متقاربة على نحو مغيظ، فتروح تزعق معلنة النبأ الخطير، فيضطر كليف الى النهوض والسير متعثراً بين الاسلاك المتشابكة كي يلقم الآلة ويسكتها.

وفي الصباح التالي تبيّن أن إحدى الالتين سحبت حوالى ٢٥ متراً من الورق وطبعت عليه، بأمانة وإخلاص، جميع الاوامر الصادرة عن لوحة المفاتيح الرئيسية التي يستخدمها المتسلل، كذلك الاستجابات الصادرة عن الدماغ الالكتروني الذي يشرف عليه ستول. واتضح أن أحدهم استغل وجود هنة صغيرة في البرنامج وتمكن من سرقة امتيازات استثنائية، وأمضى ثلاث ساعات يجوس في نظام مختبر لورنس بيركلي.

▪ أورمل وهاغبارد ▪

اسمه الحقيقي ماركوس هيس، و"أورمل" اسمه المستعار عندما يقتحم الشبكة. بلغ الرابعة والعشرين من عمره في ذاك الصيف (١٩٨٦) وقطع دراسته الجامعية ليعمل مبرمجاً للدماغ الالكتروني في مدينة هانوفر شمال ألمانيا.

عمله، مثل دراسته من قبل، لا يثير اهتمامه. إنه يعيش لليالي التسلل. يجلس في الوهج المتألق المنبعث من المرقاب أمامه ويروح يضرب على الآلة رموز دخول غير مرخّص لها وأخرى ملفقة تتيح له حرية التجول في أنحاء العالم من خلال اختراق

الادمغة الالكترونية في ألمانيا الغربية وفرنسا والولايات المتحدة واليابان وبلدان أخرى.

في ليلة مثل تلك يكون هيس في شقة مستأجرة في غلوكسيستراس مؤلفة من غرفتين فُرشتا كيفما اتفق باستثناء دماغ الكتروني هو قطعة الأثاث الوحيدة القيِّمة. وحول الجهاز أوراق دونت عليها لوائح بكلمات سر وأسماء أصحاب حسابات. وحوله أيضاً كتيِّبات تقنية وغلافات سكاكر وأكواب متسخة ومنفضة ضاقت بأعقاب السجائر المسحوقة من ماركة "بنسن اند هدجز." ولا يضيء المكان سوى طيف نور منبعث من شاشة الدماغ الالكتروني، تتراقص فيه سحب دخان السجائر ناشرة في الجو رائحة كريهة.

أقام هيس صداقة مع مهووس آخر بالادمغة الالكترونية عمره ٢١ عاماً واسمه كارل كوك لكنه يفضل أن يُدعى هاغبارد. ويتناوب الصديقان الجلوس أمام لوحة المفاتيح يعملان فيها نقراً وضرباً ويعرضان على المرقاب مواكب الحروف والارقام. وهما لا ينفكان يتنقلان بين الشبكات لاختراق "بنوك" أخرى للمعلومات والتسلل اليها. تمرّ الساعات مسرعة فلا يشعران بها. وها قد انتصف الليل وهما أمام الجهاز منذ العصر، يخالان الساعات دقائق. عالمهما الحقيقي الآن هو عالم الضوء والظلال ذاك وارض المعركة تلك، حيث جاءا ليبزّا أصحاب السطوة والسلطان دهاء وحيلة.

وفي ما خلا ادمانهما لليالي التسلل، لا تجمع الصديقين صفة مشتركة أخرى. بل انهما شديدا الاختلاف. ولقد درج هيس منذ أكثر من سنة على التنقل بين دوائر المتسللين، كما انه يحضر أحيانا اجتماعات "نادي فوضى الكمبيوتر"[١] ومركزه مدينة هامبورغ. وهذا النادي ملتقى للمتسللين الذين يشتركون في أنهم جميعهم من أصحاب البراعة التقنية الفائقة ومن المؤمنين بأن لأي انسان الحق في أن يغزو مراكز المعلومات التي تخص أي جهة. وفي عالم المتسللين هذا اكتسب هيس نجومية خاصة بفضل مثابرته. وهو اشتهر بولعه باختراق الادمغة الالكترونية العائدة الى القوات العسكرية.

وعلى نقيض هيس، لم يكن كوك ماهراً في البرمجة. لكن موهبته الطبيعية في استخراج كلمة السر الصحيحة من اللاشيء تتيح له اختراق خطوط الدفاع المعتمدة.

وكان هيس ممتلىء الجسم محباً للابهة وابن عائلة ألمانية ميسورة. أما كوك فكان عاطلا عن العمل وغارقاً في الديون. وكان فوضوياً ثائرا وكتلة من الاعصاب. توفيت والدته وهو في العاشرة من عمره وتبعها والده بعد ثمانية أعوام. وكان والده صحافياً معروفا، وتكفيراً عن اهماله اياه طوال سنوات نموّه، ترك له مبلغ ٥٠ ألف دولار. لكن المبلغ نفد قبل زمن بعيد. وهو أنفقه على شراء معدات الكترونية وعلى فواتير

(١) Chaos Computer Club

الاتصالات الهاتفية التي بلغت أحياناً الف دولار في الشهر (وهذا ما يكلّفه التسلل الجديّ) وعلى المخدرات. وهو حاليا مدمن كوكايين وقد تدرّج اليه عبر الماريوانا والـ«LSD» .

يفضّل كوك دائماً اسم هاغبارد. ويجنح به الخيال تحت وطأة الكوكايين الذي يتعاطاه، فيتقمص شخصية هاغبارد فعلاً. وهاغبارد هذا هو بطل سلسلة كتب "إلوميناتي" ذات المحتوى الخيالي – العلمي الذي يدور غالباً حول الخير والشر. والسلسلة مفعمة بالرموز والتلميحات الغامضة والارقام السحرية. وهاجس كوك هو الرقم ٢٣ الذي تعبّر عنه شارة النصر المرسومة برفع السبابة والاصبع الوسطى فيما الاصابع الثلاث الباقية مطوية. وهو يرمز في نظره الى ثنائية الخير والشر.

وهاغبارد الذي لا يهاب شيئاً يشنّ حرباً على جماعة "إلوميناتي" ذوي القلوب السوداء المتورطين في مؤامرات دولية هدفها استعباد الروح البشرية. وكوك، مثله، مجنّد في حرب يشنها على أسياد الادمغة الالكترونية، أولئك الذين يخنقون تدفّق المعلومات بإيصاد أبواب مخازنها بواسطة كلمات سرية ورموز تحظر الولوج. وهكذا يخفون الحقيقة عن الناس.

البحث عن شيء ضخم

في نهاية العام ١٩٨٦ تعرف كوك الى مهووس آخر بالادمغة الالكترونية اسمه هانس هوبنر وعمره ١٧ سنة. وكان هذا معروفاً في أوساط "نادي فوضى الكمبيوتر" كمبرمج باهر. وكان كوك في ذلك الوقت منهمكاً في نشاطات "المركز ٥١١" في النادي. والرقم ٥١١ هو في الوقت ذاته الرمز الهاتفي لمنطقة هانوفر في شمال ألمانيا الغربية. لكن مهمة كوك في المركز لم تكن تتطلب منه أكثر من بضعة اجتماعات في مقهى محلي، وبعض ليالي التسلل الطويلة في شقق مختلفة.

وما لبث المتسللان أن تعرفا الى ألمانيين يكبرانهما سناً هما ديرك برزنسكي وبيتر كارل.

كان برزنسكي آنذاك في السادسة والعشرين من عمره وصاحب طبع شرير. وعرف عنه انه في سورة غضبه يكسر أي زجاج تقع عليه يداه. لكنه كان مبرمجا مبدعا يجني أكثر من ١٠٠ دولار في الساعة من عمله خبيراً في تحديد مواطن الخلل في الاجهزة في عدد من الشركات، بينها شركة "سيمنز" الكهربائية العملاقة. وكان المال يختفي حال وروده، ينفقه برزنسكي على سيارات السباق وعلى مجموعة واسعة من المخدرات. وهو سُمع يقول بقناعة انه لا يخشى أن يصبح مدمناً، لانه يتعاطى أصنافاً عدة من المخدرات. أما بيتر كارل فكان في السابعة والثلاثين وقد عمل مديراً في ناد ليلي في هامبورغ. ومنذ خسر برزنسكي اجازة السَوْق على اثر مطاردة الشرطة اياه لسرعته

الفائقة، تولى كارل القيادة. وهو لم يكن يعرف شيئاً عن الادمغة الالكترونية. وكان يحمل مسدساً.

في أوائل العام ١٩٨٦، بعد تبدد المال الذي ورثه كوك وإدمانه الكوكايين الذي كان يكلّفه ٣٠٠ دولار في الاسبوع، بدأ يسأل علناً كيف يمكنه أن يسخر موهبته في التسلل لكسب المال.

وذات يوم من شهر سبتمبر (أيلول) إتصل كارل بوفد تجاري سوفييتي في برلين الشرقية. وهناك التقى رجلا أنيق الملبس لم يعرف عنه سوى أن اسمه سيرج وانه مع الـ«KGB» (وكالة الاستخبارات السوفييتية). حمل اليه كارل في اجتماعهما الثاني حقيبة مليئة ببيانات مسروقة من قواعد عسكرية غربية ومراكز أبحاث وصناعة. وهو أراد بذلك أن يريه عينة مما يمكن تحقيقه من طريق الخبرات التقنية. ذلك ما أرادت جماعة هانوفر أن تبيعه، وذلك ما عرضته: قائمة بأدمغة الكترونية يفترض أنها مصونة من الاختراق وموزعة في مجالات حساسة جداً. انها نوع من "افتح يا سمسم" تستجيب له مراكز المعلومات في الغرب. وهم طلبوا في مقابل ذلك كله مبلغ ٥٠٠ ألف دولار.

هز سيرج رأسه نفياً. فرؤساؤه يفضلون أن تستمر الجماعة في تدبُّر المعلومات وتسليمه اياها. وقال وهو ينقر على الحقيبة ان رؤساءه سوف يقوِّمون ما في داخلها وانهم يهتمون كثيراً بالمعلومات المجموعة من بنوك المعلومات العائدة الى السلطات والاجهزة العسكرية في الولايات المتحدة، وخصوصاً تلك المتعلقة بالبرامج الغربية لإنتاج "المنسِّقة المصغَّرة"[٢]، تلك الرقاقة الالكترونية الموجودة في قلب كل دماغ الكتروني.

وفي اللقاء الثالث اجتمع كارل بسيرج في مكاتب شركة "ماتا نوفيس" التجارية حيث سلمه هذا ظرفاً يحتوي على ١٠ آلاف دولار "دفعة أولى" على حدّ تعبيره.

وهو أضاف: "أتحفونا بشيء كبير."

هكذا بدأت "عملية المسوّي"[٣] الاسم الذي أطلقه المتسللون على عمليتهم مع سيرج. ومنذ ذلك الحين بات كارل يعبر بانتظام حاجز فريدركستراس بين برلين الغربية وبرلين الشرقية من دون أن يرتاب في أمره حراس الحدود في برلين الشرقية. وهو كان يسلّم أقراص المعلومات[٤] ويعود حاملا ماركات ألمانية. صحيح أن ما قبضه المتسللون لم يكن ليكفي تسديد فواتير الاتصالات الهاتفية، إلا أنهم كانوا كل مرة يوعدون بمبالغ أكبر كثيراً، وهذا ما حملهم على مواصلة البحث.

---

(٢) Microprocessor

(٣) Operation Equalizer

(٤) Data disks

وهكذا، في احدى ليالي سبتمبر (أيلول)، يجلس أورمل وهاغبارد في شقة هيس ويجوبان القارات أملا بالعثور على شيء ما يجعل وكالة الاستخبارات السوفييتية تفتح كيس النقود. يبدأان باجراء اتصال محلي بجامعة برمن، ومنها يتصلان بمؤسسة "داتكس ب" الشبكة الدولية للادمغة الالكترونية في ألمانيا الغربية. ومن ثم يتصلان بشبكة "تيمنت" التي تضم أدمغة الكترونية موزعة في أقطار العالم. والحقيقة أن في قدرة اي كان أن يفعل ذلك، لأن أرقام الاتصال بالشبكتين مدرجة في الدليل العام. ولمَ لا؟ فتسهيل تبادل المعلومات هو سبب وجود "تيمنت." أما الخطوة التالية ففائقة السهولة. انهما يستخدمان حساب سفنتك القديم الذي استوليا عليه مستغلين بعض العيوب في نظام الحماية. ويتمكنان في النهاية من التسلل الى مختبر لورنس بيركلي.

تعقُّب الدخيل

زيارة المتسللين هذه خاطفة. فهما حصلا في "زيارة" سابقة على أفضليات استثنائية. فمختبر لورنس بيركلي ليس هدفاً سهلا فحسب، بل هو أيضا مدخل مثالي متصل بعشرات الشبكات. والشبكة التي يستكشفانها هذه الليلة هي شبكة "ميلنت" التي تملكها وزارة الدفاع الامريكية. انهما يقفزان من قواعد الجيش الى القوات الجوية الى مراسي السفن الى متعهدي الدفاع الى مواقع الصواريخ. إنهما كمن يختبر مقابض الابواب في شارع مظلم. الابواب موصدة ولا ينجح أي منهما في اكتشاف كلمة السر. وفي محاولات عدة يصدّهما النظام. لكنهما لا ييأسان، فأمامهما أهداف مختلفة. وفي حوزتهما كلمات سر كثيرة.

ينقضي الليل. يغفوان قليلا ثم يعاودان العمل. ينقران، يتلمسان، يديران "مقابض الابواب"، ويتصلان بـ"ميلنت." يطلب المرقاب كلمة السر. يحاول هيس أن يتذكر الكلمة التي استخدمها في المرة الاولى عندما استولى على الصلاحيات الاستثنائية. يحدّق الى علبة السجائر ثم يطبع كلمة "بنسن."

وتنبئه الشاشة: "ليست هذه كلمة السر. حاول ثانية."

يطبع كلمة "هدجز."

ثمة توقف بسيط، فالدماغ البعيد يفتش في ذاكرته. انهما منحنيان أمام الجهاز وعيونهما مسمّرة على الشاشة. يختفي العرض الأول وتحلّ عبارة "أهلا بكم في مستودع أنيستون للجيش في مدينة أنيستون بولاية ألاباما."

•

غداة اقتحامْ مركز المعلومات في مختبر لورنس بيركلي، فتح ستول سجلا يدوّن فيه اقتحامات المتسلل واستجابات المختبر لها.

أظهر السجل الثغرة التي استغلها المتسلل في المجال المحظور المخصص لمدير الانظمة، حيث تنص التعليمات صراحة: "امنح هذا الشخص امتيازات استثنائية فائقة." ولم يكن الجهاز الا ليذعن لها، هي الصادرة عن "الرئيس الكبير." ولم يكن الرئيس الفعلي في الساعات الثلاث التي تلت سوى المتسلل.

كان المتسلل ينظر خلفه باستمرار ليتأكد من أنه غير مراقب. وهو بدأ عمله بكتابة برنامج يتيح له قراءة كل البريد الوارد. وضمّن البرنامج تعليمات تقضي بالتحقق من كلمتي "حماية" و"متسلل" اللتين قد تعلمانه باكتشاف أمره. وكان بين الحين والآخر يطبع كلمة "من؟" فيجيبه الدماغ الالكتروني بقوائم تحمل أسماء جميع الداخلين على الخط في ذلك الوقت. وعندما عجز عن فهم اختبار علمي ينطوي على جمع معلومات وتسجيلها بانتظام، لم يتورع عن محوه متلفاً ثمرة أشهر من الجهد المضني.

وفيما البرنامج يعمل راح هو يطلب الملفات يميناً ويساراً كمن يدخل خلسة مكتباً خالياً ثم يروح يفتح خزائن الملفات الواحدة بعد الأخرى. وأظهر نمط تفتيشه أن جميع الكلمات الرئيسية التي استخدمها تتعلق بمواضيع عسكرية. فهو استخدم عبارات مثل "حق الدفاع الاستراتيجي" المعروف في وسائل الاعلام بـ"حرب النجوم" و«KH11» وهو قمر تجسس اصطناعي و«NORAD» وهو اسم "القيادة العامة للدفاع الفضائي - الجوي في أمريكا الشمالية" و"ريدستون" وهو صاروخ أرض - أرض.

ترى لماذا يبحث عن هذه الامور في مختبر لورنس بيركلي؟ أويكون الامر اختلط عليه فأخطأ بين مختبر بيركلي ومختبر ليفرمور الوطني الذي يبعد ٦٥ كيلومتراً ويتعاطى مشاريع سرية وذات توجه دفاعي وتتناول شؤون الليزر والذرة؟

ترى ماذا يبغي؟ وما الذي فعله ولم يكتشفه ستول بعد؟ أظهرت النشرة المطبوعة التي لفظها الدماغ الالكتروني المواد التي قرأها المتسلل وأخذ نسخاً عنها. وبينها قائمة بكلمات السر. ان في وسعه، وقد أصبح يملك أفضليات استثنائية، أن يفسد أي ملف في النظام المتبع في مختبر لورنس بيركلي، ويختفي من دون أن يخلف أي أثر يدل عليه. وفي وسعه أيضاً أن يزرع في النظام "فيروساً" يظل هامداً مدة أسبوع أو شهر أو سنة، قبل أن يتفجر ويلوّث المختبر كله، وبعد ذلك ينتقل الى الشبكات الأخرى فيتلفها.

قال ستول: "لم نعد نعرف هل نثق ببرنامجنا بعد الآن." والحقيقة أن الثقة كانت مستحيلة قبل معرفة ماذا فعل المتسلل. وهذا يقتضي معرفة ماذا يبغي ومن هو.

رجع ستول الى رئيسه ليروي كيرث طالباً أن يمنحه الضوء الاخضر. فقال له هذا: "أمسك به! ولا يهمني إن اقتضى ذلك ثلاثة أسابيع."

عمد ستول من فوره الى إقامة حراسة الكترونية. لن يحتاج هذه المرة الى ٥٠ مرقاباً وآلة طابعة. فدخول المتسلل مختبر لورنس بيركلي في المرات السابقة كان عبر

"تيمنت" المتصلة به عبر أربعة منافذ فقط. ولم ينقض النهار إلا وقد جمع ستول الاجهزة اللازمة بالاستعارة والتوسل.

يقتضي للامساك بالمتسلل تعقُبه الى لوحة المفاتيح التي يستخدمها. فلا يكفي أن يُعرف أنه كان هناك، أو أن يُعلم النبأ السيىء بالقراءة عنه بعد وقوع الضرر. وبات كليف يحمل جهاز تنبيه لاسلكياً لا يفارقه حتى حين ينام. وكان يكلفه ٢٠ دولاراً في الشهر رسم ايجار يدفعه من جيبه الخاص. وبرمج الدماغ الالكتروني بحيث يتصل بالمنبه حالماً يدخل المتسلل الشبكة، فيسرع ستول الى المختبر في اللحظة التالية.

قال ستول: "لطالما قيل لي ان ذلك سيحصل ذات يوم. وها قد حصل. لقد أصبحت أنا امتداداً لدماغي الالكتروني."

"عسكر وسرية"

بعد ظهر اليوم التالي انطلق من جهاز الاستقبال صوت حاد: لقد عاد سفنتك. وفيما الدخيل يتحقق من بقاء الثغرة التي جعلته مشتركاً استثنائياً، كان ستول المهتاج يتصل هاتفيا بجماعة "تيمنت" لكي يقتفوا الاتصال الصادر عن أحد المنافذ التي تربط شبكتهم بمختبر لورنس بيركلي.

لم يحملهم البحث بعيداً، إذ قادهم الى مكتب لهم في أوكلاند يبعد خمسة كيلومترات. ترى لماذا دخل المتسلل عبر شبكة وطنية ذات مراكز اتصال توسُّطية، في حين أن في أمكانه الاتصال بمختبر لورنس بيركلي مباشرة؟ انه، على حد تعبير ستول، "كمن يأخذ الطريق العامة التي تصل بين الولايات ليقود سيارته بضعة أمتار." وأضاف: "هذا الشخص خبير ويعرف كيف يختبىء. فاتصاله عبر تيمنت يضيف طبقة يتعيّن على متعقبه أن ينزعها."

اقتضت الخطوة التالية أمراً من المحكمة يجيز اقتفاء المكالمة الى الهاتف الذي أجريت منه، وذلك يقتضي مذكرة من أجهزة الشرطة، وفكر ستول في أن القضية تدخل ضمن صلاحيات "مكتب التحقيقات الاتحادي" (FBI) فاتصل بالمكتب. لكن المتكلم أجابه بصوت ينم عن شك كبير: "دعني استوعب الامر جيداً. إنك تتكلم عن ٧٥ سنتاً مفقودة، وتريد أن يجري الـFBI تحقيقاً؟" وأفهمه مكتب النيابة العامة في أوكلاند - وإن بدا أكثر تعاوناً - أن الأمر يستغرق وقتاً طويلاً.

يوم الاربعاء الواقع فيه ١٠ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٦، اتصل المتسلل مستخدماً اسم "هنتر." إلا أنه غادر بسرعة قبل أن يصل ستول الى المختبر الذي انطلق اليه على دراجته. لكن الآلة الطابعة اقتفت الاتصال مسجلة أن المتسلل اتصل بـ"ميلنت" وهي شبكة صناعات عسكرية ودفاعية، ومنها اتصل بمستودع أنيستون التابع للجيش. وهو استخدم كلمة السر "هدجز" مرة أخرى.



(من اليمين) بيتر كارل وماركوس هيس وديرك برزنسكي

اتصل ستول للحال بمستودع أنيستون ونبه مركز الدماغ الالكتروني فيه الى أن دخيلا اقتحم نظامه.

وأصبح ذلك الاجراء في ما بعد السياسة المتبعة في مختبر لورنس بيركلي. وقال كيرث لستول: "كلما غُزي أحد المراكز، أعلم أصحابه للحال."

في الاسابيع التالية عمد مديرو الانظمة الذين تمّ تحذيرهم الى تجريد المتسلل من قدراته باتخاذ اجراءات تحرمه دخول شبكاتهم. فخيّل اليه، بلا شك، أن جميع الشبكات باستثناء شبكة مختبر لورنس بيركلي قد كشفت أمره. والحقيقة أن العكس هو الصحيح، إذ لم يتنبه اليه أحد سوى هذه. وكان كليف ستول يصدّ المتسلل بنفسه لدى اختراقه أنظمة تجهل أساليب حماية الذات. فكان يخشخش مفاتيحه قرب الاسلاك فتحدث ضجيجا يعيق الاتصال، خصوصاً إذا حاول المتسلل قراءة وثائق حساسة فيظن أن الامر لا يعدو تشويشاً في الشبكة. ولم يكن ستول يتردد في قطع الاتصال تماماً إذا شرع المتسلل في محو أحد الملفات. لكنه لم يكن قادراً على تسجيل أي اختراق ما لم يمس المتسلل نظامه هو. وكان عليه أن ينطلق من فرضية أن مختبر لورنس بيركلي ليس نقطة الانطلاق الوحيدة للمتسلل.

بدأت النشرات الالكترونية المطبوعة في مختبر بيركلي ترسم صورة للطريدة. وبدا واضحاً أن المتسلل لم يكن يلهو ولم يكن مهتماً بألعاب الكمبيوتر. بل انحصر اهتمامه في أمور عسكرية وفي أوجه استخدام العلوم والصناعة لاغراض عسكرية. فالكلمات الرئيسية التي ترددت في برنامجه واستأثرت بأبحاثه تمحورت حول مواضيع مثل اطلاق مكوك فضائي، وانطلاق قوات جوية، والحروب الكيميائية والبيولوجية، وقواعد الجيوش، والتجسس، ووكالة الاستخبارات المركزية (CIA) ، والاقمار الاصطناعية. وهو راح يبحث عن بيانات ومعلومات من ذلك النوع بتصميم منقطع النظير.

هل هو جاسوس يا ترى؟ هكذا تساءل كليف من دون أن يطلع أحداً على ما ساوره سوى مارثا.

الا أن ستول بدأ يشعر بأنه بات يعرف خصمه الخفي. فمهارته في الادمغة الالكترونية أوحت أنه في العشرينات من عمره. ولاحظ كليف أن أكثر الاسماء وكلمات السر ترددا لديه هي "هدجز" و"بنسن" و"هنتر" و"ياغر." وقد اكتشف ستول أن "ياغر" بالالمانية تعني "هنتر" بالانكليزية اي الصياد. اويكون المتسلل يدرس اللغة الالمانية؟ أو لعله الماني الاصل؟ و"بنسن اند هدجز" ماركة سجائر، فهل هو من مدخنيها؟ إلا ان السؤال الجوهري ظل من دون جواب. ولم تفض هذه التساؤلات الى معرفة هوية المتسلل.

والواقع أنه مع دنو نهاية شهر سبتمبر (أيلول) وانقضاء مهلة الاسابيع الثلاثة لكشف القناع عن وجه المتسلل، اعترى ستول شعور بالاحباط. فأمر المحكمة الذي يجيز تعقب المكالمات والذي أصدر بعد انتظار طويل لم يفد أبداً. وهو لم يكن نافذاً إلا ضمن ولاية كاليفورنيا التي بدا أن المتسلل لا يستخدم شبكاتها إلا كمحطة في تحركاته عبر الولايات، متخطياً أحياناً الحدود الدولية.

وتشابهت استجابات الـ«FBI» والجيش لتوسلات ستول. فهما أفاداه أنهما لا يتعاطيان مثل تلك القضايا. وبدا له أن أحداً سواه لا يتعقب المتسلل. ولم تعجبه فكرة القيام بدور الشرطي، كما أنه كان يجهل كيف يمسك بالمتهم. وظل يقلّب في فكره تألّب الاحداث الغريبة التي جعلته - وهو زهرة أينعت في الستينات - يتورط مع الـ«FBI» ومع الـ«CIA» .

والى المائدة في مطعم مختبر لورنس بيركلي قال له لويس ألفاريز متعاطفاً، وهو كان حاز في العام ١٩٦٨ جائزة نوبل في الفيزياء: "عندما تجري أبحاثاً جدية، لا يمكنك أن تعرف مسبقاً كم ستبلغ كلفة البحث وكم سيستغرق من وقت وماذا سيكشف من نتائج."

فرد ستول: "لكن هذا ليس بحثاً، انه عملية عسكر وحرامية."

فقال ألفاريز بحدّة: "لا تدعه يكون هكذا! لا تحاول القيام بدور الشرطي! كن عالماً."

لم يقتنع ستول بهذا الكلام. ولكن اذ لم تكن امامه سبل واعدة أخرى عمل بالنصيحة. وضع رسماً بيانيا بتوقيتات عمليات الغزو. واستخلص أن معظمها تم قرابة الظهر بحسب توقيت الولايات الغربية، أي في الثالثة بعد الظهر بحسب توقيت الولايات الشرقية. وهو وجد ذلك منافياً للمنطق وسخيفاً، مما عمق كآبته. فتلك أوقات لا يعمل فيها المتسللون المعروفون بأنهم كائنات ليلية.

خطرت له فكرة أخرى. سوف يقيس الوقت الذي يفصل بين ارسال مختبر لورنس

بيركلي المعلومات ورجع الصدى، أي الفأفأة البسيطة التي يحدثها جهاز المتسلل إشعاراً بأنه تلقى المعلومات. وبالرجوع الى قواعد الفيزياء الاساسية – أي ضرب المدة التي يستغرقها رجع الصدى بنصف سرعة الصوت، مع أخذ مدة التأخر ضمن الشبكة في الحساب – لا بد وأن تتضح المسافة الفاصلة بين موقع المتسلل ومختبر لورنس بيركلي.

جهّز كليف مرسمة للذبذبات[٥]. ولكي يتحقق من صحة نظريته طلب من أصدقاء له موزعين في أنحاء البلاد أن يجعلوا أدمغتهم الالكترونية تتصل بدماغه. فتبين له ان رجع الصدى من الاتصالات الواردة من مدينة لوس انجلس في ولاية كاليفورنيا التي لا تبعد عن المختبر سوى بضع مئات من الكيلومترات، لا يستغرق سوى عُشر ثانية، أما الاتصالات الواردة من نيويورك فاستغرق رجع صداها نحو ثانية كاملة. بعد ذلك سجل ستول الوقت الذي ورد فيه اتصال المتسلل، فتبين من المدة التي استغرقها رجع الصدى أن المتسلل يبعد أكثرّ من ١١ ألف كيلومتر.

طأطأ كليف ستول رأسه مكتئباً. فالاختبار نجح، لكن النتيجة جاءت في منتهى الغرابة، فهي أظهرت أن المتسلل لم يكن حتى في الولايات المتحدة. قد يكون في أي بقعة على وجه الارض، من أمريكا الجنوبية الى أوروبا الغربية.

تحت الضغط

انه وقت عصيب بالنسبة الى متسللي هانوفر. فلقد أصدرت إلمانيا الغربية في أول أغسطس (آب) ١٩٨٦ قانونا اعتبرت بموجبه التسلل في بعض الظروف جريمة يعاقب عليها بالسجن مدة قد تصل إلى ثلاث سنوات. وهم "طردوا" من مستودع الجيش في أنيستون وبدأوا يواجهون صعوبة كبرى في اختراق قواعد عسكرية ومراكز أبحاث أمريكية. ولئن لم يكن لديهم أي دليل حسي فانهم يشعرون بأنهم ملاحقون. ولجأ كوك الى استخدام آلة "مودم" ودماغ الكتروني يحمل باليد، واجراء اتصالاته من كشك عمومي للهاتف، حرصا منه على ألا يتعقبه أحد الى شقته.

بدأ السوفييت يضغطون من أجل الحصول علي معطيات محدّدة. فهم تارة يطلبون رموزاً عسكرية تؤمن دخول الشبكات، وطوراً يريدون برامج كمبيوتر معدّة لعمليات التصميم والانتاج (CAD/CAM) ولتكنولوجيا الليزر. أما الطلب الدائم والملحّ فكان للرقائق الالكترونية. وكان كارل، الذي تولى دور الوسيط، يعود الى الجماعة بمبالغ ضئيلة – ٢٥٠٠ أو ٥٠٠٠ دولار – يتوزعها الخمسة. أما سيرج، منسّق العملية، فما انفك يطمئنهم الي أن لديه أضعاف تلك المبالغ مئة مرة ولكن في مقابل "شيء كبير".

بلغ عدد اللقاءات في برلين الشرقية ٢٥. والخمسة الذين قصدوا السوفييت علّهم

(٥) Oscilloscope

يبيعونهم بعض المواد باتوا يحملون قائمة طويلة من الطلبات السوفييتية.

إنهم يبذلون قصارى جهدهم. وهم انتهكوا أدمغة الكترونية في فورت ستيورت بولاية جورجيا تابعة لقوة "الانتشار السريع" في الجيش الامريكي، واخترقوا قاعدة جوية في رامشتاين بألمانيا الغربية ومركزاً بحرياً أمريكياً نائياً في المحيط الهادىء ومعسكر بوكنر في جزيرة أوكيناوا شمال شرق تايوان. وتوصلوا أيضاً الى اختراق "أوبتيموس" وهو دماغ الكتروني في مبنى وزارة الدفاع الامريكية (البنتاغون) يستخدم مخزناً للوثائق العسكرية.

يبدي برزنسكي تحت الضغط جرأة وشجاعة. وكان لا يزال يجني مالا وفيراً من عمله خبيراً في تحديد مواطن الخلل في الادمغة الالكترونية. أما لقاءاته فكان يعقدها في المقاهي العامة، ويحرص على دفع حساب كل المجتمعين. لكن طبعه الشكس لم يفارقه، وما زالت كلمة واحدة غير مناسبة تمحو الابتسامة السهلة عن وجهه بلمح البصر ليحل مكانها تجهُّم عنيف. وهو تشاجر غير مرة مع هوبنر وهدّده بالقتل.

ومن عادته التبجح بأن الشرطة لن تنال منه أبداً. وإن هي هاجمته فسوف يقاوم ويقتل ثلاثة من عناصرها قبل أن تتمكن منه. والواقع أنه عندما قبض عليه فعلا في يونيو (حزيران) ١٩٨٧ بتهمة التهرب من الخدمة العسكرية، لم يبد أي مقاومة. وسار بهدوء مع رجال الشرطة. وحُكم عليه بعد ذلك بوضعه تحت المراقبة ثمانية أشهر.

ظلّ على هيس أن يحاول اشباع نهم السوفييت الذين توالت طلباتهم. وهو دأب على السهر ليالي متتالية في شبه ظلام، يجوب القارات ويعبر المحيطات علّه يجد منفذاً. أما هوبنر فجبن أمام الضغط المتعاظم، فيما غرق كوك في دوامة لوّنها الكوكايين فتحوّلت ساحة وغى يقود فيها جيوشه – هو هاغبارد – للانقضاض على الالوميناتي الذين ظهروا على هيئة رأسماليين بدينين ومديري أنظمة كمبيوتر يعملون لديهم.

■ متسلل مراوغ ■

في نهاية سبتمبر (أيلول) انعش ليروي كيرث آمال ستول بتمديد مهلة الاسابيع الثلاثة. بعد ذلك تسارعت الاحداث. ففي نوفمبر (تشرين الثاني) تمكن ستول من اقتفاء المتسلل الى حلقة اتصال في مؤسسة "ميتر" في ماكلين بولاية فيرجينيا، وهي شركة تعهدات دفاعية ذات نظام أمني فائق الصرامة. ومع أن المؤسسة تحظر دخول الزوار ما لم يعرَّف بهم ويرافقهم أحد المسؤولين، فان أي شخص يقتني دماغاً الكترونياً للاستعمال الشخصي وآلة "مودم"، يمكنه أن يقيم اتصالا مع "تيمنت" ومنها يتصل بـ"ميتر" من دون سؤال أو جواب.

لم يطل الوقت قبل أن يتخذ المتسلل من "ميتر" منفذاً آخر ومكاناً يختبىء فيه. حتى انها كانت تدفع رسوم اتصالاته من دون أن تدري.

وللحال بدأ ستول يعمل مع "ميتر" لتعقب المتسلل. وبعد بضعة ايام اتصل به عميل لمكتب التحقيقات الاتحادي في ألكسندريا بولاية فيرجينيا اسمه مايك غيبونز. ولم يكن ذلك العميل لترهبه الادمغة الالكترونية ومراكز المعلومات. وهو الى ذلك أدرك أن المسألة ليست قضية ٧٥ سنتاً مفقودة وأن ما يظهر منها ما هو إلا رأس جبل جليدي مغمور. وبعدما استمع بانتباه الى ستول الذي وضعه في جو احداث الاشهر الثلاثة الماضية، طلب منه نسخة عن السجل الذي دوّنه ويضمّ ٥٠ صفحة، ثم قال: "انها جريمة جريمة خطيرة. الشخص الذي نحن في إثره يواجه حكماً بالسجن خمس سنوات وبغرامة مقدارها ٥٠ ألف دولار. انني معكم في هذه القضية."

وافق مدير الانظمة في مؤسسة "ميتر" على تزويد ستول قائمة بجميع مكالمات الدماغ الالكتروني التي سُجلت على حساب الشركة. لكنه سأله: "لماذا تريدها؟"

فرد ستول: "دعنا نعرف في أي مكان آخر تصرّف صاحبنا كأنه صاحب البيت."

وما لبث أن جاءه الجواب في ظرف منتفخ بفواتير التحصيل المرسلة من شركة الهاتف خلال الاشهر الستة الاخيرة. وكان على ستول، لكي يستخلص الجواب، أن يغوص في قوائم المكالمات الخارجية المسجّلة مع تواريخها وتوقيتاتها والارقام التي جرى الاتصال بها والمدن التي هي فيها. وبدأ ستول تبويب ما لديه. ووضع برنامجاً للدماغ الالكتروني على أساس الاهداف المعروفة التي اتصل بها المتسلل، أي "تيمنت" ومختبر لورنس بيركلي ومستودع الجيش في أنيستون. وعندما انتهى من ذلك ثبت له أن المتطفل الغامض اقتحم ما لا يقل عن ستة ادمغة الكترونية، وأنه أجرى من "ميتر" وحدها أكثر من ١٥٠ اتصالا بقواعد عسكرية وأحواض سفن وشبكات عسكرية موزّعة في أنحاء الولايات المتحدة.

أدخل كليف في سجله سؤالين: "ماذا اكتشف المتسلل؟" و"ماذا يفعل بالمعلومات التي حصل عليها؟"

وبعيد الثانية عشرة ظهر يوم السبت الواقع فيه ٦ ديسمبر (كانون الاول) إطلق جهاز الاستقبال المنبه الذي يعلقه ستول في حزامه ثلاث صفرات – نقاطاً ثلاثاً، أي رمز الحرف «S» في نظام "مورس." لقد عاد سفنتك إذاً. وعندما تبين أن الاتصال الذي تلقاه المختبر صادر عن "ميتر" التي وصل اليها المتسلل عبر "تيمنت"، رفع ستول سماعة الهاتف وطلب تعقباً داخل الشبكة. لم يستغرق ذلك طويلا، وأسفر عن أول دليل ملموس على ذلك الشبح الذي جرى وراءه طويلا.

سأله عامل الهاتف في "تيمنت": "هل أنت متأكد من أنه الشخص ذاته الذي تتعقبه؟"

وقبل أن يجيبه ستول راقب جَرْد المتسلل لقائمة الكلمات الرئيسية، وجميعها متعلق بأمور عسكرية. ثم قال: "نعم، اني متأكد."

فشرح له العامل سبب استغرابه: "انه يجري اتصاله من خارج نظام تيمنت، من خط دولي للهاتف والتلغراف، ربما كان مركزاً أرضياً يصل قمراً اصطناعياً بمحطة أرضية."

سأله كليف: "أتعني أن هذا الشخص ليس في أوروبا؟"

فأجابه: "قطعاً، هو ليس في أوروبا."

وعلى الأثر اتصل ستول بستيف وايت في شبكة "تيمنت"، الخبير في فك العقد المستعصية في المخابرات الدولية. وتمكن هذا من إقتفاء الاتصال الى أبعد من القمر الاصطناعي، الى النقطة الاولى التي أجرى منها المتسلل اتصاله بالخط الدولي.

سأله ستول: "والنتيجة؟"

فاجاب: "ان الرجل الذي تبحث عنه موجود في ألمانيا الغربية. وهو يتصل بنا من شبكة ألمانية اسمها "داتكس ب." ثم أضاف انه، يوم الاثنين، سيعطي العنوان الذي يجري منه المتسلل اتصالاته الى مصلحة البريد الالمانية الغربية لتحديد النقطة التي اتصل منها في شبكة "داتكس ب."

■ "أمسك به!" ■

ألمانيا الغربية إذاً! في وقت لاحق قال ستول: "لم أدر ماذا أفعل، أأضحك أم أبكي."

لقد ذرع الولايات المتحدة طولا وعرضاً بحثا عن شخص افترض أنه أمريكي. ولو وثق بحساباته لكان اختبار الصدى الذي أجراه وضعه في الطريق الصحيح. وكان الاختبار أفاد أن المتسلل يبعد مسافة ١١ ألف كيلومتر. لكنه لم يصغ. ولم توقظه من سباته كلمتا "ياغر" و"هنتر" اللتان تحملان دلالة واضحة. ولم يهزه الجدول البياني المتقن الذي رسمه للاوقات التي تمت فيها الاتصالات. وهو كان خلص الى أن الظهر ليس وقتاً ملائماً للتسلل، ولكن فاته أنه عندما يكون الوقت ظهراً في بيركلي تكون الساعة التاسعة مساء في ألمانيا الغربية، وهذا وقت ممتاز للتسلل.

اتصل به ستيف وايت ناقلا اليه تقرير مصلحة البريد الالمانية الغربية الذي أفاد أن المتسلل اجرى اتصاله من جامعة برمن في شمال ألمانيا الغربية.

غاص قلب ستول في صدره. أيعقل أنه طلب مساعدة وكالة الاستخبارات المركزية (CIA) ومكتب التحقيقات الاتحادي (FBI) لتجنب كارثة جاسوسية، ليتبين أن العدو ليس سوى فتى في الجامعة ذي حس دعابة ملتو؟ لكن لا. فشباب الجامعات لا يتميزون بفترات تيقظ تمتد خمسة أشهر، ولا يعانون تعلقا مرضيّاً بالخطط والمنشآت العسكرية.

مرّت أيام. واتصل "مركز الكمبيوتر للأمن الوطني" يسأل ستول كيف يمكنه أن يتأكد من أنه لا يلاحق دماغاً الكترونياً مبرمجاً على نحو شيطاني بحيث يتنقل بين

أدمغة الكترونية أخرى محاولا تعليقها. قلّب ستول السؤال في رأسه ثم أجاب: "أنا أكيد من أنه ليس دماغاً الكترونياً، لأن هذا المتسلل يرتكب أخطاء طباعية. وبرامج الكمبيوتر لا تخطىء هكذا."

توالت الاسابيع. وذات يوم أمال كيرث رأسه وقال ان رؤساءه يحشرونه. فتعقب المتسلل لا يدرّ ربحاً على خزائن مختبر لورنس بيركلي، وستول يهمل عمله، لذلك عليه أن يتخلى عن القضية. وفي اتصال اجراه العميل مايك غيبونز بعد الظهر أخبره ستول باكتئاب أنه لن يكون بعد الحين واجهة لمكتب التحقيقات الاتحادي في حرب الادمغة الالكترونية. فطلب منه غيبونز رقم هاتف رئيسه في العمل. وكان شعور كليف الدائم أن غيبونز الى جانبه. ولم يخذله حدسه، إذ جاءه كيرث ولما يمضِ على مكالمته مع غيبونز سوى ٣٠ دقيقة، وقال له: "حسناً يا كليف. انني أمهلك أسبوعين آخرين. ولكن، اللعنة يا كليف، أمسك به!"

واتصل أحد مديري شبكة "داتكس ب" في ألمانيا الغربية. وكان هو نفسه الذي تعقّب المتسلل الى جامعة برمن، وتقفّى اثره بعد بضعة أيام الى هاتف ما في مدينة هانوفر التي تبعد ٣٠ كيلومتراً. لكن التقنيين كانوا في حاجة الى مزيد من الوقت ليتمكنوا من تحديد رقم الهاتف.

أخيراً طلعت مارثا بفكرة "الفخ"، وهي خاطبت كليف قائلة: "اسمع، عليك أن تعطي ذلك الشخص سبباً يدفعه الى اطالة مكالمته مدة تمكنك من اقتفائه."

فسألها: "وأي سبب؟"

فأجابته: "السبب ذاته الذي من أجله اقتحم الشبكات. أعطه أسراراً. عن حرب النجوم مثلاً. شيئاً يتحرّق لمعرفته. شيئاً يستغرق نسخه في دماغه الالكتروني ساعتين."

رأى كليف للحال الامكانات المتاحة، وهتف لمارثا: "أيها العقل المدبِّر!" وأكبّ الاثنان على العمل. وهكذا ولدت "شبكة المبادرات الدفاعية الاستراتيجية" (سدينت) التي ضمّت سلسلة ملفات تحوي نصوصاً مزعومة لمشروع جديد لمختبر لورنس بيركلي هو عقد مع الحكومة الامريكية لاجراء دراسة حول دور الادمغة الالكترونية في "حرب النجوم." وهما جاءا بالمعلومات من وثائق حكومية أجريا عليها تعديلات بسيطة أضفت عليها طابعاً من السرّية، ومن معاهدات مطوَّلة من اختراعهما.

وهما ضمّنا الملفات قائمة بريدية نقلاها مباشرة من سجل بريد المختبر مبدلين عبارات مثل "السيد فلان" أو "الدكتور فلان" بعبارات مثل "العقيد فلان" أو "العميد فلان." كذلك ضمَّناها طلباً لموازنة مقدارها ٥٠ مليون دولار، وتلميحات مثيرة عن "معلومات إضافية" ترسل بالبريد. ولم يغفلا عنوان المشروع، فجعلاه صندوق البريد ٥٠/٣٥١. وبلغ مجموع الكلمات في ملفات المشروع ١٥٠ ألفاً، تلزم المتسلل

ساعتين على الأقل للتدقيق فيها وتقرير ما يريد أن ينسخه منها. وهما ألقماها الدماغ الالكتروني تحت حساب منفرد لا يحمل كلمة سره سوى ستول، أو دخيل ينتحل صفة مدير الانظمة.

مرت ايام عصيبة كان المتسلل أثناءها يدخل الشبكة بقصد الانطلاق منها الى سواها فقط. ثم، في يوم الجمعة ١٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٧، التقط الطعم. وعندما ظهر في الشبكة الساعة ٥،١٤ بعد الظهر، طلب للحال قائمة المشتركين الذين كانوا يستخدمون الشبكة في ذلك الوقت. وسرعان ما استرعاه ملف "سدينت" فتحوّل خلال دقائق مدير أنظمة وراح يعرض الملفات الواحد تلو الآخر ويقرأها بنهم أنساه أن يتحقق من أن أحداً لا يراقبه.

اتصل كليف بستيف وايت قائلا: "أطلب ألمانيا، انه هنا، وسوف يمكث بعض الوقت."

ظل المتسلل على الخط ٤٥ دقيقة أتاحت لعميل "داتكس ب" ولفنيي مصلحة البريد الالمانية ان يتعقبوا المكالمة ويحصروها في واحد من ٥٠ خطاً. وقال وايت لستول لاحقاً: "كان الشباب في غاية الحماسة هنا وظنوا أنه وقع في أيديهم."

فرد ستول مطمئناً: "لا تقلق، سوف يعود." وهو علم أن المتسلل لم يطلع على جميع ملفات "سدينت."

انتهت اللعبة

مرة أخرى أمضى ستول الليل مفترشاً الارض في مكتبه. وعندما صفر جهاز الاستقبال المنبه الذي يحمله في الساعة ٨،٠٨ صباحاً كان هو مستيقظاً. اتصل بوايت، إلا أن المتسلل قطع الاتصال بعد نصف ساعة فقط. وعاوده في الساعة ١٠،١٧ صباحاً، وكانت مارثا وافت ستول الى المكتب. وعندما رن جرس الهاتف عرف الاثنان أن ستيف وايت على الخط.

صرخ وايت في أذن كليف: "لقد اقتفوا أثره واكتشفوا الرقم!"

سأله كليف: "من هو؟"

فأجابه وايت: "إنهم لا يصرّحون. ولقد أحالوا القضية على الشرطة."

هذه الليلة سيكون المتسلل خلف القضبان. هذا ما بدا لهما آنذاك. لكن الواقع تعدى جميع تصورات ستول وسواه تلك الليلة من شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٨٧. ولقد تبين في ما بعد أن على الشرطة الاتحادية في ألمانيا الغربية أن تعمل أكثر من سنتين لاستكمال الدعوى قبل أن تقوم بأي تحرّك.

مع حلول ربيع ١٩٨٧ شعر المتسللون بأن الشرطة تضيّق عليهم الخناق. وكان هانس هوبنر ضبط وفي حوزته اوراق ثبوتية مسروقة من احدى الشبكات تخوّل حاملها

انتحال شخصية مشترك ذي امتيازات. وكان كوك وهيس شريكيه في هذه العملية. ولما لم يلحق هوبنر أي أذى شك الاثنان في أنه ربما أخبر الشرطة أكثر مما ينبغي أن يخبرها.

آخر اتصال أجراه ماركوس هيس بمختبر لورنس بيركلي كان في الحادي والعشرين من شهر يونيو (حزيران). وبعد يومين دهم فريقان من المحققين مكتبه وشقته وصادرا منهما الدماغ الالكتروني وكدسة من النشرات المطبوعة ومئة قرص (ديسك) ووثائق تصف "ميلنت."

لقد انتهت "حرب النجوم" بالنسبة الى هوبنر وهيس. وحده كوك، الذي كان يتجنب شقته ويجري اتصالاته من أكشاك عمومية للهاتف، واصل أعمال التسلل. لكنه مطارد من شياطين من نسج خياله. وفي بيان رسمي كتبه في وقت لاحق وطلب من "نادي فوضى الكمبيوتر" نشره، شبّه نفسه بهاغبارد "العبقري الذي خلص البشرية من حرب عالمية ثالثة." وتابع وقد جرفه جنون العظمة: "لقد بثّ شهيراً الى حدّ يردع أي محاولة لإلغائي بعنف... ان الفيروس الذي اكتشفناه يضمن لنا القوة لاطلاق الفوضى... فتتداعى الادمغة الالكترونية في الصناعات وينقطع التيار الكهربائي وتنهار شبكات النقل والاتصال... ويتعطل كل شيء... ولا يبقى شيء على حاله."

وفي ذلك الربيع كان صحافيان اسمهما اكسل ليرش وبيرند شونمان على علم بتورط كوك في العملية. فتعقباه الى حانة "تاباك" التي كان يتردد اليها. وجلس الجميع يحتسون الشراب. وحرص الصحافيان على اسماع كوك ما يشبع غروره. فراح يسرد عليهما بعض فصوله التسللية المدهشة، كاختراقه مختبراً للفيزياء النووية حين راح يحرّك مواد انشطارية "لمجرّد ان اختبر قدرتي على ذلك."

افتتن الصحافيان بما سمعاه، وعرضا على كوك مبلغاً من المال في مقابل تزويدهما مادة تصلح لكتابة مقال مثير. ولاشتداد حاجته الى المال وافق للحال. فأخذاه الى شقة شونمان في هامبورغ حيث انضمّ اليهم هوبنر. ثم راح المتسللان، مستخدمين أجهزة كوك، يطوفان بنوك المعلومات في ألمانيا الغربية وايطاليا والولايات المتحدة، وتحت الحاح الصحافيين، أخبرهما المتسللان بعلاقتهما بالاستخبارات السوفييتية، وسمحا لهما بتصويرهما في شريط تلفزيوني وهما يتظاهران بالتسلل.

عجز كوك عن طرد المخاوف التي ساورته والضغوط الخفية التي لاحقته. فما كان منه الا أن التقى مندوباً لوكالة أمن هامبورغ يوم ٥ يوليو (تموز) واعترف له: "انني أنتمي الى مجموعة متسللين تزود وكالة الاستخبارات السوفييتية معلومات مسروقة."

وبعد أسبوعين، اثر تلقي هوبنر عرضاً أعجبه للمساهمة في انشاء شركة مشروعة لبرامج الادمغة الالكترونية، قرر الانسحاب من العملية، فأطلع سلطات ألمانيا الغربية على كل شيء.

ولكن لم يكن السجن من نصيبه، ولا من نصيب كوك الذي أُخضع لاستجواب دقيق. وأطلق الاثنان في وقت لاحق. وكانت الشرطة في صدد استكمال الملف الذي فُتح قبل ١٨ شهراً حين وصل تحذير كليف ستول من الولايات المتحدة بأن متسللين من ألمانيا الغربية يقتحمون أنظمة ادمغة الكترونية لمؤسسات عسكرية وعلمية موزعة في أنحاء العالم. وكانت سلطات ألمانيا الغربية بدأت تحقيقاً مكثّفاً وراحت تراقب المتسللين من بعيد وتسجل عبورهم المتكرر الى ألمانيا الشرقية.

كانت رحلة بيتر كارل الاخيرة الى برلين الشرقية في شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٨. فاللعبة انتهت، وقد بدأت وكالة الاستخبارات السوفييتية تتنصّل من العملية التي شارفت الإفلاس. ولم يتعد مجموع ما حصل عليه المتسللون من السوفييت ٥٠ ألف دولار، وهذا نزر يسير مما كانوا ليجنونه لو أنهم، خلال السنتين الماضيتين، استثمروا اوقاتهم في أعمال مشروعة.

في الأول من شهر مارس (آذار) تحرّكت الشرطة الاتحادية في ألمانيا الغربية للاطباق على متسللي هانوفر. وكان القانون الخاص بالتسلل أصبح نافذاً منذ أكثر من سنتين ونصف سنة. قُبض على بيتر كارل أمام شقته، وكان في الطريق الى اسبانيا. وفي اليوم التالي اقتيد هيس وبرزنسكي للاستجواب. وقد أطلق هيس في انتظار المحاكمة، فيما أوقف رفيقاه الباقيان في سجن كارلسروه ريثما يوجه اليهما الاتهام الرسمي. وكان كوك في تلك الاثناء يتلقى علاجاً لازالة اثر المخدرات من جسمه ولإعادة تأهيله، في مصحّ للامراض العصبية في ضاحية شمال هانوفر كان دخله قبل شهرين بكامل ارادته وفي ذروة اهتياجه. ولم توجه اليه ولا الى هوبنر اي تهمة، ولم يُقبض على أي منهما. والظاهر أن استسلامهما للشرطة وتعاونهما معها أثمرا.

وفي ٢٥ يوليو (تموز) أصدرت مذكرات اتهام بحق كل من هيس وبرزنسكي وكارل. وفيها أنهم تصرفوا كعملاء لدى وكالة الاستخبارات السوفييتية وعرّضوا أمن جمهورية ألمانيا الاتحادية وسلامتها للخطر. والمدهش أن الشريط التلفزيوني الذي يظهر فيه كوك وهوبنر وهما يشرحان امكان اختراق أدمغة الكترونية ذات حماية "مضمونة" لم يعرض على شاشات التلفزيون في المانيا الغربية. وساعدت الشرطة كوك في العثور على وظيفة، ويبدو أنه يتجاوب والعلاج ضد ادمان المخدرات.

في أواسط شهر مايو (ايار) ١٩٨٩ أخضع كوك لاستجواب دقيق ثان من الشرطة الاتحادية. وصباح الثلثاء التالي، وكان يوماً ربيعياً دافئاً، انطلق في مهمة عادية. وبدل أن يتوجه الى مكتب السجلات العامة حيث كان يعمل، قاد السيارة الى حرج يبعد حوالى ٨٠ كيلومتراً الى الشرق من هانوفر. وهناك سكب على نفسه صفيحة وقود وأشعل عود ثقاب.

وقد أنحى "نادي فوضى الكمبيوتر" باللائمة على وسائل الاعلام لانها دفعت كوك

الى "حالة من اليأس." وراجت أقاويل مفادها أن وكالة الاستخبارات السوفييتية قتلته تحذيراً لأمثاله من مغبة العمل مع الشرطة.

وعلى رغم أنه لم يُعثر على بقاياه المتفحمة الا بعد أسبوع من وفاته، فقد لاحظ معارفه أن اليوم الذي قضى فيه كارل كوك حمل الرقم ٢٣ "السحري"، فهو كان الثالث والعشرين من مايو (أيار).

. .

■ شهر الورد ■

في الولايات المتحدة، كما في ألمانيا الغربية، انتهت القصة على نحو غير متوقع. فيوم الاثنين ٢٧ أبريل (نيسان) ١٩٨٧ وصلت الى صندوق البريد ٣٥١/٥٠ في بيركلي رسالة موجهة الى شبكة "سدينت." وكان المرسل لازلو ج. بالوغ يطلب ثماني من الوثائق المعروضة في ملف "سدينت" الذي لا وجود له الا في الخيال، كما يطلب أخر النشرات عن المشروع. بدا الامر محيراً جداً. لكن صدمة ستول أتت من عنوان المرسل: لم يكن العنوان في هانوفر بألمانيا الغربية، بل في مدينة بتسبرغ بولاية بنسلفانيا الامريكية.

وفهم مايك غيبونز أيضاً المعنى الضمني لما حصل. فعندما اتصل ستول بالمركز الميداني التابع لمكتب التحقيقات الاتحادي في الكسندريا بولاية فيرجينيا، قال له غيبونز: "ألمس هذه الرسالة أقل ما أمكن، وضَعْها داخل ظرف سميك وأرسلها الي في البريد السريع."

كيف يمكن أي انسان في بتسبرغ أن يعرف شيئاً عن "سدينت" التي لا وجود لها إلا في مخيلة كليف ستول وفي حساب دماغ الكتروني لا يصل اليه سوى ستول ومتسلل في ألمانيا الغربية؟

في الاسابيع التي تلت علم ستول من الصحافة في ألمانيا الغربية ان المتسلل الذي يجد في إثره هو واحد من مجموعة، لكن ماركوس هيس هو خصمه الرئيسي. ولم يدهش كليف أن المقصود شخص وحيد، فهو لاحظ أن أسلوب هيس في مقاربة الدماغ الالكتروني يتميز بنمط فريد كان يتعرَّف اليه كلما رآه وكأنه توقيع مميز.

مع انتهاء القضية تعرّض ستول لوابل عذل وتأنيب من بعض الزملاء والاصدقاء في بيركلي لتعامله مع وكالة الاستخبارات المركزية ومكتب التحقيقات الاتحادي. لكنه واجههم بحدّة مماثلة. صحيح أن عملاء مكتب التحقيقات لا يتحركون بسهولة، ولكن هل تبرع أحد سواهم بالسهر على المصلحة الوطنية؟

يقول كليف: "هناك أوقات يتعين عليك أن تقف وتُعدّ. أنا لست أمريكياً فقط، بل انني فرد في مجتمع دولي، مجتمع متصل الاجزاء بواسطة شبكات وأدمغة الكترونية. وعندما يتعرض بلدك أو مجتمعك لهجوم، فأنت لست مجرد يساري أو متمرد طويل

الشعر، بل انك مواطن وعليك مسؤولية تجاه أبناء بلدك وتجاه جيرانك الالكترونيين."

لقد تغيّرت حياة ستول. وهو يعد الآن مرجعاً في حماية الادمغة الالكترونية ويتلقى دعوات لالقاء محاضرات في واشنطن وللتشاور. لقد أبدى في ذلك الشتاء الكئيب بين العامين ١٩٨٦ و١٩٨٧ بصيرة وبعد نظر. وذات يوم سأل مارثا: "متى نتزوج؟" أجابته: "في مايو (أيار) شهر الورد."

في صيف ١٩٨٨ انتقل الزوجان الى مدينة بوسطن في ولاية مساتشوستس حيث عاد كليف عالماً فلكياً في مركز هارفارد – سميثسونيان ووجدت مارثا وظيفة وقد أصبحت تحمل شهادة الحقوق. ثم اختيرت من بين مئات المتقدمين لوظيفة في إحدى المحاكم العليا، وهذا يعني أن الزوجين سيقيمان على الساحل الشرقي للولايات المتحدة فترة من الزمن يعودان بعدها الى بيتهما في أوكلاند والى شتول الفراولة التي غرساها.

في ١٥ فبراير (شباط) بعد محاكمة طويلة، دين المتهمون الذين ثبتت عليهم جميع التهم الموجهة اليهم. وصدرت الاحكام على النحو الآتي: سجن بيتر كارل سنتين، سجن ديرك برزنسكي سنة وشهرين، سجن ماركوس هيس سنة وثمانية أشهر. إلا أن الثلاثة عُلِّقت عقوبتهم وأطلقوا على أن يبقوا تحت المراقبة مدة ثلاث سنوات يُعادون خلالها الى السجن إذا ارتكبوا أي عمل جرمي.

أما الكتاب الذي نشره كليف ستول بعنوان "بيضة الوقواق" وتناول فيه دوره في العملية، فكان من الكتب الأكثر رواجاً في الولايات المتحدة هذه السنة.

لورنس إليوت ■

ترجمة د. باسمة سكرية عيد



بلسم الكلمة

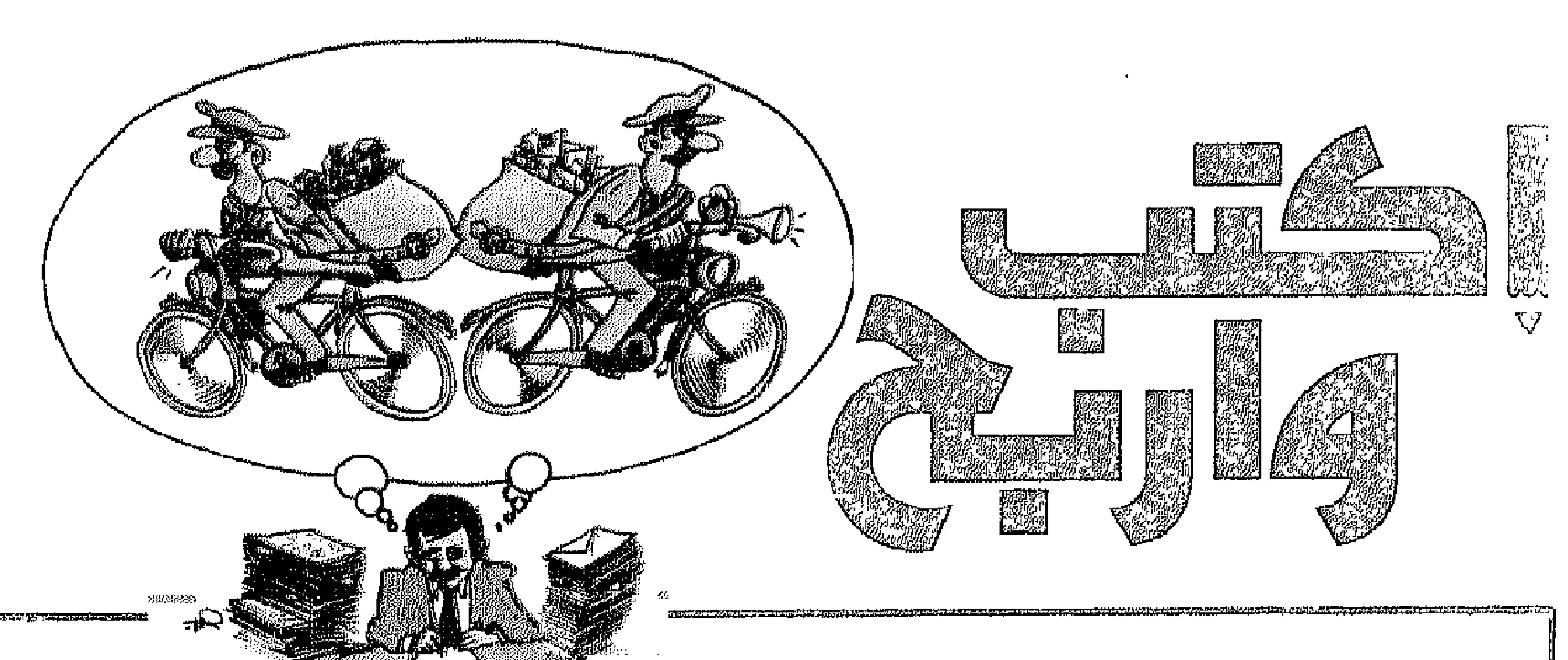
ركبت الحافلة في صباح غائم عاصف. وكعادتي كل يوم، بادرت الركاب قائلة: "صباح الخير." فرد أحدهم ساخطاً: وأي خير في هذا الصباح؟"

وكاد هذا التهجم يعكر مزاجي الجيد لولا تدخل راكب آخر نزل كلامه على قلبي مثلما يخترق نور الشمس الغيوم الملبّدة، اذ قال: "الخير في هذا الصباح انها ركبت هذه الحافلة."

ا.ك.ب.

من السهل المحافظة على الوفق بين الاولاد في المنزل، فهذا لا يتطلب سوى صبر وتفهم وجهازي تلفزيون على الأقل.

ا.ك.



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

★ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.

★ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.

★ ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.

★ ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملًا، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).

★ تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.

★ لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.

★ لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ لبنان.



COURTESY MARLBOROUGH GALLERY

أجنحة نورس فوق شراع الليل. للامريكي هوارد كانوفيتز.